القاهرة ١٠٣٠

الكتاب : القاهرة ١٠٣٠
الكاتب : عمرو سامي
تصميم الغلاف : أحمد مصطفي
تدقيق لغوي : إسراء جمال
الإخراج الداخلي : مصطفي عبد الستار
رقم الإيداع : ٢٧٥٦٦/٢٠١٩
الطبعة : الأولى

٤ شارع كمال حسين متفرع من ومبي الهرم
ت : ٠١٠٠٥٧١٩٠٤٢ - ٠٢٣٥٩١٨١٨
Beyond.dbh@gmail.com
جميع الحقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

القاهرة ١٠٣٠

رواية

عمرو سامي

إهداء

إلى اللتان سرقتُ منهُما كل الوقت، وتحملتا نوبات صمتي وأوقات غيابي لخروج هذا الكتاب، وأوقات الاكتئاب التي صاحبت الكتابة نفسها.

إلى زوجتي وابنتي، أقدم لكما ما صنعَته يداي عسى أن ينال منكما الاستحسان.

إهداء

إلى كل من آمن بما لدي من موهبة من أصدقاء وأهل، وكل من ساند ولو بكلمة، أشكركم من صميم القلب؛ أبي، أمي، حماي، حماتي، أختي، عبد الله سامي، كريم عادل، مصطفى جادو، إسلام وهيب، أحمد العربي، أسامة، عبد الله أحمد، وآخرين ممن لم تسعفني الذاكرة بذكرهم، أشكركم بحجم العالم.

إهداء

إلى الصديق والأخ جلال عز الدين:

لا يسعني شكرك على تلك الثقة التي منحتني إياها ولكني أشكرك من كل قلبي وأهدي إليك هذا العمل.

إهداء خاص

إلى الأخ والصديق، المعلم والمثقف، الكاتب أحمد تاج:

لولا كل ما قمت به من أجلي ما كنت أنجزتُ شيئًا أو أنهيت كتابي هذا أبدًا، لا يسعني شكرك مهما فعلت، ولكني بكل الحب والود ومشاعر الأخوة الصادقة، أشكرك شكرًا جزيلًا على كل شيء.

إهداء لك:

إليك يا من تقرأ كتابي، يا من تقرأ تلك الكلمات، عسى أن تجد فيها ما يواسيك أو يقول ما لم تستطع قوله يومًا، أو يصيبك بحالة ترضيك، فقط اعلم أن كلَّ شيء متغَير حتى الثوابت والمعتقَدات قد تتغيَّر، ومع ذلك فمهما حدث لا تفقد الأمل في أن تصبح أفضل، لا تفقده أبدًا.

أغسطس ٢٠٧٠

العالم في فوضى عارمة، انتهاك حرمات الناس الجسدية والعقلية أصبح أمرًا عاديًا، حتى أنَّ الناس لم يعد منهم من يدافع عن أي حق بل ركنوا ورضخوا لما وجدوه قائمًا وتخلَّوا عن كل ما حاربوا من أجله يومًا.

١ أغسطس ٢٠٧٠

القاهرة

تشرق الشمس على القاهرة ككل يوم، ترسل أشعتها التي فقدت ذهبيَّتها على الأرض، لينجلي بفضلها الليل الطويل المترامي على المدينة كلها، الناس يستيقظون بقلوب متعبة ووجوه مرهقة على الدوام كأن إرادتهم قد تم اعتقالها سنين طوال، وحتى لفظ الحرية ذاته أصبح لديهم شبه مجهول؛ فقد فقدوا حرية أن يريدوا شيئًا.

الواقع مرير، والمستقبل مجهول لا يبشر بخير، يسيرون في الشارع إلى أعمالهم وكأنهم يُساقون إلى عذاب قد اعتادوا تلقِّيه دائمًا، وحتى ألوان ملابسهم لا تخلوا من الرمادي بل إنَّ كل الألوان فقدت بريقها لتظهر باهتة وكأن ساقي أرض الألوان قد اغتيل ولم يسقها أحد من بعده، حتى أنها قد كفرت بوجودها على المباني لتصبح جميعها ملتحفة برمادي كئيب أو لون قرميد لم تكسه الكآبة بعد ولكن كساه غبار المدينة على مر السنين ليظهر هو فارضًا لونه الزَّائِل، لقد كان يوما كئيبًا بحق ككل أيام القاهرة.

إن وسائل التواصل وفكرة الهواتف المحمولة تطورت وأصبحت شرائحًا إلكترونية يتم زرعها في الجسد نفسه وتحديدًا في رأس الإنسان، ومن خلال نظارة خاصة وببصمة عين الشخص يتم استعراض ما يريد وفعل ما يشاء وذلك بمجرد التفكير فيما يريد فعله.

وبالرغم من أن ذلك التطور قد تواجد ليضمن خصوصية أكثر للناس إلا أنَّ كلمة خصوصية نفسها ظهر أنَّها أكبر كذبة سمعناها؛ فالخصوصية غير موجودة، إطلاقًا.

الهوس التكنولوجي ووسائل التواصل الإلكترونية التي امتلأت بعقول وقلوب واهتمام أصحابها تفرض سيطرتها على البشر تماما، بل إن التكنولوجيا كلها أصبحت تمتلك زمام كثيرٍ من الأمور، وأنت كآدمي لا تمتلك حق الرفض.

يعود سعيد من عمله مرهقًا؛ هو لا يدري لماذا يُرهق فعمله أسهل ما يكون، هو مجرد موظف في مصلحة حكومية ذات جدران متهالكة كحالِ كل جنبَات الوطن، يذهب صباحًا ويعود بعد الظهيرة، لا يفهم ما الذي يرهقه في كونه جالسًا على مكتب يرد على مكالمات تافهة من رؤساء يعتقدون أن حكمة العالم تجلت في أجسادهم لتكون لهم نبراسًا وهم في الحقيقة أبعد ما يكونون عن الصواب، هل هذا فعلا ما يرهقه؟!

لا يدري لكنَّه يشعر أنه يجب أن يكون مرهقًا – أو هكذا جرت العادة – لذلك عاد إلى منزله مرهقًا _كالعادة – ليفتح التلفاز كالعادة ويشاهد برامج وأخبار قد سمعها ألف مرة قبل ذلك – مع اختلاف الأسماء – ينظر لابنه الذي يلعب أمامه، لعبة أخرى تم بثها من خلال الحداثة، شيء إلكتروني آخر ككل ما أصبح يعيش فيه، يشعر أنه هو الآخر قد يكون إلكترونيًا ولكن من نسخة أقدم فيتبادر إلى ذهنه سؤال: هل أنا موجود حقًا أم أنني مجرد أداة تؤدي دورًا حريٌ بها أن تؤديه؟

لم يفكر في الموت ولم يؤرقه هذا الأمر أبدًا بل كان يعتقد أنه السبيل الأمثل للراحة وحينما يأتي دوره لترك كل هذا العالم لن يتأخر لحظة، هو يدرك جيدًا أنه سيكون أسهل مما يعيشه الآن.

في تمام الثانية بعد الظهر بتوقيت القاهرة وجد أن شاشة التلفاز قد توقفت لبرهة، لعبة ابنه الصغير توقفت ولم تعد تفعل شيئًا سوى أنها تضئ ولا تستقبل أيَّ أوامر.

ثم ظهر على الشاشة في نفس الوقت رجلٌ متوسط الطول يرتدي ثيابًا بيضاء ويغطي رأسه بقلنسوة من نفس لون الملابس ويرتدي قناعًا أبيضًا بالكامل مرسوم عليه بالأسود شكلٌ غريب وواضحٌ تمامًا، إنه لانفجارٍ نووي!

وبداخله نبتة ما، نبتةٌ خضراء لم تتخط شفته السفلى، هذا الوجه ظهر لمدة ثلاثين ثانية كانت كافية تمامًا، ليراه سعيد ثم بدأ يقول:

إلى كل من أراد يومًا أن يصبح حرًا؛ حرًا من عبودية السادة، الفقر، الجوع، بل والدولة نفسها، استعدوا جميعًا فالحرية على وشك أن تُصبِح بين أياديكم، الحرية فكرة، ولا يوجد من يستطيع أن يسلبك تلك الفكرة، لن يُصبح هناك من يجرؤ على ذلك فعصر النهوض قد بدأ.

اختفى فجأة كما ظهر، وسعيد في ذهول لم يطله منذ زمن، ما هذا؟ ما الذي حدث توًا؟

كل خلايا جسده ترفض التصديق، هل ما رآه حقيقة؟ هل هو الوحيد الذي رأى ذلك؟

هل هو الوحيد الذي استقبل تلك الرسالة؟

لم يستطع أن يجد إجابةً لأي سؤال من تلك الأسئلة فهرع إلى شرفته لينظر إلى الشارع وما وجده كان عجيبًا فكل من في الشَّارع ترتسمُ على وجوهِهم نفس علامَات الذُّهول، من الواضح أنه لم يكن الوحيد الذي شاهد ذلك، وعاد التلفاز للعمل بشكل طبيعي ولكن الغريب أن الأخبار العالمية قد أذاعت أن شخصًا بنفس تلك التفاصيل قد ظهر على شاشات كل الدول ليُحدِّث كل دولة بلغتها، وينطق بنفس الكلمات، هذا الرجل بالمعنى الحرفي للكلمة قد اخترق ذكاء العالم.

٠٢ أغسطس ٢٠٧٠ – القاهرة.

عشرة أيام مرت على ظهور المقنع، العالم في فوضى لا تهدأ بل من كثرة الكلام، وصل الأمر أن بعض الناس قد شككوا به وقالوا إنه مزحةٌ ثقيلة، لا أساس لها من الصِّحة في الواقع ولكن صيته الذي ذاع وقدرته على الظهور على كل شاشات العالم مُحدثًا كل دولة بلغتها جعل منه لغزًا محيرًا، ثم وبدون سابق إنذار ظهر مرة أخرى، هو نفس الشخص، كان مرتديًا نفس الملابس، وما زال قناعه على وجهه يخفيه، وتلك النبتة التي تخطت شفته العليا في مكانها، وجد عبد الحميد نفسه مشدوهًا ومنتظرًا لكلماته.

عبد الحميد؛ هذا الرجل الذي ظل طوال عمره يعمل في هذا المقهى الذي يُعد الأقدم بين مقاهي المنطقة، بآلام ظهره التي زارته إثر وقوفه على "النصبة" ليجهز الطلبات للزبائن، وعرجة قدمه بسبب إصابته في حرب الحدود، تلك التي شنتها الدولة مدافعة عن حدودها وقد استطاعت إلحاقَ الهزيمة بالعدو وبعبد الحميد أيضًا، يشعرُ أنه مهدور الحقّ ومقتولٌ في هذا الوطن وهو على قيد الحياة، وعندما تخرَّج من الكلية وحصل على شهادة التعليم العالي كان يظن أنه سيعمل في شركة محترمة تكفل له الحياة الكريمة، ولكنه لم يكن يملك أي خبرة تؤهله لذلك فلم يستطع أن يكون من أصحاب المحسوبيات، بل إنَّ الوحيد الذى أظهر له الرحمة من أصحاب العمل هو المعلم صاحب المقهى، وجعله يعمل عنده بمبلغ قد لا يكفيه ولكنه يضمن له على الأقل أن يعيش، دون اهتمام أن يعيش بكرامة أو بدونها، هو فقط يعيش!

عندما رأى المُقنَّع في أول مرة شعر بالأمل ينساب إلى قلبه، شعر بأن هناك فرصة حتى لو على سبيل تقديمِ حياته نفسها.

شعر أنَّه عمَّا قريب ستكون له قيمة؛ لذلك وقف ينصت للمقنَّع بكل حواسه، ثلاثون ثانية وبدأ المقنع بعدها الكلام ووقف العالم كله ليسمع:

«إلي كل حاكمٍ مستبد، وإلى كل ظالم، وكل مالكٍ للمال يستعبدُ الناس، لن يكون هناك تحذير بل الإبادة الجماعية لكل من هم على شاكلتك ستبدأ، لا مجال للغفران فخطاياكم لا تُغتفر».

اختفى، مرة أخرى لا يترك أثراً لكنَّه ترك خلفه كثيرًا من علامات الاستفهام، وأسئلة ليس لها إجابة، وترك شيئًا آخر هو ابتسامة على وجه رجل يقف على (نصبة) أقدم مقهى في المنطقة واسمه عبد الحميد.

لا يعلمُ النَّاس من أين جاء أو إلى أين ذهب، وكان كل ما يدركونه أن هذا المقنع قد يحمل الأمل، قد يكون هو طوق النجاة الأخير من هذا المستنقع الذي يعيشون فيه، وبدأت تظهر تجمعاتٍ لتساند هذا المجهول متمنين أن يكون قادرًا على إعطائهم ما يريدون، الحكومات بدأت تتزعزع إثر ظهور هذا المجهول، وثقة الناس بأنفسهم بدأت في التزايد بل أصبح هناك من يطالبون بحقوقهم – على غير العادة – مما جعل رد فعل الدول عنيفًا وأصبح العالم على شفا الحرب، حربٍ عالمية ولكنها غريبة تلك المرة فالخصوم هنا ليسوا جيوشًا, بل الخصوم هم المواطنون أنفسهم .

١ سبتمبر ٢٠٧٠

مناوشات وأحداث شغب كثيرة ما زالت تحدث في كل أنحاء العالم إلى أن ظهر المُقنَّع مرة أخرى على كل الشاشات، لم يتكلم لمدة ثلاثين ثانية ثم قال:

أيها الأحرار، حان الوقت لتأخذوا ما هو لكم، لتتزعَّموا أنفسكم، حان الوقت لتمتلكوا هذه الأرض، سنرسل لكم مفاتيح حريتكم الآن فاختاروا جيدًا إلى أي جانب ستكونون فلن تكون هناك خيارات أخرى.

وفجأة وجد الناس أن شرائحهم الإلكترونية تشعرهم بأن هناك رسائل قد وردت، استعرض البعض تلك الرسائل على شاشات نظاراتهم وعلى شاشات التلفاز أيضًا ليجدوا أنها على شكل بريد مغلق ينتظر إذن الفتح، معنونٌ بعنوان غريب وكان العنوان هو "صك الحرية".

نشرات الأخبار العالمية تذيع ما يحدث في التو واللحظة؛ العالم الآن مليء بصكوك الحرية تلك، والناس قد انقسموا ما بين مصدقٍ لهذه الفكرة وما بين مكذب لها، ويعتقدون أن الحكومة تريد مزيدًا من القمع فتحاول التنقيب عن النوايا التي تريد الانقلاب عليها لاقتلاعها، لا أحد يعلم الحقيقة.

الكلُّ خائف، العالم يرتجف حرفيًا من حكوماتٍ ومحكومين، حسنًا إنَّها بوادر النهاية.

فتح خالد رسالة صك الحرية التي وصلته وهو يرتجف من الخوف؛ الخوف هو تلك الكلمة التي أرقته كثيرًا، تلك الكلمة التي تركت معانيها على جسده بل وأصبح هو الآخر شكلًا من أشكالها، لم ينس أبدًا زوج أمه عديم الرحمة، لم ينس نهيقه الدائم -كما يحب أن يطلق على صوته العالي- وتعديه عليه وعلى أخته بالضرب والسبّ، لم ينسه وهو يضرب أمه أمامه ويجبره على المشاهدة، يوثقه بالحبال ويربطه إلى كرسي ليشاهد كمَّ الإهانات التي تتلقاها أمه، لا يعلم لماذا كان يريد دائِمًا أن يكسره و يذيقه كؤوس الذلّ تلك، لا يعلم لم لا تكفل لهم الدولة عيشة كريمة، ألم يكف هذا الوطن ضريبة فقدهم لأبيهم في حالة إهمال المسئول الأول والأخير عنها وهو الوطن ذاته؟

أبوه لم يكن سوى موظفٍ مات في حادث قطار ككل حوادث القطارات التي تختطف من الناس أحباءهم وأهلهم، كمثل تلك الحوادث التي تدمي القلوب لتدمع على إثرها العيون، وأمه لا تملك ما يؤهلها للعمل فتعتمد على هذا الخنزير ليطعمهم، وقد أظهر المعروف في بادئ الأمر حتى وصل الحال الآن لما هم فيه، لم يستطع أبدًا أن يزود عن أمه أو أخته التي كان يطالها الأذى هي الأخرى فضعف بنيته كان السبب وراء تجبر هذا المعتوه زوج أمه.

الذكريات تطارده ويحاول أن يأذن لشاشته ليفتح صك الحرية لولا أن فرت من عينه دمعة مثقلة بهم كبير، تذكر، تذكر أمه التي لم يكن لها ذنب في تلك الحياة سوى أنها تزوجت رجلًا كهذا، تذكرها وهي تبكي عندما ضربها آخر مرة، كانت بالفعل آخر مرة فقد أمسك هذا المعتوه رأسها وظل يضرب بها الحائط حتى فقدت القدرة على المقاومة تماما.

كان خالد يحاول الدفاع عن أمه لولا أن زوجها لطمه لطمةً أسقطته مغشيًا عليه، ساعاتٌ مرَّت أفاق بعدها ليجد نفسه في فراشه والجيران حوله يبكون، قام مهرولًا من سريره والطريق ترسمه له دموع عينيه ليذهب الى حجرة أمه فيجدها ممدَّدةً فوق فراشها وقد تمَّ تغسيلها وتكفينها ولم يظهر إلا وجهها، نظر إليها يستجدي منها الروح في أي عبرةٍ من عبراتها، لا يريد أن يصدق أنه قد فقدها هي الأخرى، نظر لها ورآها تبتسم كما عهدها دائمًا وبكى بحرقة كادت منها دموعه أن تُذيب لحم وجهه، بكى كما لم يبك من قبل، ولم يعلم وقتها لماذا مات أبوه ولماذا رحل دون أن يترك لهم ما يحتمون به، الدموع تنهمر، لماذا لم يترك لهم وطنًا يعطيهم حق الكرامة؟

لم يعلم هل يلوم أباه على ذلك أم هل يلوم الله ذاته فاحتضن أخته الصغرى وقد عزم ابن الاثنا عشر عامًا أن يثأر، وما إن مر اليوم الثالث على وفاة أمه حتى أخذت خالته أخته لتبقى معها وطلبت منه أن يأتي هو الآخر ولكنه رفض فتركته عازمةً على أخذِه فيما بعد، عاد زوج أمه مخمورًا كعادته فدخل المنزل و قبل أن يضيئ الأنوار تلقى ضربة على مؤخر رأسه ليسقط بعدها مغشيًا عليه، رويدًا بدأ يفتح عينيه، عقله لم يستوعب بعدُ ما يحدث، ما أن أفاق حتى وجد خالد يقف أمامه وقد كاد شرر عينيه أن يشعل النار حوله، أراد أن ينهض فوجد نفسه مقيدًا بسلسلة حديدية في كرسي حديدي، حاول الفكاك ولكنه لم يستطع فنظر إلى خالد الذي ظل محدقًا فيه ولم ينطق بكلمة.

لحظات وبدأت أنفه تشتم رائحة غريبة؛ إنها رائحة غاز ما، التفت بخوف ليجد الموقد وقد أديرت كل مفاتيح الغاز فيه عن آخرها لتطلق له العنان، نظر مجددًا لخالد الذي أشعل قداحة أبيه القديمة وملامحه الجامدة شقتها ابتسامة طفيفة، يشعر أنه بعد قليل سيظفر بثأره لأمه، فهمَ زوج الأم ما يدور فقام مثقلًا بالكرسي منطلقًا نحو خالد الذي تملكه الرعب من هذا الثور الآدمي فألقى بالقداحة في الهواء موجهًا إيَّاها إلى الموقد ليلتقط الغاز من لهيبها حياته ويبدأ في الاحتراق فيضيء المنزل محترقًا بنار غضب هذا الفتى، حاول الفرار إلَّا أنَّ هذا الوحش الذي شبت فيه النار سقط عليه ليحترقا سويًا، النار تحرق جسد خالد ووجهه ولكن زوج أمه سقط من إثرها عليه وقد استباحت النار جسده، خالد لم يستطع أن يقومَ بحروقه تلك ولكنه قاتل إلى أن وقف على قدميه، الدخان الكثيف يملأ رئتيه، يشعر بنفسه يتهاوى وقدماه لا تحملانه، سقط ليصطدم وجهه بالأرض صدمةً سالَ دم أنفه بعدها، ثم نظر إلى الباب الذي حاول أن يبلغه ليكون آخر ما يراه وأظلم كل شيء بعد ذلك.

أفاق في المشفى مغطىً بشاش أبيض كثير في معظم جسده، سمع الطبيب يحادث أحدًا وقد ذكر حالته، سمعه يقول إن معظم جسده قد طالته النيران، ظن أنه تخلى عن خوفه بتخلصه من زوج أمه لكن ها هو الخوف يضرب أبواب عقله مرة أخرى، كيف سيكون شكله؟!

كيف سيتقبله الناس والمجتمع؟ بل كيف سيتقبل هو نفسه بعد ذلك؟!

انتظر حتى المساء وفرَّ من المشفى، فرَّ بعد أن رأى مظهره الذي يحمل فيه كل معاني الخوف والحقد، ذهب ولم يعد مجددًا، ذهب ليقابل مصيرًا مجهولًا في وطن لا يعلمه بين شرٍ استبان وظهر في معالم الناس وأفعالهم وفي نظراتهم، أصبح يخاف أكثر من ذي قبل، أصبح يخاف حتى من نفسه.

كل تلك الذكريات ألهبت ذاكرته أكثر فأكثر فتذكر كم مرةً تم رفضه من شركات عدة بعدما جاوز العشرين عامًا وقد رغِب أنْ يعمل عملًا شريفًا، يتذكر كمَّ الإهانات التي تعرَّض لها على الدوام سواء في مقابلات العمل او حتى في الطرقات، رأى كمَّ الخوف الذي يعتري الكثيرين عندما يرونه وتذكر ما وجب عليه أن يفعله الآن، لن يزيد من خوفه شيئًا، سيفعلُها ولتكن العواقب كما تشاء، مسح دموعه ليرى الرسالة التي تنتظر الإذن لتعرض محتواها وما إن أعطى الإشارة بعقله للشريحة حتى فُتحت أمامه ليقرأ ما فيها بكل وضوح

وقد كانت:

«أخي خالد:

لا تعجب أنَّ الرسالة موجَّهة إليك فنحن نعلم من أنت وندركُ ظلمك وقهرك وخوفك الدائم، لا تجزع منَّا، وإن لم ترغب في إكمال ما سوف يبدأ فابدأ الإلغاء ونعدك أنَّنا لن نزعجك بنا مرة أخرى، وإن أكملت فاعلم تماما أنه لا مجال للتراجع، وقبل أن تَحكم على أي شيء انظر لوثيقتنا واقرأ ما بها جيدًا وحدِّد اختيارك».

"صَك الحُريَّة"

إنَّ الحرية حق مشروط لكل إنسان مهما كان لونه أو دينه أو عرقه، ولكن الحرية التي بلا ضوابط تؤدي إلى الهمجية وعدم احترام الذات؛ لذلك وبموجب هذه الوثيقة وبالإقرار بالموافقة على ما بها من تعليمات وتصريحات يصبح حاملها مؤهلًا للوصول إلى ملاجئنا والاحتماء بنا للنجاة من الانفجار الكبير

وتلك التعليمات كالآتي:

١-اعلم جيدًا أننا أخوة وأن ما يربطنا أكثر من دم أو دين أو عرق فنحن جميعًا إنسان.

٢- ليس من الحرية أن تصبح غير مسئول، يجب أن يكون لك دورٌ في بناء العالم الجديد.

٣- سنشكِّل العالم ونعيده للصفر، وستكون أنت اللبنة الأولي له فلا تنزعج من ذلك.

٤- لك كامل الحرية في معتقداتك ولكنها ستخصُّك وحدك فلا تطالبنا بها.

٥- العدل سيتم تنفيذه مهما كانت الظروف.

٦- سنعطيك كل شيء مقابل ولائك الكامل لنا.

٧- لسنا متعصبين دينيًا، نحن مجرد مفاتيح للعالم الجديد فلا تخف.

٨- بعد أن توافق أن تصبح أخًا لنا وتعِدُ أنك ستبذل كل ما تستطيع لإعادة تشكيل وبناء الأرض سنضمن لك ولعائلتك وكل من هم من نسلك أن تعيشوا بسعادة وفقًا لقوانين الإنسانية ومبادئنا.

٩- الحرية غالية جدًا وسنبذل من أجلها حيواتنا إن لزم الأمر.

١٠- أمر المُعلم الأكبر نافذ دائمًا ولا مراجعة فيه.

١١- لكل منَّا دور يقوم به وكلنا بنفس الأهمية، لا نريد أن يضيع كل التقدم والعلم الذي وصلنا إليه، ستساعدنا على الاستمرار فأنت أهم فرد فينا.

١٢- إن كنت طبيبًا أو مهندسًا أو معلمًا أو صاحب أي لغة فأعلمنا بذلك.

١٣- إن لم تكن لديك تلك المهن فأنت اللبنة الأولى وستُلقَّب بالبنَاء.

الموافقة على هذا الصك تعد بمثابة موافقة فردية إلا لمن هو مسئول عمن لم تتجاوز أعمارهم العشر سنوات، أمَّا من هم أكبر من ذلك فلهم كامل الاختيار.

ذُيلت تلك الوثيقة باختيارين: موافق ولا أوافق، ثم وبكل أريحية ضغط على زر ما.

٠١ سبتمبر ٢٠٧٠

الحماس يتزايد ويرافقه الشك، العالم يتأرجح بين كفتي المصدِّق والمكذب، ولا أحد يدرك الحقيقة، كل من وصَلته الوثيقة ووافق عليها ساوره الخوف والشك لكن لن يكون هناك أخوف على الإنسان من حاضرٍ يدمر الإرادة أو مستقبلٍ مجهول الملامح، وكل من لم يوقع حتى الآن يشعر أنَّه يفوِّت حدثًا هامًا بل وفرصته الأخيرة للنجاة.

المقنَّع لم يظهر، لم يقل أي شيء، حسنًا الأمر محتوم، ما كان كل ذلك إلا لعبة من الحكومات نفسها لتبثَّ الرعب في قلوب العالم ولكن مهلًا، كيف للحكومات أن تبثَّ رعبًا يرافقه الأمل؟!

وكيف ستتفق حكومات العالم على شيء من الأساس؟!

ما هذا الضباب الذي نعيشه؟!

ما هذا الأرق؟!

بالرغم من أنهم يريدون منه الظهور الا أنَّهم يخافون من ظهوره أيضًا، ولا أحد يدرك العواقب، لا أحد.

١٨ سبتمبر ٢٠٧٠

الكل ما زال يتساءل والعالم قلق، وفجأة يظهر المقنَّع بقناعه المعهود وتلك النبتة التي تخطَّت مكان الأنف ولها زهرة تستحي أن تظهر، لا أحد يعلم لماذا كانوا يشعرون أنه يبتسم بالرغم من عدم ظهور أيٍ من ملامحه لكنَّهُم تبسموا هم أيضًا، لم يبتسموا فقط بل أصبح فرحًا عارمًا، والصيحات تعالت مع تصفيقاتٍ وصفيرٍ حاد، فهم يرونه البطل المخلِّص، يرونه الأمل

ثم تكلم قائلًا:

«آن الأوان يا إخواني، كلُّ من وافق على الوثيقة قد حمل معنا مسئولية تجديد هذا العالم، نشكر كل فرد منكم مقدمًا، أمَّا المعاندون فالآن لا مجال للتراجع ولتدركوا تمامًا أنكم السبب في محو الكوكب كله، والتاريخ سيذكر ذلك جيدًا فنحن من سيكتب هذا التاريخ الجديد».

اختفى كما هي عادته، لم يحرك أحدٌ ساكنًا إلا إنهم جميعا وجدوا رسائل تصل لشرائحهم مفادُها واحد (أرضٌ جديدة، حياةٌ جديدة، آخر يوم في ديسمبر نهاية العالم)

أصاب الهلع كل الناس فلا أحد يدرك الحقيقة ولا أحد يدرك ما سيفعله هذا المقنَّع.

٢٠ سبتمبر ٢٠٧٠

رسائل نصية تصل إلى الشرائح الإلكترونية تقول:

«لقد تسلمنا وثيقتك، فلتعِدَّ نفسك أنتَ ومن معك وتجهزوا للرحيل، انتظرونا».

١ أكتوبر ٢٠٧٠

مرت عشرة أيام أخرى دون أن يظهر المقنع، إرادة الناس توجهت صوبه وتعلقت حبائل آمالهم به فقط، حتى أن بعضهم ظلوا يصلون ويدعون أن يكون سالمًا وبخير وأن يكون حقيقةً وليس كذبة أخرى مبتدعة.

إنَّه الأمل الذي عندما تعلقه بشخص ما فقد وضعت كل مشاعرك الحبيسة على عاتقه، ولا تستطيع أن تقبل حقيقة فقده أو عدم وجوده، أنت فقط تريده بأي شكل، تريده وإن كان محضَ خيال!

الناس خائفون، الذعرُ يحفرُ طريقًا لقلوبهم لم يعرفوه من قبل؛ فمعظم الناس يختفون دون ترك أي أثر بعد أن وصلت الصكوك لكل الناس واتخذ كل منهم

قراره بدأوا في الاختفاء، حتى الجيران لا يدركون ولا يعلمون عن جيرانهم غير أنهم استيقظوا ذات صباح فلم يجدوا لهم أثرًا فما كان من الناس إلا أن فسَّروا ذلك الأمر برمته أنه من صنع الحكومة لتقتلع أي بذرة مقاومة فيما بعد، ولكن لم تكن هناك إجابةٌ شافية، بكل بساطة لأن من اختفوا لم يظهر أحدٌ منهم مجددًا، لا أحد.

على المقهى يجلس عماد يُنهي مشروبه الذي قد لا يستطيع تمييز طعمه، هو فقط شيءٌ ساخن لا أكثر، وصله صكُّ الحرية هو الآخر، بقي عِندَها محدقًا في فراغ ما وراء عدسة نظارته، يريد أن يوافق ولكنَّ قلقًا ما بداخله يتزايد، يتكلم مع الناس من حوله ويريد أن يستشف ردود أفعالهم حول تلك الوثيقة، هو يدرك تمامًا أنَّه لا يملِكُ الشجاعة الكافية ليوافق، لا يستطيع أن يفعل ذلك فدائمًا كان يسير خلف الجموع أمَّا رأيه فهو معدوم تمامًا ولم يكن له رأيه الخاص أبدًا لذا لا يستطيع بكل بساطة أن يتخذ قرارًا فإرادته المسلوبة تجعله فريسة لهزائم نفسية عديدة.

حتى أنه جراءها ترك نفسه لتسير به الدنيا و تفعل ما تفعل، أنهى مشروبه غير المعروف ذلك لينتصب قائمًا رافعًا صوته لكلّ من حوله

وهو يقول:

«حسنًا، لقد وافقت، إن كان من فعل ذلك هي الحكومة نفسها فلتأخذني من هنا، وإن كان من فعلها هو المقنَّع فأنا على الطريق الصواب، ولتعلموا جميعا أنني وافقت، لتدركوا اختياري ولتشاهدوا مصيري فمهما كان فهو اختياري الذي لم أختره منذ زمن طويل، ومهما حدث سأكون سعيدًا به».

لم يتحدث أحد ولم ينبس أحد بحرف واحد فالكل كان يعيش حالة الذعر نفسها لكن عماد هو الوحيد الذي أخبر من حوله باختياره الذي من المفترض أنه يخصه وحده، الخوف مازال يسيطر على الناس من أثر كل ما عانوه قبلًا ومع ذلك يتطلعون ويحرقهم الشغف ليعلموا ماذا سيحل بعماد فيما بعد.

في صباح اليوم التالي كان رواد الأمس هم نفس الرواد ذلك اليوم فقط بدافع الفضول كانوا موجودين، يتآكلون من الداخل، يريدون أن يعلموا ماذا سيحل بذلك الرجل الذي يجلس هنا دائمًا، ثم كانت المفاجأة فقد وجدوه جالسًا بذاته يحتسي نفس المشروب الساخن محدقًا في فضاء ما وراء نظارته، يشعر بتيهٍ ولا يدري ماذا يفعل حياله، يغلفه اللون الرمادي بكآبته وصمتٌ مطبق لا يخبر بشيء.

١٠ أكتوبر ٢٠٧٠

ككلِ صباحٍ قاهري قاتم، وكأن الضوء قد نسي مهمته في تبديد ظلام الليل، تنظر إلى السماء فلا تدري أهذا الصباح حقًا أم أنه خدعة أخرى؟

تتساءل أين الشمس بذهبيَّتها، وأين الدفء الذي كانت تنشره كل يوم؟

وكأن الليل جاثم على صدر الصباح؛ فالضوء خامل والهواء ثقيل، وكل شيء مقيت، لقد كان صباحا آخر من صباحاتِ القاهرة.

صمت كامل وكأن الزمن ذاته قد توقف ليظهر المقنع على الشاشات مرة أخرى، مرت ثلاثون ثانية وهو بقناعه الذي ظهرت فيه تلك النبتة وقد صعدت على أنفه، الكل مشدوه منتظر لما سيقوله، الكل يود أن يحدث شيء، أي شيء، فأعصابهم لا تحتمل كل هذا التشويق، كل هذا الضغط النفسي والعصبي أصبح لا يطاق، في قرارة أنفسهم يتمنون منه أن يقول شيئًا مغايرًا، أن يقول شيئًا مريحًا يجعلهم يصدقون الأمل الذي أعطاهم إياه،

صمت الجميع إلى أن نطق قائلًا:

«أيها الأحرار، وصلتكم وثائقكم وقد اخترتم ما تريدون بكامل الحرية، نعلم أنكم تتساءلون عن جيرانكم ومعارفكم الذين يختفون دون ترك أي أثر، ندرك تمامًا هلعكم وخوفكم من أن يكون كل ذلك من فعل الحُكَّام والحكومة ذاتها، اطمئنوا فنحن لسنا هم، نحن أصحاب كلمة الحرية ولتدركوا أن من وافق على وثيقته قد أخذناه نحن دون ترك أي أثر، ومن جهر بموافقته ستجدونه مازال بينكم، لا نريد أن يكون بيننا جواسيس لذلك من نتحصَّل عليه يبقى لدينا دائمًا، ولمن أفسد قراره في المرة الأولى ها نحن نعرض عليكم فرصةً ثانية، وسنرسل صكوكَ الحرية مرة أخرى وحيدة، مرةً واحدة فقط لتراجعوا قراراتكم التي اتخذتموها قبلًا ولتفكروا مليًا فيما يجب أن يحدث، واعلموا أنَّنا لسنا هم وإن كنتم لا تصدقون فتذكروا ما كان يُدعى ببرج القاهرة».

فجأة قفز إلى بالهم هذا الحدث الذي كان كارثةً في وقتها، عندما تم تدمير برج القاهرة منذ عشر سنوات، و هو الذي كان رمزًا للقوة المعمارية بل وأصبح رمزًا قويًا للنظام ذاته، فقد تمت إضافة الكثير والكثير من الحداثة له ليصبح المسئول الأول والأداة الأكبر لمراقبة الشعب من قِبل الحكومة، وما إن أفصحت الحكومة عن قوتها تلك و قدرتها في جلب كل ما يريدونه من أسرار الناس حتى تم تدميره دون معرفة الفاعل، والمقنَّع الآن ينسب هذا الحادث لنفسه ولجماعته فإن كان كذلك فعلًا فهو أمل جديد، و إن لم يكن فما هو إلا غمامةٌ سوداء أخرى حلت على رؤوس الجميع

١٢ أكتوبر ٢٠٧٠

حالات الاختفاء زادت والكثيرون بالفعل قد وافقوا، لكن من رفضوا أول مرة حُرموا من سهولة أخذهم من بيوتهم وتم إرسال رسائل إليهم ليكون نصها

«قبلنا توقيعك، أنت واحد منا فاستعد بمن وافقوا معك من أهلك على هذا الصك وانتظر توجيهاتنا قريبا»

استقبل عماد تلك الرسالة وقد همَّ أن يجلس على المقهى كعادته ولكنه سرعان ما عزف عن تلك الفكرة وسار مسرعًا متوجهًا إلى بيته حتى أنَّه لم يلق السلام على عبد الحميد الموجود دائمًا على نصبة المشروبات، لكن تلك المرة كانت مختلفة فعبدالحميد لم يكن موجودًا.

الرسالة الثانية التي وصلت للناس كانت مقتضبة للغاية ولا يوجد بها سوى العنوان فقط

"تحرك إلى شارع ٦٢ يوليو – ممر بور فؤاد – فندق بارادايس بعد ٥١ دقيقة"

هذا كان نص الرسالة التي وصلت إلى عماد ولكنه ما إن نظر من شرفته حتى وجد رجلًا قد خرج من بيته ومعه أولاده، لقد أدرك تمامًا أن هذا الأخير فد تسلم رسالته ووقته، ولكن مهلًا لقد أرسلوا له ميعاد التحرك فهل يطيعهم ويبقى أم يلحق بهذا الرجل؟!

ولكنه آثر أن يطيع إلى أن انتهت الدقائق المقصودة فأخذ زوجته التي قد أطاعته بقبول الصك على مضض، وكيف لا تطيعه وقد رأت بنفسها جيرانهم الذين تكلموا بالسوء عن الأخوية والمقنَّع بيوتهم فارغة إلا من دماء طازجة!

نزلت معه وطفليه إلى العنوان المذكور وهو ما زال لا يدري ما يفعل بعد ذلك.

العراقة بل و الأصول التي قد محاها الناس والزمن من أذهانهم قبل أن تُمحى من الواقع، ترى الناس يسيرون كأنه يوم الحشر وهنا المحشر، التجمعات كبيرة وهو خائفون يرتجفون، الكلُّ ينظر إلى الكل والرعب هو المسيطر والصمت يسود الموقف، يسيرون في هذا الشارع الذي لطالما ازدحم بالمحال وكثُر فيه البيع و الشراء، هذا الشارع الذي يحكي قصصًا كثيرة لم يعُد هناك وقت ليقصها عليك بل لم يعد هناك وقت لأي شيء، تدرك وأنت بين جنباته أنك ستشعر بالحنين، أنك ترى الفراق بأم عينيك الآن، جموع الناس تتحرك، يسيرون في الشوارع، ينظرون الى كل ما هو بناية قديمة و شارع وحارة، ينظرون إلى التشوه الذي طال تلك الأرض فأصبحت أطلالًا لماضٍ بعيد فتضيق صدورهم ويتألمون لفراق تلك الأرض برغم أنهم ظُلِموا فيها.

يدركون تمام الإدراك أنَّ الذَّنب لن يكون على الوطن ذاته، يعلمون أنهم هم من حطموا الأوطان وضيعوا الأرض برضوخهم للطغاة، الدموع تفلت من المقل ويشعرون أن هذا يحدث فعلًا، إنها المرة الأخيرة التي سيرون فيها تلك الأرض التي يعرفونها، المرة الأخيرة التي يحتضنهم فيها الوطن قبل أن يصبح رمادًا.

رسالةٌ أخرى وصلت فترى أن المشهد مهيبٌ جدًا فالكل قد اطَّلع عليها من خلال نظارته في نفس اللحظة لينظر إلى فحوى الرسالة ويجدوا هذا الأمر المباشر

"اذهب للبناية التي أمامك، ادخلها ولا تنظر لسلم الصعود، ابحث عن سلم النزول وانزل للأسفل، ابق هناك ولا تحاول الخروج أبدًا"

الأمر في مراحله جدية جدًا الآن، الناس بدأ بعضهم يهمهم بأنه لا يريد أن يفعل ذلك، لا يريدون أن يظلوا هكذا دون فهم ولكن سرعان ما وجدوا أن المقنَّع قد ظهر على الشاشات المتبقية التي تعمل

وبعد ثلاثين ثانية قال:

«حان وقت الظلام ومنه ينبثق النور، حان وقت الإظلام وبدأ عصر الحرية، اليوم نحن نملك أسلحتكم ونملك قنابلكم النووية، أيامٌ تفصلنا عن استعمالها ولكننا نقولها لكم الآن: سنمحو الأرض التي تعرفونها وبما كسبت أيديكم».

الرعب يدب في القلوب ولا مجال للتراجع الآن، الكل يهرول إلى المكان المذكور في رسالته، يدخلون إلى الفندق كأسراب النَّمل الهارب من خطر داهم والهرولة كادت توقعهم، ضجيج وقع أقدامهم يهز المكان هزًا، ما أن وصلوا إلى آخر سلم النزول حتى وجدوا بابًا مهيبًا لا يصدقون أنه قد يكون هناك باب بهذا الحجم -خصوصًا تحت الفندق العتيق الذى دخلوه- مفتوحًا على مصراعيه، دلفوا إليه وهم يسيرون في ممرٍ تحيط فيه بهم الأنوار من على الجانبين ليبرز لهم الطريق واضحًا، يسيرون دون هدى ودون رجعة، وما إن دخل آخر شخص من الباب حتى سُمع صوت تحرك الباب لتتقارب بوابتيه من بعضهما وينغلق تمامًا، الهلع و الذعر يعتريهم ولم يكن هناك طريق سوى أن يكملوا ما بدأوه فبدأوا يسيرون في الممر حتى خرجوا إلى ردهة واسعة وما أن اكتملوا داخلها حتى أُطفِئت أنوار الممر تمامًا ليغلق الممر بابًا قد ظهر من العدم ويجدوا أنفسهم في تلك الردهة التي لا يوجد بها أي مخرج آخر، ردهة بيضاء واسعة دائرية ثم فجأة بدأت في التحرك، مهلًا إنها تتحرك للأسفل، أهناك أعماق أخرى أبعد من ذلك؟!

بدأت في النزول بهم رويدًا رويدًا ثم ما إن لبثوا حتى بدأت تزول تلك القبة التي لم يكونوا على علم بوجودها إلى أن تحركت هي الأخرى ليظهر بدلًا منها قبة زجاجية تسمح لهم جميعًا بالرؤية، ويا لعجب ما رأوه!

كانوا يدركون جميعًا في قرارة أنفسهم أنَّ المقنَّع وأخوية المجددين أقوياء جدًا ولكن لم يستطيعوا أن يدركوا هذا الحد من القوة، تلك الردهة المتحركة ما زالت تهبط بهم وينظرون من خلالها فيرون هذا الاتساع السحيق الذي يحيط بهم ولا يصدِّقون، أكلُّ هذا تحت الأرض؟

ما زالت تهبط بهم ويرون ممراتٍ عديدة بالأسفل ومن على الجوانب أعمدة معدنية طويلة وعريضة وغريبة الشكل والتصاميم، مهلًا إنهم يرون أناسًا أيضًا بالأسفل، إنهم يرون أرضًا جديدة، يرون ما يشبه الثكنات والمراكز، الذُّعر من هذا المكان قد وصل إلى ذروته حتى أن بعضهم بدأ ينهشه البكاء مما دفع الكثيرين حوله ليفتحوا نوافذ دموعهم لتفيض بما فيها، هم لا يدركون لم يبكون أهو شعور الفقد أم شعور الخوف أم صدمة ما يجدوه؟

أحاسيس متراكبة متداخلة لا يستطيعون تحديدها، ولكنهم يبكون وهذا ما يهم الآن.

رست بهم تلك الردهة المتحركة على الأرض لينسحب بعدها الغلاف الزجاجي ويتلاشى تمامًا مما يعطيهم حرية الخروج، بدأوا في الخروج وهم ينظرون إلى الناس الموجودين حولهم الذين يقابلونهم بابتسامة لا يعرفون مصدرها وملابس تتشابه مع بعضها سواءً في الشكل أو في بعض الألوان، الخوف يأكلهم و الصمت يضربهم في مقتل حتى خرج من بين الجموع رجلٌ متوسط الطول يرتدى ملابس باللون الأبيض وقلنسوة بيضاء وقناعًا مألوفا لدى الجميع، قناعٌ قد رسم عليه انفجارٌ نوويٌ عظيم وبداخله نبته تزهر زهرة لم تتفتح بعد وتميل لتصل إلى أسفل عينه اليمنى.

تهللت أساريرهم وفرحوا جميعًا فها هو البطل المخلص يظهر أمامهم الآن بشحمه ولحمه، حسنًا إنها ليست خدعة من خدع الحكومة وليست وهمًا، إنها الحقيقة، الحقيقة المطلقة والمجردة من كل شيء وهم الآن على حافة نهاية العالم بالفعل!

ثم بدأ المقنَّع يتكلم _صوته يشعرهم لوهلة أنه مهما عظم الأمر فهُم في أمان_ وقال مُخاطبًا إياهم:

«أهلًا بكم أيها الأحرار، أهلًا بكم بين عائلتكم وعالمكم الجديدين، لا تجزعوا أو تهابوا ما ترونه فقريبا ستستطيعون أن تفهموا كل شيء، أما الآن فإن إخوانكم الذين قد جئنا بهم مبكرًا سيساعدونكم ليذهب كل منكم إلى مسكنه، تفضلوا وليحيا العالم الجديد».

تحركوا جميعا عندما تحرَّك المقنَّع ليجدوا خلفه ممرًا طويلًا ببوابةٍ شفافة يقف عليه اثنان يعطونهم أشياءً، إنها مفاتيح، مفاتيح قديمة الشكل جدًا ولكنها حديثة الصنع ومليئة بالتكنولوجيا بل ومنقوش عليها أرقام، و بنفس الابتسامة قال لهم الموزِّعون أن تلك الأرقام ستكون أرقامهم وأرقام حجراتهم أيضًا، دلفوا على اختلاف أحوالهم؛ فمن له أسرة يحيطهم بذراعيه وهم يتعلقون به، ومن هو وحيد يبحث عن مسكنه، واستطاع كل من حصل على مفتاح برقم أن يجد حجرته التي تزينت بنفس الرقم ودخل المفتاح في بابها ليضيء بالأخضر سامحًا بالدخول ويدخل كل واحد منهم إلى مسكنه، الغريب أن من معه أسرة حجرته أوسع من المنفرد بل إن الفُرشَ تختلف في عددها فلكل أسرة عدد أسرَّة بعدد أفراد الأسرة، وكل مسكن على يمينه مرحاضٌ صغيرٌ يفي بالحاجة، كما تلاحظ داخل المسكن فوق الباب مباشرةً من الداخل أنَّ هناك شاشة كبيرة تعمل طوال الوقت خلفيتها بنفس قناع المقنع.

نظر سعيد بعد أن جلس على أريكته بداخل المسكن الجديد وقد وجد ملابس مناسبةً له تمامًا بل وكل فرد في أسرته أيضًا، استطاع أن يتأقلم مع المكان الجديد منذ أن أحضروه ولكنه ما زال يشعر بالغربة والوحدة، بالحنين لشيء لا يدركه، الوافدون الجدد قد تسلموا مساكنهم هم أيضًا ومن الواضح أن الأمور ستظهر على حقيقتها قريبًا، ولكن مهلًا إن النبتة الخضراء الظاهرة على وجه المقنع ليست بالاخضرار القوي، يشعرُ أنها تفقد بعض لونها، يشعر أنَّها باهتةٌ قليلًا.

ولكن مهلًا هؤلاء لا يمزحون فإن اختلاف القناع في كل مرة ووجود النبتة فيه كان دليلًا على تقدمهم في خطتهم تلك، هل يكون هذا الانطِفاء من ضمن الخطة أيضًا؟

هل سيصبح هذا الأمل أملًا زائفًا ولن يجنوا من ورائه خيرًا؟!

لا يعلم، ولكن مهما حدث فقد اتخذ القرار وها هو الآن يعيش في المسكن الجديد، يعيش تحت الأرض!

لم يستطع خالد أن ينسى تلك التفصِيلة التي على وجه المقنع، هذا اللون الذي صاحب تلك النبتة ليزيدها اخضرارًا فوق اخضرارها، هل بهذا يشيرون أن الأرض ستعود خضراء تمامًا؟

ستعودُ كما كانت قبل البشر، ولكن مهلًا إن عادت الأرض خضراء كما كانت فلن يكون هناك نظام؛ فقد كانت غابةً كبيرة يأكل القوي فيها الضعيف ويظلم الناس بعضهم، لا يدرك هل هذا ما سيحدث فعلًا أم أنه يبالغ في الأمر، يعتقد داخله أن على خطأ فقد كانوا صادقين في كل شيء حتى الآن، لا يعتقد أنهم سيتركون الغابة تنمو أكثر ممَّا تستحق، ولكن مهما حدث فهو يثق تمامًا بالأمل الذي بين يديه، يثق بالأخوية وقد ألِف مسكنه الجديد ويشعر بحرية نسبية، حسنًا الأمور تسير على ما يرام إلى الآن أما القادِم فهو مجهول له وللجميع، مجهولٌ تمامًا.

الجميع الآن تأتيهم التوجيهات عبر الشاشة في سكنهم فما إن حلَّ وقت النوم ظهر أمامهم على الشاشة أن الوقت الآن هو العاشرة مساءً وستنطفئ الأضواء بعد ثلاثين دقيقة ليظهر أمامهم مؤقت به الثلاثين دقيقة ولكن بعد تنازلي، وبدأ كل فرد يدخل في فراشه لا يدرك ماذا سيحدث ولا كيف ستكون الحياة ولا حتى متى سيستيقظ، الاستسلام الآن هو الأفضل، الاستسلام لكل شيءٍ حتى للنوم، وما إن مضت الثلاثون دقيقة حتى انطفأت الأنوار ليسود الظلام ويصاحبه الصمت، وجهلٌ بكل ما هو قادم.

صوتٌ غريبٌ يصدر من الشاشات ليستيقظ الجميع بعدها، مهلًا تلك الساعة على يمين الشاشة لم تكن موجودةً من قبل أو أنها قد كانت موجودة ولكن لم يلاحظها أحد، ظهر أحد الأشخاص ليخبر الناس أن الصباح قد حل وحان وقت الخروج للتعرف على كل شيء جديد، على عالمٍ مغاير تمامًا لما يعرفونه، خرجوا ليجدوا أنَّ هناك الكثير من الشاشات التيً قد ظهر عليها نفس الشخص ويوجههم يمينًا ويسارًا ولا يكف عن الكلام أبدًا، كأن يقول:

"إنَّ النَّظام الذي نتبعه الآن مختلفٌ كليًا وسيغير كل شيء"

يسيرون قليلًا بتوجيهاته ليغيِّر جملته فيقول:

"الأخوية تسعى لمجد البشرية كلها»

ظلوا على تلك الحال حتَّى وجدوا أنفُسهم في قاعة كبيرة مليئة بالطاولات المعدنية المستطيلة والكراسي على كل جوانب الطاولات الأربع وبها مدخلٌ يتوافق مع المفاتيح التي تسلموها قبلًا، وجدوا أن المتحدث من الشاشة يخبرهم أن يجلسوا ويُدخِلوا مفاتيحهم في مداخل الكراسي فاتخذوا مجالسهم أمام الطاولات الفارغة وأدخل كل منهم مفتاحه في مكانه، ثم خرج من وسط كل طاولة مكعبٌ به فراغات بعدد الكراسي وبداخل كل فراغ من تلك الفراغات طبقٌ مستطيلٌ به بعض الطعام، وتحدث الرجل من الشاشة قائلًا:

«تلك وجبة الصباح، ستأتون هنا دائمًا في تمام السابعة وستأكلون وجباتكم خلال ثلاثين دقيقة وبعدها سيبدأ العمل، تفضلوا ابدأوا وقريبًا ستعلمون كل ما تريدون».

شرع الناس في التقاط أطباقهم من داخل تلك الفراغات التي احتلت مكانها في المكعب على الطاولة ليجدوا أن الطَّعام عبارة عن خبز وثمرة خيار وشيءٌ هلامي عديم اللون وزجاجة صغيرة من المياه.

نظر أحد الجالسين إلى الشيء الهلامي بتقزز فلاحظ الجالس بجواره ذلك فقال له: «هل يصيبك هذا الشيء الهلامي بالتقزز لتلك الدرجة؟»

فأجابه المتقزز قائلًا: «بل أكثر مما تتخيل».

فردَّ عليه الرجل الآخر قائلًا:

«حسنًا، تخيَّله أي شيء تشتهيه، هو عديم اللون والطعم والرائحة لكن لا تنظر له إنه سيء بل تخيله أكثر شيء تشتهيه، واعلم أنَّنا لسنا في رفاهية طلب أصناف الطعام يا صديقي».

نظر إليه المتقزِّز وهو ينقل بصره بينه وبين الشيء الهلامي ثم فكر قليلًا فوجد أن الجالس بجواره يتكلم بمنطق صحيح فلا توجد رفاهية اختيار الطعام هنا، بدأ في تخيل هذا الهلام أنه شيء ما، ثم حمل منه ما استطاعت ملعقته أن تحمله ودسَّه في فمه دون اعتراض.

أكل الجميع في نهم، وحين أنهوا وجبتهم فظهر نفس الرجل على الشاشة مرة أخرى موجهًا إياهم لمكان آخر ودون اعتراض سار الجمع حسب التوجيهات، يسيرون على أرضيةٍ رخاميةٍ تارة ثمَّ يجدونها طينية تارةً أخرى، جنبات المكان تتغيَّر ما بين الطينية والحجرية، رائحة المكان نفسه وكأنَّما السماء قد امطرت هنا منذ قليل، ثم يتبدَّل لجو خانقٍ شديد الرطوبة لا تقدر على التنفس فيه، وقع نعالهم يتبدل كلما تبدلت الأرضيةً التي يسيرون عليها فتارةً يشعرون أنهم جيش عرمرم من إثر سيرهم على الأرضية الرخامية، وتارة يشعرون أن أعدادهم مهما كثرت فهي ضئيلة جدًا، ظلوا يسيرون إلى أن وصلوا إلى مكانٍ واسعٍ فسيحٍ جدًا وبه بالأعلى شاشات عملاقة معلقة ثمَّ وجدوا أن هناك أماكن أخرى يتوافد منها الناس حتى أصبحت أعدادهم مهولة، ثم فجأة ظهر المقنَّع على الشاشات العملاقة. ظهر وسط تهليل و تصفير شديدين ما لبثا حتى انتهيا فتحدث بعدها قائلًا:

«أدرِك أنكم إلى الآن لا تفهمون من نحن أو لماذا نفعل ذلك بل وتستعجبون من قوةِ ما بنيناه أو التقدم الذي نعيش فيه هنا، حسنًا قبل أي شيء أنتم الآن أعضاء في أخوية المجددين ويجب أن تعلموا كيف نشأت الأخوية ومن مؤسسها».

ثم استطرد قائلًا بصوته الرخيم:

عندما استطاع الاحتلال البريطاني أن يتمكن ويسيطر على مصر في عام ٢٨٨١ لم تكن هناك قوةٌ تستطيع أن تزيح تلك الغمة بل إن المصالح قد تشاركت ليستطيع كل جانب أن يأخذ ما يتمكن منه من تلك الأرض، كان السوط قويًا شديدًا على الناس مما جعلهم لا يستطيعون المطالبة حتى بحقوقهم وكل من طالب أو استطاع أن يثور وقتها كان يُعدم أو في أضعف الأحوال

يتم نفيه ولا يعود إلى مصر أبدًا، إلى أن جاء المهندس علام بالفكرة التي نعيش أثَرها الآن، ولقوة عائلته وقتها وثرائها كان له نصيبٌ كبير من الأموال والأرباح التي تدرها شركاتهم، بل و أراضيه الزراعية فتزامن بناءُ هذا المكان وتجهيزه مع بناء منطقة وسط البلد نفسها ولكنه أدرك أن السَّلام لن يتحقق لمجموعة واحدة من الناس، كما أنه احتاج تمويلًا كبيرًا ليكمل ما بدأه فذهب إلى معظم بلدان العالم مسافرًا ومجمعًا للأعضاء، كان الأمر سريًا تمامًا ولكن فكرته لاقت استحسان الكثير من الشرفاء، أولًا من أصدقائه خارج مصر ومن معارفهم ثم توالت الانضمامات لمهندسين و أطباء وكيميائيين بل علماء أيضًا في كل المجالات؛ هذا لأن الظلم لا يرضاه أنقياء القلوب.

الأمر دائمًا كان بيد المهندس علام ولم يكن يراجعه أحد في قراراته، وعلى الرغم من صعوبة هذا الأمر إلا أن الجميع قد آمنوا بفكرته حد اليقين فقلدوه منصب المعلم الأكبر لذكائه وقدرته الفائقة على الإقناع، لا تعتقدوا أنَّنا أجبرنا أحدًا على اتباعنا أو الانضمام إلينا.

فكل من ترونهم هنا قد قدِموا طواعيةً دون إكراه، واعلموا تمامًا أن الذي سيحدث في الأيام القادمة سيغير وجه العالم، للأبد.

ما إن قال تلك الكلمات حتى ألجم الذهول كل الحاضرين، وأرسل الخوف جنوده ليبثوا القشعريرة داخل أبدانهم، لا يستطيعون الرجوع وما زالوا غير واعين تمامًا لما يحدث، الوضع صعب ويبدو أن المستحيلات أصبحت ممكنة!

أكمل قائلًا:

الآن نحن آخر من سيبقى من البشرية وأقصد بـ "نحن» كلُّ من هم هنا بالأسفل، ستلاحظون أنَّ هناك جنسياتٍ أخرى يعيشون معنا، وستتعايشون معًا كما خطَّطنا نحن ووافقتم أنتم على ذلك، تعارفوا لأنكم لن تستطيعوا أن تجدوا

حضاراتٍ أخرى تذهبونَ إليها فما سيحدث سيزيل صفحة العالم التي تعرفونها، نحن لا نسعى للتدمير أو الخراب، وستجدون الأدلة على ذلك بعد وقت قليل.

اختفى المُقنَّع ليظهر بعدها رجلٌ قد تسارع الشيب ليغزو جانبَي رأسه، يرتدي نظارة طبية ومعطفًا أبيض، يبدو أنه طبيب ما ولكن إلى الآن لا يدرك أحد ما مهمته، مرَّت لحظاتٍ تحدث بعدها قائلًا:

«مرحبا إخواني، أنا الطبيب (عليم) لن أطيل الحديث، هيا بنا، اتبعوا الشاشات».

ظهرت على الشاشات المتراصة بجوار بعضها بطول الممرات أسهُمًا توضِّح الاتجاهات للجموع، اتَّبعوها ليدخلوا أماكن في نفس الاتساع المهيب، ويخرجوا من أماكن أخرى تمامًا.

يصعدون مصاعدَ وينزلون سراديب حتى توقفت الإرشادات، ليظهر لهم هذا الطبيب مرة أخرى قائلًا:

«مرحبًا مرة أخرى، تتساءَلون عن سببِ هذه المسيرة الطويلة، أليس كذلك؟!

حسنًا إنَّه الوقت لتدركوا حجم ما سيحدث، ستدركون حجم الدمار الذي سيصيب العالم فورَ رؤيتكم لِما صنعنا».

وفجأة تنفتحُ أمامهم بوابة حديدية ضخمة اعتقدوا في بادئ الأمر أنها جدار، وتظهر خلفها قاعةٌ كبيرة يتوسَّطها مكعبٌ ضخم، وانقسمت خاناته بمربَّعاتٍ زجاجيةٍ متساوية في الحجم، مملوءة بسائلٍ تتصاعدُ فيه فقاعات ما، هذا المكعَّب لم يكن الوحيد بل كان هناك الكثير من أمثاله، حتى أنَّ النَّاظِر إليه يظنُّ أنَّ أعداد تلك المكعبات الكبيرة تمتد إلى ما لا نهاية، الذُّهول سيد الموقف ولا أحدَ يدرك ما الذي يحدث حتَّى نطق الطبيب من الشاشة قائلًا:

«أعرِفكم بأكبر خطوات المستقبل، مشروع (نوح)".

جحَظت العيون عندما سمعوا هذا الاسم فهم يدركون على اختلاف دياناتهم ومعتقداهم قصَّة الطوفان الكبير، إذا كان الكلام صحيحًا فتِلك المكعَّبات ما هي إلَّا محاكاة لسفينة نوح النبي، وقد استطاعوا أن يجْمَعوا فيها الكائنات كلها، ولكن مهلًا هل جمعوا كل شيء بالفعل؟

نطق الطبيب قائلًا:

«إنَّ ما يعتريكم الآن من دهشة قد كانت حلمًا لنا من قبل وها هو قد تحقق؛ فالصَّرح الذي ترونه قد تجمعت فيه بويضاتٌ مخصبَّةٌ وخلايا ذاتية الانقسام في حالاتها النشطة والصحيَّة، فبعد ما سيحدث سيُباد كل شيء، نحن هنا لنصلح ما فسد، قد استطعنا تجميع وتلقيح كل ما عرفه الإنسان يومًا وجمعناه هنا في مشروع نوح لتكون نواة العالم الجديد نحو الحياة النقية، أظن أنَّكم علمتم مدى جدية الأمر فاستعدوا لكل ما هو قادم».

قال كلماته تلك واختفى لتظهر بعدها الإشارات الموجهة مرة أخرى، يسيرون حسب التوجيهات لتفضي بهم إلى قاعة الطعام مرة أخرى، لم يصدقوا أنهم قد قضوا كل هذا الوقت في التعرُّف على بيتهم الجديد هذا، ظهر على الشاشة رجلٌ يتكلَّم ويأمرهم أن يجلسوا في أماكنهم ليتناولوا وجبة الغداء، جلسَ الجميعُ على الطاولات وأدخلوا مفاتيحهم ثم خرج موزِّع الطعام بفراغاته المملوءة بصحائف الطعام، وجدوا أن الطعام قد اختلف فهو قطعةٌ من اللحم بعض الأرز وثمرة فاكهة وثمرةٌ خضراء وزجاجة مياه، يستحسنون هذا النظام الجديد فالكل على وجهه علامات الرضا، ولكن الرضا لا يمنع وجود بعض القلقِ الممزوج بالخوف من المجهول.

انتهوا من وجبة الغداء ليظهر لهم رجلٌ على الشاشات الكبيرة قائلًا:

«حسنًا، أنهيتم طعامكم وحان الوقت لتعلموا كيف يأتيكم الطعام بهذا الشكل، اتبعوا الأسهم رجاءً».

ظهرت بعضُ الأسهم التي تشير لاتجاه مغاير للذي سلَكوه قبلًا ليبدؤوا في تتبُّعه، وما إنْ ينتهي حتى يجدوا سهمًا آخر.

واستمرَّ هكَذا إلى أن وجَدوا أنفسهم أمام بوابةٍ معدنية أخرى بل وكبيرة أيضًا، ليظهر بعدها على شاشات تجاورُها نفس الرجل قائلًا:

«ها قد وصلتم وجهتكم، أهلًا بكم في مركز إنبات الطعام».

انفتَحت البوَّابة بسهولة وسلاسة ليظهر خلفها منظر مهيب؛ يرون ضوءَ الشَّمس مسلطًا على حقولٍ مزروعة على مساحات شاسعة، ذُهلوا من المنظر لدرجة أنهم نظروا إلى الأعلى متسائلين كيف تصل الشمس إلى هنا، فإذا بهم يرون ألواحًا زجاجيةً عملاقة معلَّقة بالأعلى يخرجُ منها ضوءُ الشمس ذاك، اتسعت الحدقات من فرط الإبهار حتَّى تكلم الرجلُ الذي ما زال موجودًا على الشاشة قائلًا:

«أرى أن المنظر قد أعجبكم، دعوني أفسر كل ما ترونه أمامكم؛ إنَّ تلك الحقول تتشابه تمامًا مع حقولِ ظهر الأرض غير أننا قد عالجنا التربة هنا لتصبح أفضل وأسرع في الإنبات، ولا يستطيع النبات أن يكثر ويُثمر إلا بتوافر الضوء والماء كعاملين رئيسيين لذلك قد اخترعنا تلك الأعمدة التي ترونها حولكم».

نظر الجميع لا إراديًا حولهم ليجدوا أشكالًا مربعةً عملاقة تخرج من وسطها أعمدةٌ تكاد تخترقُ الأرض ذاتها من الأعلى، ولوحِظ أنهم مختلفون في بعض التفاصيل التي تُغير تركيبهم الكامل، ثم استطرد الرجل على الشاشة قائلًا:

«إن ما ترونه أمامكم هو ثورةٌ علمية فإن الأعمدة التي ترونها تلك والتي نُطلق عليها اسم "الصواري" ستجدونها في كل مكان هنا، هي المسئولة عن توفير كافة احتياجاتنا من الضوء والماء والهواء، فنحن نطلق صواري الضوء لينطلق للأعلى مخترقًا قشرة الكرة الأولية للأرض ومنها إلى أعلى نقطة في طبقات الغلاف الجوي ليبدأ بعدها بتجميع ضوء الشمس و إيصاله إلينا عن طريق أليافٍ ضوئية اخترعناها داخله تبثُّ لنا الضوء دائمًا،

وصواري الهواء تفعل المثل تمامًا لكنَّها تسحب الأكسجين وتطرد ثاني أكسيد الكربون، أما صواري الماء فهناك منها إصدارين، أحدهما مشابه لأخويه ولكنه يختلف بتوليد ذرات هيدروجين لتتحد مع الأكسجين ويأتينا بالماءِ النَّقي، والإصدار الثاني يستخلص المياه الجوفية من باطنِ الأرض، نحن نضمن لكم الحياة هنا بكل أشكالِها، فقط اتبعوا النظام وستصبح الحياة أفضل».

الرهبة تسود الجميع، والانبهار بتلك التكنولوجيا وهذا التقدم يعطي الأمل، أملًا في حياة أفضل.

أكمَل المتحدِث على الشاشة كلامه قائلًا:

«أما بالحديث عن دورة الطعام الذي يصل إليكم جاهزًا، فحرصا من الأخوية على حفظ الجنس البشري تم تقديم موزِّع الطعام الذي ترونه في قاعة الطعام، وطاولات الطعام تتصلُ بها أنابيب التغذية التي تأخذ الغذاء مطهوًا من مركزِ الإطعام الكبير، وهو بدوره يتلقى الحبوب والخضروات من مخزنِ الطعام المتواجد خلف كل حقل».

نظر البعض للحقول ليجدوا خلفها ما يشبه البيت المعدني، وله عدة مداخل مقسمة حسب نوع الحبوب أو الخضراوات، وسمعوا بعدها كلمات الرجل من الشاشة قائلًا:

«ها قد فهمتم الآن كيف يأتيكم الطعام والهواء والماء، لديكم معظم الأساسيات، غدًا ستبدؤون في استلام مهامكم، إن الملابس التي ترتدونها تحدد هوياتكم، فاللون الأحمر هو للبنائين، الازرق للمهندسين، الأصفر للأطباء، والبرتقالي للمزارعين، واللون الأخضر هو لكبارِ أعضاء الأخوية، وسوف تتخلَّون عن أسمائكم وتستبدلونها بالأرقام والرموز التي على المفاتيح وهذا لضمان عدم التحيز لعرقٍ أو لدينٍ أو لطائفةٍ ما، ستستبدلونها في أي معاملات داخل الأخوية وستُبقون عليها فيما بينكم، أشكركم على الاستماع والتفهم، اذهبوا للعشاء فغدًا ينتظركم يوم جديد».

الشاشات في الأرض الجديدة بدأت تعرض الاحداث فوق الأرض؛ الشوارع شبه فارغة والمقاهي قلَّ رواده، وحتَّى الأسواقُ الكبيرة فقدت الكثير من زبائنها وبائعيها أيضًا، الوضع مزرٍ جدًا، كل شيءٍ في طريقه للاضمحلال، كل شيءٍ جامد، ساكن، كريه.

١ نوفمبر – القاهرة

خالد لم يجِد في نفسه ضيقًا من المكان الجديد، رغم رهبته ولكنه يشعر أنه الآن قادر على الاندماج بين الجموع، قادرٌ على العيش، فلم يعارضه أحد بسبب منظره، لم يجد إلا تحية بالابتسامة وإيماءة بسيطةٍ من كل من قابلوه، هو يدرك أنه قادر على التكيف وسعيدٌ بموطنه وبيته، سعيدٌ بما حصل عليه حتى الآن.

الشاشات تومض بشكل متتابع، ثم تتوقف ليتوسَّطها المقنَّع بنبتته التي قاربت الوصول لعينه اليمنى، انقضت ثلاثون ثانية ليبدأ بعدها قائلًا:

«إلى العالم والأرض التي نعيش عليها، إلى الماء الذي سيصبح سُمًا، وإلى الهواء الذي لن يهب الحياة بعد ذلك، إلى كل مخلوق، إلى كل ذرة، نقدم لكم جميعًا أسَفنا، اعتذاراتنا، فمن تلك اللحظة لا عودة، لقد بدأ العد التنازلي للفناء».

خالد ينظر إلى الشاشة مذهولًا، رغم أنه يعلم مسبقًا عواقب الأمر لكن شعورَ الفقد يسيطر عليه، تذكَّر أمه ولمساتها الحانية وتذكر بسماتها ونظراتها حتَّى في قسوتها اللينة التي كانت بغرض تقويمه، فرَّت من عينيه دموعٌ حارة تساقطت دون حتى أن يدري أنها تتساقط، في لحظةٍ واحدة كأن الذاكرة كلها قد عادت إليه، كأنَّها كانت منسية، تذكر الحضن الذي احتواه دائما، تذكر الوطن الذي كان يلفظه نهارًا ويحنو عليه ليلًا في جوانب الطرقات، تذكَّر الفقد مرةً أخرى، مرةً جعلت البكاء يشق طريقًا على وجنتيه.

وسائِل الإعلام والمحطات على الشاشات ما زالت تحاول بثَّ الأمل في من تبقوا من الناس ولكن الخوف قد سكَن كل العيون بلا منازع، كلُّ من كان يدب على

وجه الأرض شعر أنَّ هناك خطرًا داهمًا سيقضي على كل شيء، الشَّاشات في الأرض الجديدة توضِّح الأمر تماما، توضِّح ما يحدث بالأعلى كما أنها كانت عينًا على كل من هم بالأسفل، رأوا أن هناك مشاهدًا تُعرض لأناس يتشاجرون في بعض أماكن العمل و كل ذلك كان يتم بثه عبر الشاشات وكل ذلك تم التصدي له دون معرفة أي أحد بالكيفية، لكن الأهم أن الأمور كلها كانت تسير على ما يرام هناك في الأسفل.

عبد الحميد لم يدرك أنه ذو قيمة كبيرة إلا عندما حصل على عمل بصواري النور فشعر أن له دورًا مهمًا في الحفاظ على هذا المجتمع، فتلك الصواري هي سبل النجاة التي ستمدهم بكل الاحتياجات الى أن يستطيعوا العودة الى الأرض مرة أخرى، ولكن جال في خاطره شيء، سؤالٌ ألح على بنيات عقله: هل سنعود يومًا؟

هل سنصعدُ مرةً أخرى أم أننا تحت الأرض الآن كما الأموات؟

هو يدركُ أن من ينزل تحت الأرض لا يعود ولكن ها هو يحاول عسى أن يكون له أثرًا يتذكرونه به فيما بعد.

٠١ نوفمبر – القاهرة

سكانُ الأرض الأخرى يشعرون بالغرابة وعدم التصديق إلى الآن، سعيد هذا الموظف الذي شعر بدماء الشباب تجري في عروقه بعد كل ما حدث يشعر بفخرٍ لا يدري مصدره، هل لأنه ولأول مرة في حياته يعارض النظام؟!

ولكن مهلًا، إن كان قد عارض نظامًا فهو الآن يتبع نظامًا آخر لا يدري وجهه الحقيقي ولكن لقد نفَّذ الأمر وأصبح كل شيء الآن بدون رجعة، يبتسم، يعطي الأمل حتى وإن كان زائفًا ولكنه لا يريد التخلي عن ذلك الزيف، لا يريد التخلي بعد الآن.

١٥ ديسمبر – القاهرة

اضطرابات فوق الأرض بين كل شيء، الحرب أوشكت على النشوب بين الدول ظنًا منهم أن كلَّ دولةٍ تحاول السيطرة على الأخرى، التوتُر أصبح واضحًا في حدَّة كلام السياسيين وكل مسئولٍ على الشاشة، كل شيءٍ مربك مريب، الباقون فوق الأرض لا يريدون التصديق، لا يريدون الخنوع أو الخضوع لأمر شخصٍ لا يعلمونه، متمسكون بأنه إن كانت تلك هي النهاية فلتكن فلا مجال للمزيد من البدايات.

ودون مقدمات ظهر المقنَّع بشكلٍ غير ذي قبل، بقناعٍ يكسوه الرمادي ومرسوم عليه بالأسود أثر انفجارٍ نوويٍ عظيم، ومن داخله نبتت زهرةٌ مكتملة النمو بألوان زاهية ليضيف استغرابًا لكل من بقوا فوق الأرض ولمن هم بالأسفل أيضًا فالشاشات تعرض كل شيء.

ثلاثون ثانية بدأ بعدها بالكلام قائلًا:

«تفصلنا عنكم أيامٌ قليلة، ستسمعون كلمتنا للمرة الأخيرة ولن يهرب أحد فلا ملجأ منَّا، لا مهرب فنحن أسياد العالم وحُكامه، إن ظننتم أنكم محصنون ضدنا فأنتم واهمون، أسلحتكم بحوزتنا برموزكم السرية وبكامل التحكم في كل شيء.

روسيا، الصين، فرنسا، المملكة المتحدة، الولايات المتحدة، إيران، اليابان، كوريا الشمالية، الهند، إسرائيل، ألمانيا، تركيا، بلجيكا، السويد، نملك أسلحتكم وعصر الإظلام الأخير قد بدأ».

قالها ليسود الأسودُ كلَّ الشاشات إلَّا من ساعة توقيتيَّة تعدُّ ما بها تنازليًا، تُظهِر للجميع الوقت المتبقي على الدمار وهو خمسة عشر يومًا، وثلاثة وعشرون ساعة، وتسعة وخمسون دقيقة وبعض الثواني التي توشك على الانتهاء.

٠٢ ديسمبر – القاهرة

حرائق، دمار، دماءٌ متناثرة، أشلاءٌ على الطُّرقات، الوحشية ظهرت في أخلاق الناس، الخوف يدفعهم للسرقة والنزاع ثمَّ القتل والفتك بالآخر إن لزم الأمر وحتى إن لم يلزم، الأمر سيء، سيءٌ إلى أبعد حد.

٢٥ ديسمبر – القاهرة

لافتات تظهر في الشوارع بين الجموع يناشدون بها المقنَّع بالسماح لهم بالهروب إلى الملاجئ ولكن لا إجابة، الحكومة ترسلُ عناصِر فضِّ الشغب والتجمعات إلى الميادين فيسيل بحرٌ من الدماء دون أن يفوز أحدُ الطرفين، الفزع يسيطر والكلُّ خائف، وما زال العدُّ التنازلي مُستمرًا.

القاهرة ١٣ ديسمبر ٢٠٧٠- الحادية عشر مساءً وخمسين دقيقة

يظهر المقنَّع على الشاشات مرة أخيرة بنفس الرداء ونفس القناع، لم ينتظر تلك الثلاثين ثانية هذه المرة، فقط ظهر ليقول كلمات قليلة، الكلمات الأخيرة:

"إلى من شكَّكوا بنا ولم يصدقونا، إلى من سخِروا من الإنسان وطوَّعوه لاحتياجاتهم الشخصية، ها نحنُ اليوم نملك زمام الأمور، سنُحرقكم بكل ما صنعتم، ها قد انتصرت الإرادة، لقد انتصر العالم عليكم والمجد للأخوية"

لحظات وظهر المُقنَّع مرة أخرى لمن هم تحت الأرض قائلًا:

«اليوم ننتصر على كل من أهانوا الانسان، اليوم سنكتب التاريخ بأيدينا، لا تهلعُوا مما سيحدث، اصمدوا للساعات القادمة فالكوكب كله سيحترقُ تمامًا، لا تفزعوا ولتعلموا أنَّ الأخوية قد فعلت كل ذلك من أجلكم أنتم، أنتم الأمل ونحن أذرع القدر».

قالها ليختفي تمامًا وليظهر المؤقِّت على الشاشات وبه كل خانات الأرقام قد آلت إلى الصفر إلا مربَّع الثواني الذي ما زال مصرًا على الهبوط

٠ < ١ < ٢ < ٣ < ٤ < ٥ < ٦ < ٧ < ٨ < ٩

الشاشات التي بالأسفل كلها تعرض منصَّاتٍ مختلفة لصواريخ برؤوس نووية من كل بلدان العالم وقد أخذت أمر الانطلاق، تصحبها صفارات الإطلاق المهيبة، منها ما يخرج من قلب الجبال ومنها ما يخرج من جوف الأرض وأخرى من أعماق البحار.

تتطاير كلها من الشرق إلى الغرب ومن الغرب للشرق، من الشمال للجنوب ومن الجنوب للشمال، الشاشات تصوِّر المشهد كأنَّه مشهدٌ سينمائي، أدوات التصوير تُظهِر الأرض من الأعلى كأنها من الفضاء الخارجي فترى المشهد مهيبًا فظيعًا مروعًا.

الصواريخ بدأت في ملامسة الأرض بالفعل، مهلًا إن ذلك لم يكن مزحة!

إنَّه الدَّمار الأخير، يوم قيامةٍ إن صحَّ التعبير، تُلامِس الصواريخ الأرض لينطلق الانفجار على شكل فطر الغراب ناشرًا النيران في كل مكان، الصواريخ تتلاحق، تصطدم، تُدمِّر، الشاشاتُ ترصد معاقل الجيوش، مطاراتٍ مدنية، مخازن للأسلحة، مصانع، كلُّ شيء تحول إلى كتلةِ نارٍ في لحظة، كلُّ شيء أصبح غير ما كان ومن هم تحت الأرض الآن يشعرون بالهزَّات من فوق رؤوسهم، يصرخون، يهلعون ولا أحد يدري ما يفعل، البحارُ تأجَّجت بالنيران والجبال نسفت، كلُّ مظاهرِ العُمران مُحيت تمامًا والأرضُ تشتعل، كلُّ شبرٍ فيها يشتعل، الأرضُ كلها أصبحت جحيمًا كاملة نيرانه، العيونُ الباقية على الشاشات لا تصدق وتبكي في فزعٍ وخوف، ترتجفُ في هلعٍ مقيت والأرضُ قد دمِّرت تمامًا وتطاير بعدها غبارٌ يصعد إلى سماء الأرض فتُحجب قدرة الشاشات على التقاط المشاهد تمامًا، وتسقط الأرض في الظلام إلى وقتٍ غير معلوم.

سكونٌ تام، سكونٌ حقيقي تلك المرة، الأرضُ كلُّها قد فنيت تمامًا، لا أحياء، لا أنفاس، الهواءُ نفسه المانح للحياة سُلبت منه الحياة ليصبح بلا هدف وبلا وجود.

البحار يغطيها السواد وبعض الأشلاء التي بقيت، لا أحد يعلم حجم الخسائر ولكنها واضحة تمامًا، الخسائر هنا أنَّه لم يبق أحدٌ على سطح الأرض ليحسبها، لا أحد بتَاتًا.

ينظر سعيد محدقًا في الشاشة دون أن يتفوه بكلمة، فاغرًا فاه، يبكي، تتساقط منه الدموع ويتشنج، يتنفس بصعوبة، يدرك في قرارة نفسه أنه ساهم في هذه المذبحة بمجرد الموافقة على الصك، لكنه يعلم.

أنه لو لم يوافق لكان من ضمن هؤلاء الممحيين، يحاولُ أن يُقنِع نفسه أنَّه قد فعل ذلك لأنه الخيار الأصوب وأنه لم يملك خيارًا آخر لكنَّ قلبه يعتصرُ كل ذرات جسده، ألم الفقد ذاته يقتله؛ فقد الأرض والهوية، فقد الوطن، لم يعلم قبل اليوم أنه يحبُّ هذا الوطن الذي كان سببًا في تدمير أحلامه كل هذا الحب، لقد فقد كل شيءٍ حتى نفسه، تهدأ دموعه، تهدأ أنفاسه وتقلُّ نبضات قلبه، تقلُّ تدريجيًا فيسقط على الأرض ولا يقوم بعدها أبدًا.

خالد لم يصدق ما حدث، يرى بعينيه أنَّ الأرض مُحيت تمامًا، شعرَ أنَّ هذا الأمر سيء ولكنه ليس بسوءِ ما كان قبل ذلك، يعلمُ أنَّ القادم أصعب ولكنه الأمل الأسمى والأبهى لتبقى البشرية وتصير إلى العدالة، هو يدرك ذلك تمامًا وسينفذُه مهما كان الأمر.

عبد الحميد لم تمنعه عرجته من أن يزاحم الناس أمام الشاشات ليرى الكارثة، كان دائمًا بطيئًا في حسم الأمور ولكنه تلك المرة لم يبال بأي شيء سوى أنَّ الأخوية قد حققوا ما قالوه؛ إذًا فكل ما هو قادم سيكونُ أجمل، وأخيرًا سيرى النصر الإنساني الذي حلم به يومًا، ولكن متى؟!

هو لا يعلم بعد ولكنه متأكد من ذلك تمامًا.

١ يناير ٢٠٧١ - تحت الأرض

يظهر على كل الشاشات تحت الأرضية دون سابق إنذار، يرونه بكاملِ زيه المعتاد ولكن الوردة التي على وجهه قد زات تفتُّحتًا لتسطُع بألوانٍ زاهية عن آخر مرة قبل الدمار العظيم، رداؤه الأبيض، قلنسوته البيضاء، قناعه الأبيض، كلُّ شيءٍ كما هو لم يتغير.

وينتظر ثلاثين ثانية ليتحدث بعدها قائلًا:

«اليوم أول أيام النجاة، ها قد نفَّذنا وعدَنا والآن دوركم في الوفاء بشروط صكِّ الحرية الذي قبلتموه سلفًا، اعلموا أنه لا حياة الآن على الأرض، لا شيء فوقها سوى الخراب والدمار وهذا يعني أنَّنا لن نعود للأعلى قريبًا، سنظلُّ هنا قرونًا وسنعيش في هذه الأرض الجديدة إلى أن تصلح الأرض العليا نفسها مرة أخرى، لن تشاهدوا أنتم التغيير بل سيلمسه من هم منْ نسلكم، أقول لكُم أنكم لستم الناجين الوحيدين، هناك الكثير ممن نجوا من كل أنحاء العالم، في أراضٍ أخرى كتلك التي تعيشون فيها، قد لا تشاهدونهم إطلاقًا أو لا تعرفون عنهم شيئًا إلى أن تموتوا ولكن أخبروا أبناءكم وليخبروا أبناءهم وأحفادهم بأنَّ هُناك أناسًا يعيشون على الجانب الآخر من الأرض ويومًا ما سنتمكَّن من مصافحة بعضنا فوق الأرض مرة أخرى، يومًا ما سنتعانق تحت أشعة الشمس الحقيقية، يومًا ما سنعود للعالم.

تكاثروا وتزاوجوا فلا أملَ لبقاءِ جنسنا من دون أطفال، سنحرص على تعليمكم كل ما وصلنا إليه من علم وسنستخدم التكنولوجيا التي بحوزتنا وسنطورها ونحافظ عليها، أنتُم الأمل دائمًا، ولا تنسوا ما نصَّ عليه الصك أبدًا.

المجد للجميع، المجد لأخوية المجددين»

ما كان يدعى بالقاهرة ٢٠٧٢

البشر ودودون خصوصًا في وقت الصعاب، ويظلون ودودين ما دامت هناك وفرةٌ في الموارد ووفرة في الغذاء والماء والهواء لكن هذا لا ينفى وجود الحاقدين والكاذبين والمخادعين وأصحاب المصالح والسيئين وكل هؤلاء، فقط نحن لن نلوثَ هذا العالم الجديد بطرح تلك الصفات الآن، فلنقل فقط أنهم ودودون، ودودون إلى أبعد حد.

ما كان يدعى بالقاهرة ٢٠٧٥

لكي تُحافظ على النظام يجب أن يكون لديك قوةٌ رادعة والأخوية يدركون ذلك تمامًا؛ لذا كانت لديهم فرقٌ من الجوَّالين المسلحين يجوبون المناطق والأقسام ليحافظوا على النظام، اليوم وَجدت إحدى تلك الفرق جثةً لرجلٍ في غرفة الطعام، رأسُه مهشَّم تمامًا، لا يرون أحدًا بجواره ولم يُبلغ عن تلك الحادثة أي شخص، حملوه إلى مدفنِ الجثث ليدفنوه هناك بعد أن تعرَّفوا عليه من خلال مفتاح حياته، تمَّ الدفن ولا أحد يعلم من القاتل حتى الآن أو ربما لا أحد من العامة يعلم أمَّا الأخوية فهم يعلمون، يعلمون كل شيء.

ما كان يدعى بالقاهرة ٢١١٢

السلام والهدوء هما العاملان الأساسيان في تلك الأرض الجديدة رُغم أن العمل لا ينقطع؛ لأنَّهم إن توقفوا عن العمل قد تتوقف الحياة تمامًا لكنَّ السلام النسبي الذي حظي به المجتمع جعله مجتمعًا جيدًا حرًا نسبيًا لذلك اقترح البعضُ على المراكز العليا أن يعيدوا تسمية الأرض، فليطلقوا على تلك الأرض "القاهرة" مرةً أخرى، تلك التي قهرت الطُّغيان بإرادة شعبها الحر وقد كان ذلك رأي شباب الجيل الثالث، وتمت الموافقة على تسمية تلك الأرض بالقاهرة مرة أخرى، قاهرةٌ جديدةٌ لكل ما هو قادم.

صواري الهواء بدأت في التهالك وتليها صواري الضوء فما كان من المجدِّدين إلَّا أن انتقوا بعضًا من أكفء البنائين والمهندسين والأطباء ليصعدوا إلى ظهر الأرض ويُصلحوا ما فسد من تلك الصواري، حسنًا إنها المرة الأولى التي سيرون فيها الأرض الأم، هم قد سمعوا حكاياتٍ فقط ورأوا بعض الصور الوثائقيَّة عمَّا كانت عليه تلك البيئة التي عاش فيها أسلافهم، سيخرُجون إليها بعد أكثرِ من مائةٍ وأربعين سنة، الأمرُ أشبهُ بأَّول من صَعد على سطح القمر قديمًا بالرغم من أن البعض لا يصدقون فكرة الصعود للقمر تلك، ولكن الأمر مثيرٌ تمامًا وقد بدأوا جديًا في الإعداد له.

القسم العلمي للأخوية كان متقدمًا جدًا حتى أنه وضع احتمالية الصعودِ إلى ظهر الأرض فصنع بذلًا قادرة على تحمل الإشعاع النووي المتبقي من آثار الانفجار الكبير، بذلًا قادرة على توفير الأكسجين من خلال أسطوانات صغيرة تشبه الأقلام ولكنها أشد سمكًا، بدأت تلك البذلُ في الظهور الآن وقد أصابت الجميع بالدهشة وجعلت إيمانهم بالأخوية أقوى، وترسخ لديهم مبدأ أن الأخوية يعملون لمصلحتنا دائمًا، دائمًا وأبدًا.

لم يكن هناك أي أحد يعلم أن الصواري نفسها بها مصاعد من الداخل تَحسُّبًا لمثل هذه الأعطال ولكنها لم تستخدم من قبل؛ لذلك فالأمر مخيف ومريب فكيف تضمن أن تعمل تلك المصاعد بكفاءة رغم كل تلك السنين وبعد الانفجار العظيم الذي دمر الأرض نفسها؟!

ولذلك قامت فرقة استطلاعية قادرةٌ على إصلاح الأعطال الطفيفة مكونة من ثلاثة أفراد بالمخاطرة واستخدام المصعد الأول، لأمور أشبه بإلقاء النفس في الهاوية ولكن لابد من ذلك، خطوا داخل قمرة المصعد وأُغلق الباب عليهم، حسنًا الأنظمة إلى الآن تعمل بكفاءة أمَّا المصعد فهو معدني بالكامل، دائري وبه لوحة تحكم كبيرة بها أزرار للصعود والهبوط، حتى أنه قد ألحق به أزرار لزيادة السرعة أو تقليلها أيضًا، كان مثاليًا، مثاليًا بحق.

ضغطَ كبير فرقة الاستطلاع على الأزرار الخاصَّة بالصعود ليهتز المصعد اهتزازًا عنيفًا قبل أن يتحرك للأعلى بضْع سنتيمترات ويهبط مرة أخرى ساقطًا مرتطمًا بالأرض، حاول كبيرهم مرة ثانية فاستجاب المصعد للأمر وبدأ يصعد للأعلى، بدأت سرعته تزيد وهم لا يرون أي شيء ولكنهم يشعرون بالسرعة المتزايدة، ظل المصعد في الصعود لأكثر من خمس عشرة دقيقة دقيقة وبدأت سرعته بالهبوط تدريجيًا إلى أن توقف تمامًا لتُفتح الأبواب وتلامس أقدامهم الأرض الأولى.

١٨ أغسطس – تحت الأرض.

بدأت الشاشات تعرض مشاهد لما يدور بالأعلى من خلال كاميرات مع الثلاثة المخاطرين، الكل متلهفٌ ليرى الأرض التي كان يتحدث عنها الجميع، تشعرُ أنَّ الصمت مطبق، الناس أصبحوا لا يتكلمون غالبًا ولا يستطيعون النطق كثيرًا؛ فمنذ مائة عام وجدوا أن بعض الناس قد أصابهم الإشعاع النووي ليسبب تشوهًا صاحب العديدين وسبَّب ضمورًا في (منطقة بروكا) المسئولة عن الكلام وتكوين الجمل، وبعد الإفصاح عن تلك المشكلة كان الكثيرون بالفعل قد أصيبوا بل وتزاوجوا ليولد لهم أطفال بكمٌ تمامًا ولا يتكلمون من الأساس، ومحافظةً على شعورهم منعت الأخوية الكلام مطلقًا في أي مكان به تجمع وتم استبدال طريقة التواصل الكلامية وأصبحت طريقة تواصل مكتوبة، قاموا بصنع جيبٍ داخل كل الملابس يحوي مفكرة وقلمًا تتواصل بهم مع كل من هم حولك، حسنًا هذا الأمر قد عزز اللغة بألا تُنسى حروفها أو طريقة كتابتها ولكنه قد حدَّ من نطقها مما قتلها من زاوية أخرى.

الأخوية وعدوا الجميع بإيجاد حل لتلك المشكلة التي -على حد قولهم- تهدد الجنس البشري كله، هم يحاولون ولكن لم يجدوا حلًا بعد، وتنظر للمشهد المهيب لتجد الناس يُمسكون بالأوراق والأقلام مستعدين تمامًا للكتابة وتدوين ما سيرونه بالأعلى أمَّا الكلام فكان مخصصًا للرؤساء مُعطي الأوامر ومن هم في مهام رسمية كتلك التي يرونها، كلُّ الخلايا متحفزة تنتظرُ أن يفتح باب المصعد، وها قد بدأ بالانفراج.

١٨ أغسطس – فوق الأرض.

لم يستطع أي أحد من الثلاثة ألا يبدي وجهه هذا القدر من الدهشة، لم يستطيعوا أن يُخفوا تحفزهم لما يرونه الآن ولا فرحتهم به.

أرسل رئيس المجموعة عبر خوذته تقريرًا بما يرى:

المصاعد تعمل بكفاءة وها نحن قد خرجنا، إن كنتم ترون ما تنقله لكم كاميراتنا فأخبرونا

ليأتيه الرد من قمرة القيادة – التي لا يدري أحد أين هي بالضبط – قائلًا:

«نرى بكل وضوح، ولكن دعنا نرى أكثر».

لم يستطع رئيس البعثة أن يخفى دهشته أمام مساعديه بل إن ما رآه لم يكن يتوقعه أبدًا؛ فقد وجد أن الخراب قد طاح بالمعالم كلها ولم يبق سوى الأطلال من كل شيء، أطلال الأرض، أطلال المحال والبيوت وحتى الطرقات، أطلال من وطن مفقود، وهذا الرماد الأسود المتطاير مازال يتطاير بخفةٍ مستبيحًا كل مترٍ في الأرض، برغم كل تلك السنون وكل ما حدث إلا أنه ما زال يتساقط وكأن الدمار قد حدث منذ ساعتين فقط!

ينظر إلى جهاز مثبت على ساعده الأيسر فيرى أن الخريطة التي تشير إلى موقعه، كانت قديمًا تدعى منطقة وسط البلد، ينظر يمينه فيجد الصاري بطوله الذي يشق السحاب الأسود مخترقًا تلك الطبقة الكثيفة فيلتفت يمنة ويسرة ليجد أن الصواري تمتد عن يمينه وشماله بل أنه يقف فيما يشبه بالحقل، يستطيع الآن أن يفهم لماذا لم تتدمر الصواري هي الأخرى فقد كانت بعيدةً كل البعد عن المراكز المستهدفة.

يتحرك خطواتٍ للأمام ليشاركه في تلك الخطوات مساعديه ويتحدثُ عبر الخوذة قائلًا:

«تحركنا شرقًا ونحاول أن نجد زاوية رؤية أفضل، ما زلنا نبحث عن أثرِ الضررِ على الصاري».

ليجيبه الصوت قائلًا: «مفهوم، أكمل بحثك ولا تبتعد».

يبتعد قليلًا ثم يتسلَّق أحد تلك الأطلال الذي ما زال قائمًا، ينظر حوله فيجدُ السواد يغطى الأرض والشمس ما زالت مستحية لا تشرق لكن مؤشرَ درجة حرارته يقول بأن درجة الحرارة تجاوزت ثمانين درجة مئوية، يدرك أنه لولا بذلته تلك لذَاب من الحرارة أو الأسرع أن يختنق من قلة الأكسجين، ينظر إلى الصاري من على أحد جوانبه فلا يرى أي شيء، يضغط زرًا في خوذته فتُقرب إليه الصورة على زجاج الخوذة أكثر فيبحث بدقة، ينظر فلا يجد شيئًا، يدور حوله من زوايا أخرى ولا شيء ثم يرسل تقريرًا آخر قائلًا:

«لا أستطيع تحديد مصدر العطل، الحاسوب لا يستطيع اكتشافه ونحتاج لأن نصعد أكثر من ذلك فالسحابة السوداء تحجب عنا رؤية الجزء العلوي».

فتجيبه القيادة: «المصعد يستطيع الوصول لنهاية الصاري، فقط كن حذرًا».

يعود بظهره إلى باب المصعد ولكن عينه ما زالت معلقة بالأرض، يتساءل: كيف كان الحال هنا؟ كيف كانوا يعيشون؟

وألف كيف تدور في رأسه لكن لا مجال الآن للأسئلة فالواجب أولى من كل شيء، يعود أدراجه إلى المصعد ويضغط الأزرار فيغلق الباب تدريجيًا، يُغلق منهيًا هذا المشهد المأساوي الذي يراه أمامه.

يتخذ المصعد طريقه مرة أخرى للأعلى، الاهتزازات عنيفة تلك المرة لكن المصعد لا يتوقف وكأنه يقاوم، يتشبثون جميعًا بمقابض فولاذية داخل المصعد وتزداد السرعة أكثر حتى يغلبهم شعور أنهم سيلتصقون بالأرض من فرط السرعة ثم بدأ المصعدُ

في الهدوء، هدأ تمامًا إلى أن توقَّف وفتح الباب مرة أخرى، ويا لهول ما رأوا تلك المرة!

نحن دائمًا نسمعُ عن أشياءَ كثيرة، ولكن هل شاهدت نفسك يوما عندما رأيت شيئًا سمعت عنه؟! الأمر مختلف تمامًا فحينها يصيبك الذهول في كل أركانك، وقد يطعن حتى في الثوابت التي لديك لذلك فإن المستطلعين الثلاثة قد أُلجموا تمامًا عندما نظروا إليها أول مرة، عندما رأوا السماء!

إنهم في نصف طبقات الغلاف الجوي الآن تقريبًا، يرون سحابة الرماد الأسود أسفلهم وأيضًا يرون السواد من أعلاهم ولكن شتان، شتان بين سوادٍ تضيئه النجوم وتزينه الأنوار، وسوادٍ صنعه البشر بأيديهم فقط ليحافظوا على ما تبقى منهم، دار رئيس البعثة حول الصاري مذهولًا بشكل النجوم في السواد الحالك، لا يستطيع أن يبعد ناظريه عن المشهد بل تمنى أن يبقى هنا طيلة حياته الباقية ولكن على عاتقه مهمة كبيرة؛ فحياة من هم بالأسفل تتوقف عليه الآن وإن لم يستطع إيجاد الأعطال والتبليغ بها وإصلاح البسيطة منها فستتوالى المصائب وينهار كل شيء، هذا المعنى الذي جال بخاطره وكان كفيلًا بأن يجعله يدور على الممشى الدائري باحثًا عن العطل إلى أن التقط زجاجُ خوذته الحاسوبي عطلًا بالأعلى في محوِّلات ضوء الشمس المسئولة عن توصيل الضوء للأسفل، أوصل بذلته بقابس عمودي به حاملٌ معدنيٌ مثبتٌ بمحرِّك داخل الصاري نفسه، ثبَّت بذلته بالحلقة المعدنية ورفع معصمه ليبدأ التحكم بهذا المُحرِّك من خلال الحاسوب في يده، ضغط زر الصعود لتحمله الحلقة المعدنية وتصعد به إلى أعلى نقاط الصاري، الصاري كان مليئًا بالممرات الطولية والعرضية التي تمكِّنه من بلوغ أي مكان به، استطاع الوصول للعطل ولكنه لم يستطع إصلاحه فهم يحتاجون معداتٍ أكثر ويحتاجون المهندسين والبنَّائين فنزل مرة أخرى آمرًا مساعديه بالدخول إلى المصعد ليهبط بهم مرة أخرى إلى الأسفل، إلى الأرض السحيقة.

١٨ أغسطس - القاهرة الحديثة.

عادت البعثة إلى الأسفل ومنظر الأرض الأم لا يفارقهم، لوهلة شعر رئيس البعثة بحنينٍ غير مفهوم، شعر بالأسى تجاه كل من مات ولكن الترحاب الذي قوبل به كان مفاجئًا مما جعله ينسي لدقائق تلك الحالة التي أسرته، وجد الناس مهللين له ومهنئين بأنه أول رجل يصعد للأرض بعد الانفجار العظيم ثمَّ تفاجأ بوجود البعثة الثانية وقد تجهزوا تمامًا للصعود بخوذاتهم و بذلهم وحتى تقسيم الأفراد على كل طاقم والمعدات اللازمة، وفي تلك اللحظة بدأت الشاشات تومض سريعًا ليلتفت الناس إليها ويظهر هو بقلنسوته البيضاء التي تخفي وجهه بالكامل وسترته البيضاء، كانت تلك هي طريقة ظهور المقنَّع من بعد الانفجار العظيم، فأصبحت الشاشاتُ تومضُ بشكلٍ متتالٍ وسريع فينتبه الناس إليها ويستمعوا إلى ما يريد.

ظهر كعادته صامتًا، لا يتحدث إلا بعد ثلاثين ثانية ثم قال:

«مرحبًا بعودتكم يا أبطال، لقد مُنحتم فرصةً يتمناها الجميع فهنيئًا لكم هذا المجد فملامستكم للأرض العليا كانت الأولى منذ الانفجار العظيم.

حسنًا فلتستريحوا أنتم لأن الإحداثيات التي استطعنا جمعها من خلال رحلتكم ستكون بوابتنا لإصلاح الأضرار التي حدثت على مر السنين في صوارينا، ومن اليوم قد أصبح لدينا قسمٌ مفعلٌ للصيانة فوق الأرض وسيعمل على مدار اليوم وبعدد ساعات العمل المقرَّرة لنتفادى أي كوارث قريبة، نحن نسعى لسلامتكم، المجد للأخوية».

أنهى خطابه وفرحةٌ قد تسلَّلت بين الناس لمجرد وجود فكرة أنهم سيصعدون على ظهر الأرض، وبدأت الأوامر بالفعل تأتي إلى الشرائح المزروعة برؤوسهم لينطلق كلٌ منهم إلى عمله ومكانه أمَّا الفرق المجهَّزة فبدأت في التحرك كلٌ إلى مكان صعوده، كان الفريقُ يتكون من ثلاثة بنائين ومهندسَين وطبيب، منهم من صعد في صواري الضوء وآخرون صعدوا في صواري الهواء وغيرهم شرعوا في ترميم صواري الماء.

وبدأت الأقدام بالحركة مرةً أخرى على ظهر الأرض، شعروا أن الأرض نفسها قد فرحت بعودتهم، كان لهم مطلق الحرية في أن يتجولوا عندما يصعدون على ظهر الأرض ولكن بشرط ألَّا يبتعدوا عن مصاعد الصواري تحسبًا لأي شيء فمهما كان ما زالت تلك الأرض غريبة عليهم ولا يعلمون عنها أي شيء.

١ سبتمبر ٢١٢٢- فوق الأرض.

عمليات الإصلاح تتم بل وزادت أعداد البشر الذين صعدوا إلى سطح الأرض، تم بناء بعد المخازن البسيطة لتصبح أقربَ لتجهيز فرق العمل بالمعدات اللازمة، الحماسُ للإصلاحِ جعل الناس لا يريدون التوقف عن العمل بل دعنا نقل (الحماس للوجود على سطح الأرض).

بعد انتهاء العمل نزلَ الجميع إلى أماكنهم ولكن قبل أن يذهبوا لتناول وجباتهم ومضَت الشاشات لتسترعي انتباه الحاضرين فينظر الجميع نحوها قبل أن يظهر المقنَّع ويأتي هو بزيه المعتاد ولكن وجهه ما زالت تغطيه قلنسوته البيضاء، ثلاثون ثانية مرَّت ثم قال:

«إخوتي، حان وقت النهضة، حان وقت التغلب على كل ما فات.

بعد أن تنتهي إصلاحاتنا سنرسل فريقًا طبيًا ليحدد مستوي الإشعاع على سطح الأرض فإنْ أصبحت الأرض آمنة سنبدأ في البناء، وإن كانت غير ذلك فسنبقى هنا إلى أن تستطيع الأرض احتضاننا مرة أخرى، إنَّ كل ما فعلناه كان من أجل تلك اللحظة والهَدف أن يسيطر الأحرار على العالم، الأخوية تفي بوعودها دائمًا، المجد للأخوية».

أنهى خطابه وقد تعالت الصيحات التي تنم عن فرحٍ شديد بهذا القرار، السعادة تغمر الجميع فكَم تمنَّوا تلك اللحظة التي يصعدون فيها فوق سطح الأرض، تلك اللحظة التي أخبرهم عنها أجدادهم الأحرار الأوائل.

إنَّهم على وشك تحقيق ما أراده الأقدمون دائمًا وهي الحرية العادلة المتساوية، يدركون أن الأخوية صادقة فقد عملت دائمًا من أجلهم بل ما زالت تعمل إلى الآن، الأخوية صادقة المجد للأخوية.

٢٥ سبتمبر ٢١٢٢ – القاهرة الحديثة.

أرسلت الأخوية فريقًا متخصصًا إلى سطح الأرض ليحدِّد مستوى الإشعاع الذي نتج من الانفجار العظيم، وإثر تقريرهم سيكون القرار مصيريًا إما بالبقاء تحت الأرض لفترة أطول وإما بالصعود لتشييد العالم من جديد.

منذ أكثر من عشرين يومًا والفريق البحثي يجوب الأرض مستكشفًا معظم أماكنها لتحديد أقلِّ نسب الإشعاع واليوم هو اليوم الأخير لعرض التقرير الخاص بهم، الناس يعلمون ذلك لهذا هم متلهِّفون بشوقٍ لمعرفة الخبر، معظم من صعدوا إلى سطح الأرض يؤكِّدون تمام أنَّ الأرض أصبحت صالحةً للحياة فهم قد رأوا بعض النباتات التي نمت هنا وهناك، استطاعوا أن يروا بعضًا من أشعة الشمس تلامس وجه الأرض بل شعروا بدفئِها دون أن يلمسهم حتى، هم موقنون وكلهُم أمل في أن يأتي التقرير متممًا لتلك الفرحة ومعلنًا بداية عصر جديد.

بعد أن تناول الجميع الغداء في مركز الإطعام وجدوا الشاشات تومض ومضاتٍ متتاليةٍ سريعة فانتبهوا جميعًا ليظهرَ بعدها هو في كامل زيه، ثلاثين ثانية ثم تكلم قائلًا:

«إلى كل من عاش بيننا مؤمنًا بقضيتنا لكم منَّا كل السلام.

تعلمون جميعًا أنَّ الأخوية على مدار أكثر من مائة وأربعين عامًا لم تكن لها مطامع شخصية بل سعت لتحقيق العدل والمساواة والحرية لكل من آمنوا بالقضية وما فعلناه منذ زمن لم يكن إلا من أجلكم وما نفعله حتى اليوم هو من أجلكم أيضًا، وقد قمنا بإرسال فريق بحثي ليوافينا بمدى خطورة الإشعاع فوق السطح وجاءتنا النتائج منذ دقائق قليلة وستُعرض الآن».

ومع آخر كلمة قالها المقنَّع بدأ التركيز مع كلماته يزيد والحماس يتصاعد، دقَّات القلوب تستطيع سماعها من على بعد أمتار، الكلُّ ينتظر الأمر بالصعود فالأمل أصبح وشيكًا، سينتهي عصر الاختباء بعد قليل وسيشهد العالم ميلادًا جديدًا للبشرية.

أكمل المقنع قائلًا:

«إن الفريق البحثيّ لم يدَّخر جهدًا في هذا الأمر وتقريرهم كان كالآتي:

مستوى الإشعاع على سطح الأرض ما زال كبيرًا وقاتلًا، الأرض ليست جاهزة لاستقبالنا بعد، نعلم أنكم قد علَّقتم آمالًا كثيرة ولكن ما زال أمامنا وقتٌ طويل، تأكَّدوا أنَّ العالم يتهيَّأ لنا وسننتظره حتى يكتمل، المجد للأخوية دائمًا"

اختفى من على الشاشات مُخلفًا وراءه حزنًا عظيمًا، الكلُّ يعلم أن الأخوية تسعى لتحقيق كل ما هو جيد لهم ولو استطاعوا أن يقللوا الإشعاع لفعلوا ولكن هذا أمر ليس بأيديهم، هم يفعلون كل ما هو ممكن من أجلهم ولكن من الواضح أن الوقت سيِّد لا يقبل المنازعة وسيبقى الجميع تحت رحمته هو حتى يأذن بأن يعود كل شيء كما كان، ودون شعور وجدوا أنفسهم يردِّدون: المجد للأخوية دائمًا.

٢١٢٥ – القاهرة الحديثة.

العمل قد تزايد وذلك بعد إضافة قسم الإصلاحات فوق الأرض والذي لا يكف عن العمل أبدًا؛ لذلك أمرت الأخوية بإنشاء أول مصنع يكفي احتياجات الإصلاح اللازمة فالأدوات والقطع المطلوبة أوشكت على الانتهاء، وما زالت هناك الكثير من الإصلاحات.

وفي خلال شهر واحد تم إنشاءُ أول مصنع فوق الأرض، لقد تمَّ تشييد البناء فقط ثم وجد البناؤون وكل من كان يعمل في هذا الشأن أنَّ الحراس قد جاءوا بصناديق معدنية زرقاء قاتمة، بها مقبضين للحمل وبابُ الصندوق به

لوحة لإدخال رقمٍ سري، كانت أحجامها كبيرة فأثارت الدهشة والفضول في آنٍ واحد، وبرز من بين الحراس رجلٌ قصير يرتدي عوينات دقيقة أشارَ لهم بأنْ يفتحوا تلك الصناديق فنفَّذوا الأمر في سرعة ليصاب الجميع بالانبهار مما يرون فقد رأوا معداتٍ قابلة للتجميع لتصبح ماكيناتِ تصنيعِ عملاقة.

أخرج صاحب العوينات بعض الصفحات المكتوبة والجاهزة من جيبه وبدأ في توزيعها على أشخاص يختارهم هو وبذلك قد عيَّن مسئولين عن تجميع تلك الآلات وأخبرهم أيضًا بفريق العمل داخل تلك الورقة ثم تركهم ومضى، وبقي الحرَّاس وما زال هناك منهم من يخرج بصناديق مثل التي جاءت من قبل، شرع الناس في العمل تغمرهُم سعادة أنهم محظوظون للعمل فوق سطح الأرض ولكن ما زال الأمر مقلقًا،

أين كانت تلك الآلات؟ وهل ما زالت هناك آلات أخرى غيرها؟

وكيف تمَّ تصنيعها من الأساس؟

عمومًا كل ذلك لا يهم فالأخوية تعمل لمصلحة الجميع أولًا، المجد للأخوية.

٢١٢٨- القاهرة الحديثة.

حالات اختفاءٍ كثيرة ومريبة بدأت في الظهور وخصوصا أنَّها تتراوح في الأعمار بين الثامنة عشر والخامسة والعشيون، لا أحد يعلم أين ذهبوا ولكنهم فجأة يختفون، الحراسُ يبحثون دائمًا ولكن الأهالي يأكلهم القلق فكلُّ من اختفوا كانوا من عمَّال المصنع، القلق يعيث في عقول وقلوب الناس ولكن إلى الآن لا إجابة لكل تلك الأسئلة، ٥م يثقون أن المقنَّع سيجيب يومًا ما، يثقون بالأخوية ثقةً عمياء حتى أنهم في تلك اللحظات كانوا يرددون عبارةً واحدة: المجد للأخوية دائمًا.

٢٢٢٠- القاهرة الحديثة.

حالات الاختفاء ما زالت في ازدياد ولا أحد يعلم ما الذي يحدث بل ودبَّ الرعب بين الناس فالبعض لا يريد الذهاب لعمله خوفًا من أن يختفي؛ منهم من يقرر البقاء مع أسرته ومنهم من يقرر البقاء وحيدًا ولكنهم جميعًا يتشاركون نقطة أنَّ من يخرج إلى العمل سيختفي يومًا ما فآثروا البقاء، ولم يخرجوا طيلة يومين كاملين إلا من أجل الطعام فقط.

في نهاية اليوم الثاني بدأت الشاشات تومضُ ومضاتها السريعة كالعادة ليظهر المقنع في كامل زيَّه المعهود ولكن لأول مرة لم ينتظر مهلة الثلاثين ثانية بل شرع في الحديث مباشرةً قائلًا:

«سنعطيك كل شيء مقابل ولائك الكامل لنا، العدلُ سيتم تنفيذه مهما كانت الظروف، الحرية غالية جدًا وسنبذل لأجلها حيواتنا إن لزم الأمر، كانت تلك بنودٌ من بنود صك الحرية الذي وافق عليه أسلافكم واليوم أنتم تخرقون تلك البنود فمهما حدث لا يمكن أن تعطِّلوا حركة سير الحياة هنا، أنتم المسؤولون عن حياتنا وأنتم من بيدكم هلاكنا جميعًا، نحن نعلم مدى انزعاجكم لكنَّنا كنا نبحثُ طويلًا في أمر الاختفاء ذلك ووجدنا أنَّ كل من اختفوا قد ذهبوا بمحض إرادتهم خارج أسوار المصنع ليستكشفوا الأرض، ووجدنا أيضًا أنهم قد تخلَّصوا من وسائل التتبع من بذلهم فلم نستطع نعلم أنَّهم تركوا المنطقة الآمنة وبذلك عرَّضوا أنفسهم للإشعاع القاتل الذي فتك بحياتهم».

ثم بدأ في عرض صورٍ لبعض الشباب المتوفِّين في منطقةٍ ما على سطح الأرض، وقد تم التقطت الجثث وتجميعها كلها في مكان واحد، الكل يشعر بالذهول، بالشفقة، بغصةٍ في القلب على كل من مات، ثمَّ بدأ البكاء يعلو في القاعة فقد وصل لكل ربِ أسرةٍ لديه فقيد خبرٌ على نظارته يفيد بأنهم عثروا على ابنه، أو لنكن دقيقين أنَّهُم عثروا على جثته.

«ندرك تمامًا مدى الألم الذي يعتصر قلوبكم الآن ولكن الخطأ كان ممن عصى أوامرنا وتعليماتنا، نحن نحرصُ على حيواتكم فلا تضيعوها هباءً، غدًا سيذهبُ كلٌّ منكم إلى عمله وسنتغاضى عمَّا حدث، وستكون تلك مرَّتنا الأولى والأخيرة في التغاضي، نحن دائمًا نعمل من أجلكم، الأخوية تعملُ من أجلكم، المجد للأخوية دائمًا».

٢٢٤٣- القاهرة الحديثة

الوقت يمر، السنوات تجري والعمر يذهب دون جديد، الناس يشعرون أنهم في دوامةٍ لا يخرجون منها وكأنه أمل زائف زائل، هل سيأتي يوم يصعدون فيه إلى الأرض الحقيقية؟!

إلى الدفء الذي يستمدونه من سويعاتٍ يعملونها داخل المصنع الكبير، هل سيجدون يومًا هذا الوطن المنشود؟!

الأرض التي ينتمون لها وتنتمي إليهم، أسئلة كثيرة تجول في الخواطر.

في بعض الأحيان يتم عرض أفلام من عصرِ ما قبل الانفجار من باب الترفيه وقتل الملل وأيضًا من باب الحفاظ على ما تبقى من الوطن حتَّى وإن كان يتجسد في وردةٍ متفتحةٍ يبهرُ لونها الناظرين، يسمعون عن الحب ولكن أين هو؟!

أمرُ التَّناسل والتكاثر والزواج أصبح فرضًا بل وعبئًا ثقيلًا فهو لم يعد شعورًا جميلا كما كان أو كما كانوا يسمعون فالأمر أصبح ميكانيكيًا بالكامل فهم لا يمارسون الجنس إلا من أجل الإنجاب فقط ولا شيء آخر، أن يختلي الرجل بامرأة- أيًا كانت - لهو أمرٌ شائع هنا ولا يجرِّمه أي قانون- إلا بعض المحافظين على ما تبقى من آثارِ ما كان يسمى بالدين قديمًا- فقط يجب أن تفصِح الأم عند الولادة عن والد الطفل ولا شيء آخر.

بعضهم يكوِّن عائلات، والبعضُ يرى أن كونَهُ وحيدًا لهو أفضل بمراحل لكنهم جميعًا يتشاركون في افتقادهم للمتعة، الحياة بشكلٍ ما أصبحت بلا طعم فأنت تعيش لمجرد أنك تتنفس دون هدف ودون أمل، تعيش لأنه من المفترض أن تعيش

ولا شيء آخر لكن, الأخوية قد وعدت أنهم سيصعدون يومًا إلى سطح الأرض.

الكل يدرك أنَّ الأخوية دائمًا تفي بوعودها مهما كانت مستحيلة ولكن الأمر يتطلب وقتًا بل وربَّما الكثير من الوقت، عمومًا الأخويةُ دائمًا تعمل وتدير كل شيء بأفضل الصور، قد لا يعيشون ليروا هذا الوقت الذي ينعمون فيه بالانتصار الموعود ولكن يومًا ما سيذوقون طعم الانتصار وطعم الحرية، ودونَ شعور أصبحوا يردِّدونَ دائمًا، المجد للأخوية.

٢٣٤٠- القاهرة الحديثة.

إنَّ الأرض التي تربَّى فيها الإنسان قد يخشى يومًا أن يفارقها لهذا نَجد الحنين للأماكن التي تربطنا بها ذكريات ما، الأرض الجديدة التي يعيش عليها البشر الآن يشعرون فيها بالأمان حتَّى أن بعض الناس قد آثروا العمل تحت الأرض فهم لا يريدون الصعود للعمل بالأعلى ويرون أن المكان هنا مريحٌ وآمن بعيدًا عن صخبِ الأرض ورياحِها و حرارتها وكل ذلك، هم يحبونها جدًا ولكنهم لا يريدون أن تكون هي مسكنهم فهم قد ولِدوا في هذا المكان وبين تلك الجدران لذلك قد قرَّروا أن يموتوا فيها تقديرًا للمكانِ الذي احتواهم وقت الولادة وأن يقضوا أعمارهم فيه إلى نهايتها، وتلك كانت وجهة نظر البعض، ولكن ليس كل ما نريده نجده.

قد سمع الجميع بالبعثة الثانية التي ستحدِّد مدى تشبُّع الأرض بالإشعاع، وهل ستصلح للحياة الآن أم سينتظرون وقتًا أطول؟

الأمرُ كانَ ذا أهمية للبعض، والباقون قد رضوا بتلك الحياة كما هي دون التفكير في أي قادم أو حتى في أيٍ مما مضى فهم فقط يعيشون ولا شيء آخر.

ومضَت الشَّاشات ومضَاتِها السريعة ليظهر بعدها المقنَّع كما عرفه الناس بزيِّه الأبيض ورداِئه المعهود،

انتظر ثلاثين ثانية ثم قال:

«إلى الذين أرادوا الحرية في كل لحظة وإلى الذين عمِلوا بكدٍ لنواصل مسيرتنا العظيمة وطريقنا الصعب نحو الاستقلال، أحييكم جميعا.

الأملُ بدأَ يظهر في الأفق فتقارير الباحثين تخبرنا أنَّ الأرض قد تعافت مما حدث وهي الآن جاهزة لاستقبالنا، استعدوا فقضيتنا آتت ثمارها أخيرًا وسنبدأ التعمير والبناء من اليوم لنعود إلى أرضنا الأم ونكلِّل انتصارنا القديم بالحديث، الأخوية تفي بوعودها دائمًا، المجدُ كل المجد للأخوية»

هلَّل الجميع في فرحٍ غير مسبوق فإنَّ ما عاشوا له قديمًا بدأ في التحقق، أخيرًا سيخطون على الأرض بأقدامهم دون خوف وستبدأ الحياة بين أيديهم تلك المرة، المجد للأخوية، كل المجد لها.

في صباح اليوم التالي بدأت مهام جديدة في التوزُّع على الناس وكلها كانت عبارةً عن بناء حوائط وأسوار على مسافات شاسعة، لم يعلم الكثيرون سبب كل هذا البعد بين الحوائط التي يبنونها، الغريب في الأمر أنهم كانوا يتلقون أمرًا بأن يبنوا حائطًا في مكانٍ ما، حائط واحد فقط في أماكن متفرقة، بدأوا بالصعود إلى الأعلى والحماس يلهبُ أجسادهم فأخيرًا سيتم البناء وستكون الحياة الحقيقيَّة.

هناك الكثير ممن لم يروا سطح الأرض من قبل لذلك كانوا مشدوهين بكل شبر يكتشفونه بأعينهم، ارتداؤهم البذل كان من أجل الحماية ثم بدأ التعوُّد على الضغط ودرجات الحرارة وكل التحكم بالبِذل كان يتم إدارته من داخل مركز القادة فالأخوية تعرفُ أكثر وتعملُ لمصلحة الجميع، بدأوا في السير من خلالِ الخرائط المثبَّتة على معاصمهم بالبذل ومعهُم أدواتُ البناء وكل ما يحتاجونه في حاملة لتلك الأغراض يسمونها (موجول) تشبه الناقلات الكبيرة ولكنَّها على شكلٍ أصغر توضع داخلها المعدات كلها داخل صندوقها الواسع المكشوف من الأعلى بلا سطح والذي يتوسطها تمامًا.

ما إن يتم تعبئتها بالمعدات والأدوات حتى يخرج من جانبيها اثنا عشر مقعد ليجلس عليه الأفراد وللأمان فإنَّ المقاعد تغلقُ واجهتها بقبةٍ زجاجية مقاومةٍ للكسر مما يُتيح الرؤية للراكب والحفاظ عليه.

الـ(موجول) يقودها سائقٌ محترف فقد صُمِّمت بشكلٍ يجعلها تشقُّ طريقها وسط أي شيء ولا يوقفها شيء؛ فمقدمتها المعدنية مثلَّثة الشكل قادرةٌ على شقِّ أي شيءٍ أمامها إلى نصفين كما أنَّها تسيرُ بستَّة عجلاتٍ كبيرة قادرة على تخطي الطرق الوعرة ومحرك دافع قوي مما يجعلها قويةً في أي موقف، الـ(موجول) لم تكن تُستخدم تحت الأرض فقد صُمِّمت خصيصًا للسَّير فوق الأرض، وها هي تعملُ بكفاءة.

كل مجموعة كان لها قائدٌ يجلسُ بجوار سائق الـ(موجول) ويوجهه على حسب خريطته ولكن الغريب في الأمر أن الناس كانوا يذهبون لموقع ويبدؤون العمل فعلًا ثمَّ يفاجئون أنَّ العمل كانَ عبارةً عن تشييد حائطٍ وحيد في مسافة شاسعة فيذهبون للمهمةِ التَّالية فيجدونها مشابهةً لمهمَّتهم الأولى وهكذا، حتَّى أنَّ بعض المهمات التي يذهبون إليها كانوا يجدون مبنىً كاملًا قد تم تشييده ولكنَّه ينتظر حائطًا أو سقفًا أو حتى بابًا ليكتَمل، هم لا يدركون لماذا يحدثُ هذا ولكنَّهم يثقون تمامًا بالأخوية ومن المؤكَّد أنَّ هذا هو القرار السليم فالأخوية أوصلتهم إلى هنا، المجد للأخوية، كل المجد لها.

٢٣٥٧ – القاهرة الحديثة.

معالمُ البناء بدأت إلى حدٍ كبير في الظهور ولكنَّ انتقال النَّاس الكامل لم يتم بعد فقد تمت إحاطة منطقةٍ كبيرة بأسوارٍ عالية شاهقة وتمَّ بناءُ مشفى كبير جدًا وقد أطلقوا عليه اسم (المصحة) واستحوذ المشفى على ثلثي المساحة داخل الأسوار؛ ففيها يتمُّ تعقيم الطعام وتصنيفه والمشروبات كذلك أيضًا كما أنَّ هُناك قسمًا كبيرًا للتجارب العلمية واستخراجِ الأدوية للأمراض الجديدة التي ظهرت، وبها غرفٌ للعمليات فيها أحدثُ ما توصَّلت إليه التكنولوجيا.

وقد كرَّست المصحة بأطبائِها معظمَ المجهود لمعالجة المشكلة الكبرى التي تواجه الجنس البشري كله ألا وهي معضلة (منطقة بروكا) وهو جزءٌ في الدِّماغ المسؤول عن الكلامِ وتكوين الجمل فإلى الآن ما زال الكلام محرمًا، وبرغم التقدُّم التكنولوجي الموجود إلا أنَّ التكنولوجيا كانت متاحة ولكن ليست للجميع وليست لكل شيء فما زال هناك من يتعاملون بالمفكِّرات والأقلام إلى الآن.

وفي نصف الثلث المتبقي من إجمالي المساحة تم بناءُ ألف وحدة سكنيَّة شاهقةِ الارتفاع تصلُ الواحدةُ منها إلى ثلاثين طابقًا وبكل طابق خمسة شقق مناسِبة المساحات وتوفِّر الكثير من الراحة، الشوارعُ بين الوحدات رائعة ويوجدُ بكل شارع طوليًا خطٌ طويلٌ من النباتات المختلفة بمنظرها الخلاب، كانَ يتمُّ توزيعُ الوحدات توزيعًا عادلًا فيتم إعطاءُ الوحدة لفردٍ من كبارِ أعضاء الأخوية يليه فردٌ من البنائي يليه المهندس وبعده المزارِع ثمَّ الطبيب، وكان يتمُّ مراعاة التوزيع على أساس الأسر أيضًا فرب الأسرة له الأولوية عن الأعزب وهكذا تمَّ التوزيع، كانت هُناك خطط لبناء المزيد من الوحدات السكنية وقد باشروا في تنفيذها ولكن خارجَ أسوار تلك المدينة.

كان المتبقي من المساحة عبارة عن مركزٍ كبيرٍ للتسوق يستطيع الفرد أن يأخذ منه ما يريد بنظام الرَّاتِب فقد أصبح الناس يتقاضون أجرًا الآن، لكنَّ الأجور لم تكن نقودًا يُمسكونها بين أيديهم بل أصبحت عملاتٍ رقمية يحتفظون بها داخل شرائحهم الإلكترونية مما يزيدها أمنًا، كما أن هناك بجوار مركز التسوق تمَّ بناء نادٍ للترفيه ومقهى لبيع المشروبات ومطعم، لتلك المدينة بابٌ واحد كبير شاهق، لا يُفتح إلا مرتين في اليوم وفي المرتين كانت تدخله مركبات الـ(موجول) محمَّلةً إمَّا بالمعدات والعاملين بها أو بالمؤن التي تزوِّد المدينة بكلِّ ما تحتاجُه من طعامٍ ومشروبات ودواء وملابس، دائمًا كانت الحراسة مشدَّدة على الباب، لا أحد يدري لماذا هناك حراسة فمَن عديم العقل الذي يترك كل هذا الترف و يذهب إلى الخارج؟

فوق هذا الباب العريض حُفر بخطٍ عربيٍ عريضٍ جدًا من الداخل والخارج كلمةً أصبحت اسمًاً وعنوانًا لهذه المدينة، كُتِب فوقه (القاهرة ١٠٣٠).

٢٣٦٧- القاهرة ١٠٣٠.

عمليات نقل الناس من الأسفل للأعلى كانت مرهقةً جدًا بل وصعبة ولكن الكثيرين استطاعوا أن يتأقلموا على تلك الحياة الجديدة وألِفوها تمامًا، السعادةُ بدأت في شق طريقها إلى البشر مرة أخرى ولكن مهلًا، هل كانت هناك سعادة قبل ذلك؟

استيقظ الدكتور حازم من نومه في تمام الثامنة، قامَ مترنحًا مجهدًا ولأنه يدرك أهمية عمله استيقظ وجلسَ على فراشِه المربَّع ذي المرتبة المائية التي توفر له الراحة التامة أثناء النوم وهي أيضًا توفر له الكثير من الكوابيس والأحلام المزعجة، حسنًا من الواضحِ أنَّه لا توجد راحة تامة من الأساس.

يقوم ممسكًا بجهازه اللوحي الذي يحوي بيانات مرضاه وجداول سير العمل فيتفقده ولا يجد جديدًا؛ الأمورُ اليَوم ستكون كالمعتاد إذًا، قام من سريره إلى حوضِ الماء ليزيلَ عنه آثار النوم ولكنَّه متعب ويريد الخلود للنوم مرةً أخرى إلَّا أنَّه لا يستطيع، يحاولُ أن يزيدَ من جرعة الماء على وجهه حتى يستيقظ تمامًا ثمَّ يخرجُ من المرحاضِ متجهًا إلى حجرةِ ملابسه ليرتدي ملابس العمل ويبدأ يومه كالمعتاد.

نزلَ من مسكنِه في الطابق العشرين عبرَ المصعدِ فائقِ السُّرعة والذي قد طورته الأخوية جدًا واتَّجه إلى وسيلة نقله وهي سيارةٌ بمقعدٍ واحدٍ يتوسَّطها مما جعلها صغيرة الحجم، الناس هنا يشترون السيَّارات وفقًا لعددِ أشخاصِ الأسرة، وبما أنَّه كان وحيدًا فلم يحتج أن يحظى بكرسي آخر، فهو وحده وكفى.

اتَّجه إلى المطعم ليتناول فطوره ثم إلى المقهى ليحتسي بعض القهوة لتساعده على إتمامِ يومه، وبعدها يذهب إلى المصحة ليباشر العمل، قفزَ بخطواتٍ رشيقة صاعدًا سلالم باب المصحة وعبرَ من الباب محييًا فرد

الحراسة بإيماءةٍ من رأسه دون كلام ليسير في الممر ويجد لافتةً عن يمينه (الكلام ممنوع لراحة المرضى)

ينعطف بعدها يمينًا ليجد لافتةً أخرى

(الحديث يخلُّ بنفسيَّة من لا يستطيعون الكلام، استخدموا المفكرات)

يعبرُ جوارها متجهًا إلى مكتبه ويدلف إليه سريعًا، الهدوء والسكينة يغلفَانه، يجلسُ خلف المكتب مريحًا جسده قليلًا وأمامه لوحةٌ شفافةٌ مكتوب عليها دكتور (حازم مراد).

يبدأُ في مراجعة مهامِ عمله للمرة الثانية لهذا اليوم، يفتحُ درجًا في المكتب ويزيح مصباحًا صغيرًا وسكينًا صغيرةً ليأخذ بعض الحاجيات ويضعها في جيب معطفه ثمَّ يخرج متوجهًا لفحص المرضى.

منذ الانفجار العظيم حلَّت بالبشرية الكثيرُ من الأمراض، لحسنِ الحظ أن الأخوية قد استطاعت أن تنقِذ الكثير من المركَّباتِ الدوائية التي ساهمت بشكلٍ كبير في الحفاظ على الجنس البشري قويًا وخاليًا من معظمِ الامراضِ الى الآن لكن المرض العضال الذي لم يعلموا بوجوده إلا بعد فوات الأوان هو "ضمور منطقة بروكا" تلك والذي يعانون بسببه حتى الآن، الأخوية ما زالت تقوم بالفحوصات والتَّجارب لحل هذه المشكلة والقضاءِ على المرض حتَّى أن هناك الكثير من المتطوعين يُعانُون من هذا المرض والذين قد وهبوا أنفسهم للمصحة لإجراءِ العلاجات الجديدة عليهم أيضًا، إنَّهم يتأذَّون نفسيا جدًا فقدرتهم على السمع لم تضمر ويستطيعُون سماع كل شيء لكنَّهُم لا يستطيعون قول كلمةٍ واحدة وهذا أمر مؤلم بحق.

يبدأ ألأ الدكتور حازم يومه بأوَّل فحص فيدخل إلى غرفة المريض الأول ولم تكن غرفةً كبيرةً جدًا لكنها كانت كافيةً لتحوي فراشًا وبعض الأجهزة الطبَّية وأداتي تصوير مثبتتان في زاويتين من زوايا الغرفة لمتابعة المرضى ومتابعة نشاطهم، كما تمَّ تزويد الفراش بجهازٍ لوحي على طرفه موضح عليه كل ما مرَّ به هذا المريض

وعدد الأيام التي قضاها في المصحَّة، ينظرُ إلى تقريرِ حالتِه من خلال الجهاز اللوحي فيعلم عدد الأيام التي قضاها والفحوصات التي خضَعَ لها فيقرِّرُ أن يعطيه الجرعة الدوائية (لاكس) ويسحبُ الدَّواء بالمحقن ثم يضعه داخل جهاز مثبت بذراع المريض لينتقل المركب إلى جسده بسرعة فيبتسم للمريض ابتسامةً عريضة، يخرج بعدَها من الغرفة ويذهب إلى المريض الثاني وهكذا يكون يومه.

إنَّ الدكتور حازم في معظمِ الأحيان لا يرى أطباءً كُثرًا داخل المصحة فهو لا يقابلهم إلا في أضيقِ الحدود ماعدا مدير المصحة الدكتور عمَّار الذي كان مرجِعًا لكل ما يريده حازم، يُنهي يومه ويعود إلى مكتبه ليلملم أشياءه ثم يخرج، يستقلُّ وسيلة انتقاله ويمرُّ على المطعم ليتناول وجبة غداءه والتي تحتوي دائمًا على البازلَّاء وهو يكرهُا لذلك يفرغُها في كيس صغير ثمَّ يُلقي بها في أقربِ سلَّة مهملات، إنَّ الأخوية قد فرضت قانونًا اسمه قانون الإهدار وينصُّ أنَّه لا يجب على أي مواطن أن يهدر ولو جزءًا صغيرًا من طعامه وإلا تعرض للعقوبة لذلِك هو يخفي كرهه للبازلاء حتى لا يعاقبوه على إهدارها.

يشرب بعض القهوة وبعدها يصعد إلى منزله، تلك حياته ولا شيء آخر فقد كان يحاول أن يملأ هذا الفراغ دائمًا ولكنه لم يجد ما يُساعِده على ذلِك، في بعض الأحيان يفكر ماذا كان قبل كل ذلك فينظر من شرفته ليجد صورةً كبيرةً للمقنَّع الذي لم يظهر منذ زمن مكتُوب تحتها (الأخوية تحميكم دائمًا).

لا يفهم لماذا من المفترض أن تحمِينا الأخوية، ثمَّ ومن ماذا تحمينا وقد قضوا على كل ما كان شريرًا يومًا ما؟!

نحنُ نعيشُ في سلامٍ مطلق، سمعوا قبل ذلك عن الحروب في عهد البشر القديم بل كان هناك يومًا أسبوعيًا يجلس كلُ شخصٍ أمام شاشته ليشاهد بعض الوثائقيات التي أنقذتها الأخوية ليُدركوا كيف كان حال الأرض، الجميع يعلمون أنهم لا يراهم أحد ولا يراقبهم أحد ولكنهم كانوا ينتظرون هذا اليوم أسبوعيًا للحصول فقَط على بعضٍ من ما مضى، حازم كان يجلس ليبحث ورغمَ

أنَّه لا يدرى عن ماذا يبحث لكنه يبحث؛ يبحثُ عن هوية، عن وطن، عن أي شيء، وكان دائم التفكير بلا انقطاع، يفكِّر حتى في الأدوية التي يعطيها للمرضى، هو مُختصٌ بنوعين فقط من الدواء هما (لاكس) و(روكس) الأول للمرضى الذين لم يقضوا أربعة عشر يومًا في المصحة، والثاني لمن أتمَّ أربعة عشر يومًا.

خطر على باله سؤالٌ آخر وهو: كيف لم يلاحظ أن المرضى لا يبقون أكثر من أربعة عشر يومًا؟! نعم، فبعدَ تِلك المدة يتبدلون تمامًا ويأتي مرضى آخرون، بأشكالٍ أخرى وبأعمار مختلفة.

لقد سأل يومًا الدكتور عمَّار عن هذا السبب فكان الرد مقنعًا حيثُ أخبَرهُ أنَّ هؤلاء قد أكملوا فترة علاجهم هنا وتلك فترة تجهيزيَّة ليتلقَّوا علاجًا أفضل و أقوى، حتَّى أنَّه أراد أن يشارك في المرحلة الثانية من العلاج لكنَّ الدكتور عمَّار أخبره أنه يحتاجه هنا أكثر وأنَّه يومًا ما سينتقل إلى مراحل أخرى من العلاج بل إنَّه هكذا يساعدُ النَّاس بشكلٍ أفضل، تركه حازم حينَها وهو يرى أن الدكتور عمَّار يقف بطريقِ نجاحاته لا أكثر، ولكن كيف سيفعلُ ذلك وقد كان الوحيد الذي يهتم بكل شؤونه، وهو لا يعرِفُ أحدًا غيره بل إنَّهُ الوحيد الذي يسمح له بالتحدث خلسة دون اللجوء للكتابة فيعيدُ توازُن عقله، يخبرُ نفسه أن الدكتور عمَّار يعرِف أكثر ويدركُ ما الصالح دائمًا فهو قلَّما يخطئ.

حازم لا يتذكر الستةَ والثلاثين عام التي مضت من عمره، هو يدرك أنه يبلغ هذا السن الآن ولكنه لا يتذكَّر سوى أنَّه ولِد هنا وعاش هنا وتلقَّى تعليمه هنا والآن يعملُ بالمصحة كطبيب، تساءَل يومًا: ألم يكن له زوجة، أولاد، أب، أم أو أي شخص يعرفه فهو يشعر بحنينٍ لأشخاصٍ ليسوا هنا، يشعرُ بالوحدة الدائمة، الوحدة فقط، ولا يدري كيف يقتلها، يذهب إلى فراشه ويتدثر جيدًا، يغطُّ في شبه نوم معاندًا لكل الأفكار ومستسلمًا لواقعٍ لا يعلم عنه شيء.

في صباح اليوم التالي يقوم حازم من نومه كالعادة فيرتدي ملابسه ويكرِّر ما

يفعلُه يوميًا إلى ان يذهب إلى المصحَّة ويدخلُ إلى مكتبِه ليأخذَ بعضًا من مركبات (لاكس) و(روكس) ويدسها في جيب معطفه ويبدأ العمل ككل يوم، وبينما هو في الممر تقابله ممرِّضة تسير عكس اتجاهه بعربة طعام فيحييها بابتسامةٍ وإيماءة وترد عليه التحيَّة بالمثل ثمَّ يُلقي نظرةً على الطعام الذي يقدم للمرضى فيرى أنَّ معظمه من الخضروات ويبتسم لرؤيته هذا الاهتمام من المصحة بالناس، يشكرُ الأخويَّة في سره من أجل ذلك ويكمل طريقه ليدخل إلى المرضى ويتابع حالاتهم ويبدأ في حقنِهم، وخلالَ يومِه دخلَ إلى غرفة من الغرف فوجد بداخلها امرأةً وللحظة شعر بشيءٍ غريب نحوها، شعرَ أنَّه يعرفها ولكنَّه لا يتذكر التفاصيل، هل ضياع التفاصيل بسبب شحوبها أم رأسها الحليق؟

لا يدري، هو فقط يشعرُ أنهَّ يعرفها حقَّ المعرفة.

نظر لها محييًا إياها بابتسامةٍ وإيماءة ولكنها لم تردَّهما بأي شكل، لم يخف ابتسامته بل تقدَّم تجاهها لينظُر لحالتها عبر الجهاز اللوحي فوجد أنَّ اليوم هو الأخير لها، يتعجَّب لذلك فكيف يكون اليوم هو الرابع عشر لها وهو يراها لأول مرة؟

حسنًا، قد تكونُ مريضةً خاصةً بطبيبٍ آخر وأُسند إليه هو اليوم متابعتها، يُخرج من معطفِه مركب الـ(روكس) ويسحبه بالمحقن ثمَّ يدفعه بالجهاز المثبت بذراعها ليبتلعه الجهاز موصلًا إيَّاه إلى ذراعها في لحظات فيسحبُ المحقن ثم يدير ظهره لها ويتجه للباب.

- شكرًا لك يا دكتور حازم.

تسمَّر مكانه وشعر بشعورٍ غريب فوقع اسمه على مسامعه له زهوٌ يشعرُ به لأول مرة، لقد سمعه من قبل ولكنه لا يدري أين، يندهش وتختفي الابتسامة ويستدير إليها في بطء.

-أرجوك قف مكانك، تقدَّم خطوتين ولاصق الباب ثم استدِر كي تخرُج عن مجال رؤية الكاميرات.

وهُنا تصيبه الدهشة مرةً أخرى فكيف لها أن تعلم كل تلك المعلومات، ثمَّ كيف لها أن تتحدث من الأساس، إنَّها من المصابين بضمور منطقة بروكا كيف لها أن تتحدث؟

ينفذ ما تقول ثم يستدير إليها قائلًا: كيف؟

كيف تسطيعين التحدث بل كيف تعرفين اسمي؟

- أنا أعلمُ أكثرَ مما تظن يا دكتور حازم.

ومن أينَ لك بكل تلك المعرفة وأنا حتى لا أضع شارةً مكتوب عليها اسمي أو ما شابه؟

- أنا مجهول الهوية بالنسبة لك.

فتجيبه قائلةً: بكل بساطة إنَّ لي بك صلة وثيقة فأنا زوجتك.

- يضرب الذهول عقله ليقول لنفسه:

ماذا تقول تلك المجنونة ثم كيفَ تكون زوجتي وأنا لا أعرفها أصلًا؟!

- من المؤكد أن بعقلها خرف، ولكن كيف تهذي وهي قد علمت اسمي دون أن أنطقَ به حتى، هي لا تهذي فهي تعلم أن الكاميرات هنا للمراقبة فقط ولا يوجد بها ميكروفونات، هناك شيءٌ غريب حول تلك المرأة، شيء عظيم.

ماذا؟ زوجتي؟ كيف تكونين وأنا لا أعرفك حتى؟

أنت لا تعرفني ولكنِّي أعرفك حقَّ المَعرِفة يا دكتور حازم مراد، وكُلنا نعرفك، قد لا تصدِّق ولكن لديّ دليلٌ سيجعلُك تصدقني.

فيجيب في لهفة من يريد التصديق ولكنه في نفس الوقت لا يريده:

- ما هو؟ ماذا لديكِ؟

لن تجدني هنا بعد اليوم.

يحادثها مندهشًا فهو لا يدري من أين علمت أنها لن تكون هنا بعد ذلك فيقول: لماذا لن تكوني هنا بعد اليوم؟

أنتِ تتلقين علاجك وقد أصبحتُ أنا الطبيب المسئول عنك لذلك سأراكِ يوميا

فتبتسم ابتسامةً تهكُّمية ثم تقول: لن تراني أبدًا فاليوم آخر أيام حياتي.

يا لهولِ ما يسمع!

ضرباتُ قلبِه تتزايد ولا يدرك ما يحدث له، تلك المرأة بها شيءٌ غريب يجعله يصدقها بل وبدون شعور، يشعرُ أنه على حافة الفقد ولا يدري أمِن حقه أن يشعر هذا الشعور تجاهَ امرأةٍ لم يعرفها إلا منذ دقائق معدودة، لكنَّه يشعر بشيءٍ ناحيتها فيكمل وقد تهدَّج صوته قائلًا:

كيف علمتِ ذلك؟! إن مؤشراتك الحيوية تقول بأن صحتك جيدة.

حتى وإن كانت فمحقنك قد حكمت عليَّ بذلك.

تضرب عقله بكلماتها مرة أخرى فيندهش وتخرُج من عينه دمعة لا يعلم بوجودها إلا عندما تدغدغ خدَّه في طريقها للهبوط، يتذوَّقُها بفمه المفتوح من الدهشة قائلًا:

أنا؟! مِحقني؟! لا، لا يمكن، أنا أستخدمها للعلاج وليس للقتل.

أنت تعتقد ذلك ولكن الحقيقة مغايرة دائمًا يا زوجي العزيز.

الدموع بدأت في التلاحق، ماذا يفعل الآن؟

حتى وإن كانت تكذب فتلك الملامح الهادئة والعينان الحانيتان والابتسامة التي تحولت لعذوبة يلمسها لا تكذب، كل ذلك لا يكذب.

يحاولُ أن يُقنِع نفسه أنهَّا مريضة وتلك مجرد ترهات تنطق بها، يبدأ في تمالك نفسه ثم يقول: أنا لا أصدق.

لتنطق هي قائلةً: وتلك عادتك، دائمًا لا تصدق حتى تلمس الحقيقة بيدك.

يدير ظهره لها ثم يهمُّ بفتح الباب فتنادي عليه قائلة:

حازم، لا تترُك معطفك اليوم في المكتب خذه معك وتمَّعن ما فيه.

لم يستدر لها بل فتحَ الباب وخرج وقبل أن يغلقه نظر إليها من الانفرَاجة البسيطة ليرى وجهها وترتسم عليه تلك الابتسامة التي تزين هذا الوجه ثمَّ أغلق الباب ومضى في طريقه.

يعود (حازم) إلى بيته منهكًا فيدلف من باب الشقة ويلقي بحاجياته على كرسي قريب، قلبُه به غصة فتلك المرأة التي رآها لم تكن عادية بل ولم يشعر أنَّها كاذبة وقد شعر نحوها بقربٍ غريب، شعر بأُلفةٍ لا يُدرك مصدرها وعقله لا يكف عن التفكير فيها، تذكَّر كلماتها

(لا تترك معطفك اليوم في المكتب، خُذه معك وتمعَّن ما فيه)

فعاد إلى الكرسي الذي ترك عليه أشياءه وأخذ المعطف من بينها يفتِّش في جيبه الأيمن، لم يجد شيئًا أمَّا الأيسر فوجد داخله شيئًا ما، أمسك بذلك الشيء وأخرجه فإذا هي ورقةٌ مطويةٌ بعناية من الواضح أنها قد كُتِبت منذ فترة.

وكأنَّ تلك المرأة تجهزت لمثل هذا اللقاء ففتح طياتها ببطء من يسيرُ لأوَّل مرة ويخشى السقوط حتى أصبحت أمَامه واضحةً كاملة ليقرأ ما جاء بها:

«زوجي الحبيب، حازم

وددتُ أن أراكَ قبل ذلك وبحثتُ عنك كثيرًا، كلُّنا بحثنا عنك ولم نستطع أن نجدك إلا منذ أيام قليلة، إن كنت ما زلت تهتم لأمري فسامحني على دخولي بتلك الطريقة إلى مكان عملك فلم يكن من المفروض أن نتقابل هكذا ولكنَّهم أمسكوا بي أيضًا ووضعوني أمامك فهم يختبرُون قدرتهم على كل ما فعلوا ومنَ الواضح أنهم قد نجحوا في ذلك، جعلوكَ تراني بشكلٍ غير مباشر في كثير من المرات ولكنَّك لم تتعرف إليّ، لم أستطع أن ألفت انتباهك في أي من تلك المرات فقد كان دائمًا هناك من يُراقب وكنت أخشى عليك، ما زلتُ أخشى عليك إن كنتَ تقرأُ تلك الرسالة فمن المؤكَّد أنكَ قد حقنتني بمركب الـ(روكس) القاتل، أعلم أنّك مندهش بل وما زلت غير مصدق، إن أردتَ لمس الحقيقة كما تفضِّل دائمًا فاذهب للخارج، إلى خارج الأسوار»

هنا لمعت عيناه فتلك الفكرة لم تخطر على باله قط، إنَّ كل ما يعلمه عمّا هو خارج الأسوار أنَّه تم نقلُ المصنع الكبير بعيدًا ولكن ما زالت هناك مناطق مميتة إثر إشعاع الانفجار العظيم؛ لذلك هم لا يخرجون أبدًا وقوَّات الحراسة تستخدم عربات الـ(موجول) للتنقل والحصول على ما يستطيعون من مؤن وخاماتٍ صالحة للبناء وإعادة الإعمار.

لكنَّ فكرة الخروج نفسها دغدغت عقله وحفَّزت داخله شيئًا ما، شيئًا لم يشعر به قبل اليوم فأكمل قراءته لنصِّ الرسالة التي تقول:

«إلى خارج الأسوار، اتبع السور الأيمن حتى نهايته وستعلمُ أنت الطريق وحدَك عندها، ولا تنس إخفاء كيس البازلَّاء التي لا تفضِّلها دائمًا في وجبة الغداء، اعتن بنفسك عزيزي وليكن طريقك مملوءًا بنا , المحِبة دائمًازوجتك»

انتهت رسالتها وهو لا يصدقُ كيف علمت كل ذلك، حتَّى طعامه الذي لا يحبه عرَفَته، تلك المرأةُ ليست عادية، عيناه تسيل منهُما دموعٌ لا يعلم مصدرها، لا يعلم ماذا يفعل أو ماذا يقرر؛ أيتبع حدسه الذي يُخبِرُه أنَّ ما تقوله تلك المرأة صحيح أم يعيشُ بسلامٍ كما اعتاد أن يعيش؟!

لا يعلم ماذا يفعل ولأول مرَّة يشعرُ أنَّه غيرُ قادرٍ على اتخاذ قرار ولكن منذ متى وهو يتَّخذ قرارًا بالأساس، هو لم يقرر أنْ يعمل هنا، هوَ لم يقرر أن يسكُن حتَّى في هذا الدور المرتفع، لم يقرر شيئًا من قبل، قام من غُرفته متجهًا لمطبخِه ليتفاجأ أنه لا يملك مطبخًا وهي مجرد مساحة خالية.

ما هذا؟

يسأل نفسه: هل أعيش هنا دون مطبخ؟

يتذكَّر الآن أنه لم يحتج إلى وجود مطبخ إطلاقًا فدائما هو يأكل في المطعم ويأخذ مشروباته التي عادةً ما تكون القهوة من مقهى المشروبات ثمَّ يعود لبيته لينام، هو لم يحتج مطبخا أبدًا!

الدَّهشة تغلف اليوم، وها هو يرتدي ملابسه ثمَّ يخرجُ من مسكنِه متوجهًا للأسفل، ولم تلفت انتباهه تلك الصورة الموضوعة على الحائط أمام باب شقَّته تمامًا، إنَّها صورة المقنع وقد كُتِب تحتها

(نحن نراك، الأخويَّة تعلمُ كلَّ شيء)

مريب.

هذا ما قاله قبل أن ينزل إلى الأسفل مستقلًا المصعد، خرجَ من البنايةِ مستقلًا وسيلة انتقاله ومتجهًا إلى المقهى، ما إن وصلَ حتى قابله النادل بابتسامته المعهودة ثمَّ قبل أن يطلب شيئًا وجد أن النادل قد جاءه بقهوته المعتادة فجلس قليلًا يفكِّر في كل ما حدث اليوم، ارتشف رشفات قليلة من

القهوة وهو ما زال يفكر، تذكَّر صوتها عندما نادته وتذكَّر تلك الابتسامة التي يشعر في قرارة نفسه أنَّه يعرفها، ولكن منَ تكونُ حقيقةً؟

يجبُ أنْ يتَّضح كل شيء، سيعلم إن كانت كاذبةً أم لا في الصباح فهو سيذهب إلى غرفتها ليرى إن كانت مازالت موجودة أم لا، سيفعل ذلك صباحًا قبل أن يقوم بأي عمل، أمَّا الآن فقد قام من المقهى مستقلًا وسيلة انتقاله متجهًا إلى المنزل، صعد البناية متجهًا إلى شقته، دلف إليها متجهًا إلى حجرةِ نومه وألقى جسده على فراشه، بعد أن خلع ملابسه أغمض عينيه وغطَّ في نومٍ عميق.

في صباح اليوم التالي قام من نومه متثاقلًا، يشعر أن جسده كأنما دهسته إحدى سيارات الـ(موجول) يقوم ليجهز نفسه للعمل ويتأنَّق كعادته ثم يأخذُ معطفه وحقيبته ويخرج من باب مسكنه، المصعدُ أمامه لكنه أراد أن يجرب شيئًا جديدًا هذه المرة، لم لا يستخدم السلالم؟!

يريد أن يخلق تغييرًا لذلك الروتين اليومي، أن يتقافز على السلالم برشاقةٍ لم يكن يدرك أنه يملكها من الأساس، وفي كل دور كان يجد صورةً للمُقنَّع تحمِل نفسَ الكلمات

(نحن نراك، الأخوية تعلم كل شيء)

لم يعلم لماذا أصابه تكرار تلك الصور في كل دورٍ بانقباض في قلبه، لوهلةٍ شعر بالخوف، شعر أن المقنَّع في الصُّورة ينظر إليه، ينظر إلى عينيه تمامًا فقرَّر أن يُغيَّر الخطة ويستقلَّ المصعد فهو لا يريد أن يتأخر على عمله.

خرج من البناية مستقلًا وسية انتقاله إلى المطعم ومنه إلى المقهى ثمَّ إلى المصحة، دخل إلى المصحَّة وذهب لمكتبه ليزَود نفسه ببعضٍ من مركبات الـ(لاكس) والـ(روكس) ليبدأ العمل.

ولكن مهلًا، لقد تذكر تلك المرأة، كيف له أن ينسى من الأساس؟

تذكَّر فاهتاجت مشاعره مرة أخرى وخرج دون أخذ شيء من مكتبه،

ذهب مسرعًا في خطواته وهو يأمل أن يراها أو أن تكون كاذبة، يأمل أن تظلَّ موجودة فبوجودها سيزول كل هذا التوتر الذي في رأسه.

اقترب من حجرتها فدخلها مسرعًا ودون ابتسامته المعتادة ليجدها أمامه، بدأ يرتاح وجهه قليلًا فذهب إلى الجهاز اللوحي متصنعًا تلك الأفعال ليلفت انتباهها فالتفتت إليه بعد أن كانت توليه ظهرها ليجدها مريضة أخرى، امرأة أخرى غير التي رآها بالأمس!

بدأ عقله في الترنح مما أثَّر على جسده كله فبدأ في الترنح هو الآخر، كان يقول لنفسه والدهشة تسيطِرُ عليه: مهلًا، أكلُّ ما قالته تلك المرأة حقيقي؟!

كيف ذلك؟

إن لم يكن حقيقيًا فأين هي؟!

وإن كان حقيقيًا فهذا يعني أني قد قتلتها.

فكرة القتل نفسها تدمِّر بقايا ثباته، أمن المعقول أن يكون قد قتلها؟!

بل مهلًا، أمِن المعقول أن يكون قد قتل كل هؤلاء الذين كان يحقنهم بمركب الـ(روكس)؟!

كيف يكون شريكًا في جريمة كتِلك؟!

قرَّر أن يذهب للدكتور عمَّار ليخبره عن كل ما يجول في خاطره فهرول إلى مكتبه تاركًا كلَّ ما يتعلق بعمل اليوم، هو يريد إجابات ولا أحد يستطيع أن يجيبه سوى هذا الرجل.

ذهب إلى مكتبه وطرق الباب ثم دخل فوجد الدكتور عمَّار يُطالع كتابًا ما، قام من على مكتبه وحيَّله قائِلًا:

حازم، تفضل بالجلوس.

جلس حازم وفي عينيه مئات الأسئلة ثم تحدَّث قائلًا:

- دكتور عمَّار أنا أعلم أنك لن تكذب، أنت الوحيد الذي أثق به في هذا العالم بل أنتَ الوحيد الذي أعرفه، أرجوك أخبرني ماذا تفعل مركباتنا بالمرضى أو تحديدا المركبات التي أُعطيهِم أنا إياها.

- ماذا حدث يا حازم؟ هل هناك مشكلة؟!

- أرجوك أجبني يا دكتور، الأمر في غاية الخطورة.

- حسنًا اهدأ، إنَّ مركباتنا ما هي إلا علاجات من التي تم إنقاذها، ومركب الـ(لاكس) ما هو إلا مهدئ اسمه في الحقيقة سيليكوكسيب، ومركب الـ(روكس) ما هو إلا مهدئ آخر اسمه روفيكوكسيب، إنَّها مجرد مهدئات للمرضى لتهدئة حالتهم النفسية والتي تنتُج عن عدمِ قدرتهم على الكلام تلك، أنا لا أعرفُ لها أي آثار جانبية سوى أنَّها قد تسبِّب بعض الهلوسات، هذا إن سببت شيئًا، الآن وقد أجبتك عمَّا تُريد أخبرني ما الأمر؟

- هنا كان حازم على وشك أن يخبره بما حدث لكنه لوهلة شعر أنه يجب أن يحتفظ بهذا الأمر سرًا وألا يخبر به أحد، فرد عليه قائلًا:

- مجرد سؤال يا دكتور فقد شعرت ببعض الاضرابات لدى المرضى وخفت أن أكون سببًا في ذلك.

- لا تقلق يا صديقي، قد تكون مجرد هلوسات فلا تخف من ذلك وأكمل عملك.

حاضر يا دكتور، سأكمله على أكمل وجه.

خرج حازم من عِند الدكتور عمَّار وهو يشعر بصدق كلامه، ولكن أين ذهبت تلك المرأة إذًا؟!

إن كان ما يقوله حقيقي فمن المفترض أن تكون موجودةً في حجرتها، لكنَّها غير موجودة، هناك أمرٌ ما وشيء مريب.

سيحاول أن يبحث عنها في قواعد البيانات التي لديه صلاحية الولوج إليها لذا أسرَع بالذَّهابِ إلى مكتبه وأمسك جهازه اللوحي وبدأ في البحث، هو يتذكر رقم حالتها لذا سيبحث عن ذلك الرقم وبالفعل بدأ في إدخال الأرقام على شاشة جهازه وأمر بالبحث فظهرت له صورتها، يخفقُ قلبه، يخفق بشدة، هو لم يكن يدرك ملامحها بصورةٍ دقيقة حتى الآن.

يتلمس وجهها على الشاشة؛ هذا الوجه الذي حمل نفس الابتسامة التي ارتسمت عليها عند آخر مرةٍ رآها فيه ورغم أنها كانت حليقة الرأس إلا أنَّه تلمَّس فيها جمالا أخاذًا وها هو الآن يراها أمامه، يقرأُ تفاصيل المَرض فيجدُ أنها مصابة بضمور منطقة بروكا هي الأخرى، ولكن مهلًا كيف تحدثت إذًا إن كانت مصابة بهذا المرض؟!

يُكمل البحث والقراءة فيجد أنها أخذت كل جرعاتها السابقة من مركب الـ(لاكس) وعلى مدار ثلاثة عشر يومًا وأن الجرعة الأخيرة كانت من مركب الـ(روكس) وبيده هو، لوهلة شعر أنه ارتكب خطأً ما، أكمل بحثه ولكنه لم يجد شيئًا بعد ذلك وكأنَّ التقرير قد توقف عند اليوم الذي أعطاها فيه الدواء، هناك شيء ما ويجب أن يعرف ما هو.

أنهى عمله لهذا اليوم وقد اعتمَل داخله سؤالٌ واحدا وهو: أين ذهبت؟

لذلك أخذ قرارًا بالبحث، سيبحثُ عنها داخل المصحة نفسها، ولكن أين يبحث فالمصحة كبيرة جدًا ومساحتها شاسعة، فأين يجب أن يبحث؟ ومن أين يبدأ؟

لم يعلم كيف يجيب على تلك الأسئلة ولكنه قرَّر المجازفة بالبحث عن تلك المرأة، كان يعلمُ أن المرضى الذين يكملون أسبوعين تحت ملاحظته يتم ترحيلهم إلى مكانٍ آخر لتلقي العلاج لذا فمقصِدُ بحثه الآن أن يبحث عن هذا القسم، ارتدى معطفه وخرج من مكتبه متجهًا إلى آخرِ الممر الذي لم يذهب إلى آخره يومًا فقد كانت الحجرات دائمًا على جانبَي الممر وهو له عدد حجرات معينة يتابعها ثم ينتهي عمله إلى هذا الحد فيعود إلى مكتبه؛ لذلك قرَّر أن يكمل الممر في تلك المرة ويرى إلى أين سيفضي به.

سار في طريقه متجاوزًا كل الحجرات التي دخلَها اليوم وأكمل إلى أن وجد بابًا بعرضِ الممر مكتوب عليه (المرحلة الثانية)

أراد أن يدخل ولكنه وجد أنَّ الباب يتطلب منه تصريح دخول فوضع شارته التي أخذها من مكتبه مؤخرًا على الباب فانفتح، دلف منه ليرى نفس الممر مرة أخرى ولكن الحجرات تغيَّرت أشكالُها فأصبحت لها نوافذ زجاجية تستطيع من خلالِها أن ترى المرضى دون أن تدخل، سار ببطء متفحصًا إيَّاهُم فهو لأول مرةٍ يدخل هنا.

وجدهم جميعًا يعطون ظهورهم للنوافذ الزجاجية وكأنهم أُمِروا بذلك وعلى رؤوسهم الحليقة من الخلف ضماداتٌ كثيرة، مهلًا من الواضح أنَّ هؤلاء أجريت لهم عملية زراعة منطقة بروكا!

سار في طريقه ليجد بابًا آخر بعرضِ الممر لكن لا توجد لافتة تدل عليه ولم يُكتب عليه شيء، حاول الدخول ولكن الباب يتطلَّب تصريحًا للدخول هو الآخر فحاول بشارته ولكنه لم يفتح، حاول مرة ثانية وثالثة وما زال الباب مغلقًا، كيف يستطيع أن يدخل؟!

هذا الباب يثير فضوله، حسنًا سيجد طريقةً ما أمَّا الآن فهو سيعود أدراجه ليفكر في حل، عاد من حيث أتى إلى أن وصل إلى باب (المرحلة الثانية) وقبل أن يفتحه لاحَظ بعض الخيالات من أسفل الباب، يا للهول شخص ما قادمٌ إلى هنا!

نظر يمينًا ويسارًا يفكرُ في مخرج فلم يجد أمامه إلا غرف المرضى، هرع إلى بابٍ وفتحه ليدلف إليه في سرعة وفي نفس اللحظة التي أغلق الباب فيها كان بابُ الممر قد فُتح، ساعدته إضاءة الحجرة الخافتة على متابعة الوافِدين من خلال النافذة الزجاجية فوجد أن من دخلوا هم ممرضتين وطبيبٌ شاب والدكتور عمر وقد كانوا يمضون مسرعين في طريقهم إلى الباب الأخير في الممر، تابعهم بعينيه حتى وصلوا إلى الباب وأخرجت إحدى الممرضات شارتها ووضعتها أمام الباب ليفتح ويدخلوا جميعًا، عيبً تلك الأبواب أن الإغلاق الأتوماتيكي لم يكن سريعًا بما فيه الكفاية فحتى تلك اللحظة لم يكن باب (المرحلة الثانية)

قد أُغلق بعد وقد فطن حازم ذلك فخرج من الحجرة مسرعًا ولكنه ما إن خطا ناحية باب (المرحلة الثانية) توقف برهة واستدار مسرعًا ليلحق بالباب الثالث بالممر والمفتوح منذ لحظات، استطاع أن يمسكه قبل أن يُغلق تمامًا وظل ممسكا به قليلًا حتى يطمئن أن من دخلوا قبله قد ابتعدوا، نظر بطرف عينيه فوجدهم ساروا إلى بابٍ آخر بالممر ودخلوا منه و أغلقوه خلفهم ففتح حازم الباب رويدًا حتى اتسع له فدخل ولكنه خشي أن يُغلق الباب ولا يستطيع الخروج فوضعَ على مزلاج الباب محقنةً يشكلٍ أفقي ليمنعه من الانغلاق ويظهر للناظر من بعيد أن الباب مغلق.

استدار ليجد على جانبي الممر غُرفًا مغلقةً تمامًا ولا توجد بها نوافذ زجاجية، هي مصمتة تمامًا وقرر أن يدلف إلى واحدةٍ منها ليري ما بها فـفتح الباب بروية ودخل إلى الحجرة، وجدَ ضوءًا خافتًا يُغلفها وبمنتصفها فراشٌ يرقد عليه شخص ما، يرقد على بطنه وظهره للأعلى، مهلًا هذه تشبه حجرة عمليات، اقترب بروية من المُسجى أمامه ليجد رأسه مثقوبةً من الخلف وتحديدًا في مكان منطقة بروكا وقد انتُزع منه هذا الجزء تمامًا، مهلًا إن دمائه ما زالت تسيل، هذا الشخص على قيد الحياة، يحاول حازِم أن يوقف النزيف ولكن كيف، يمسك ببعض الأقطان ويدسُّها في رأسه ولكن لا فائدة، حاول أن يقيمه ولكنه وجد أن ذراعيه مقيدتان إلى السرير بل وقدميه أيضًا فبدأت الدموع تحفر طريقها إليه، هو بكل الطرق لا يستطيع أن ينقذ هذا الشخص في الوقت المناسب، حلَّ وثاقه و أراد أن يقيمه ولكن بلا جدوى فنظر إلى وجهه الذي فرغ من كل علامات الحياة ويبدو أنه فارقها من وقت ليس بطويل، احتضنه حازم، احتضنه دون أن يعلم من هو أو مَن أهله وحتَّى دونَ أن تربطه به أي صلة، احتضنه فهو لأول مرة يري إنسانًا يُعذب ويُقتل بتلك البشاعة، أعاده إلى الفراش كما كان ووجد أنه من الأفضل أن يقيده كما وجده أون يزيل أي أثر يدل على وجوده وتأبى يداه وكلُّ جسده أن يفعلَ ذلك لكنه مضطر لذا أعاد ربطَ وثَاقِه وهمَّ بالخروج ففتح من البابِ شيئًا بسيطًا يستطيع من خلاله النظر للخارج، اطمأنَّ أن لا أحد بالجوار فأكمل

فتح الباب وخرج مُسرعًا إلى باب الممر ليجد محقنه ما زال في مكانه ففتح الباب وأزال المحقن هرول مسرعًا واجتاز الباب الذي يليه ثم ذهبَ لمكتبه.

أخذ حقيبته وعاد إلى منزله، لم يذهب للمطعم كي يأكل ولم يأخذ قهوته، لم يفعل أي شيء سوى أنه عاد إلى المنزل، عاد والدموع قد شقت طريقها عبر عينيه، لا يفهم ما الداعي لكل تلك البشاعة، عاد وبدَّل ملابسه وعزم أن يعلم كل شيء، بحث عن الورقة التي أعطتها له المرأة التي قابلها قبل يومين، تطلَّع إلى رسالتها مرةً ثانية فـقُبض قلبه عندما تخيل صوتها وعيناه تجري على كلمة زوجي، مر على كل الكلام مرةً أخرى مسرعًا حتى أكَّد معلومة المكان الذي يجب أن يذهب إليه "يمين السور ومن بعدها سيعلم الطريق وحده"

لا يدري كيف سيفعلها ولكنه عزم أن يخرج، نزل من مسكنه ولم يستقل وسيلة نقله، ظلَّ ينتقي الأماكن التي تفتقر للضوء وسار فيها حتى اقترب من البوابة الكبيرة وكانت الأضواء حولها تشبه ضوء الشمس وقت الظهيرة، من المستحيل أن يخرج، يحتاج إلى حيلة ما، يحتاج أن يفعل شيئًا، ولكن ما هو؟!

اقترب أكثر فوجد مركبات الـ(موجول) المهيبة تدخل و تخرج من البوابات بعد تفتيشٍ دقيق لما تحمله ولكامل الأفراد بها إذًا هو هكذا لن يستطيع انتحال شخصيةً أي فرد فيها، خطرت على باله فكرة فمركبات الـ(موجول) تذهب إلى المصحة يومياًا وتزودهم بالمؤن وتضع الأغذية في منطقة الاختبارات إذًا فالمكان الأنسب ليستقل الـ(موجول) سيكون من داخل المصحَّة نفسها وهو ما يعني أنَّه سيؤجل ما يريد فعله حتى الصباح، عاد إلى بيته كما جاء وصعد إلى مسكنه وهو يفكر في كل ما يحدث بل في كل ما سيحدث، ولا يدرك هل ما يفعله صواب أم خطأ لكنَّه يشعر أنه على وشك أن يُحدثَ تغييراً كبيراً، لكنه لا يدري ما هو، لا يدري.

لم يذق(حازم) طعم النوم فهو طيلة الليل يفكر فيما سيفعله، وقد رسم خطة تحركه؛ سيذهب إلى المطعم كعادته ويشرب قهوته ثم يذهب إلى العمل كعادته، لكنه لن يستقل وسيلة تنقله فهو لا يريد أن يدرك أحد

أنه دخل المصحة ولم يخرج، ثمَّ سيذهب إلى قسم المؤن ويبقى فيه حتى تأتي مركبات الـ(موجول) فيستقلها وسيرتجل ما سيحدث بعد ذلك.

في صباح اليوم التالي قام ونزل إلى العمل بعدما فعلِ كل ما رسمه في رأسه، دخل إلى المصحة مترجلًا ومنها إلى مكتبه وأخذ بعض الأشياء التي قد يحتاجها ودسَّها في جيبه، أخذَ سكينًا وقداحة ومصباحًا يدويًا وقلمًا ومفكرة كما أخذ معه جهازه اللوحي وترك شارته بالمكتب، قام بعمله كالمعتاد وعندما أنهى العمل وهمَّ بالانصراف غيَّر مساره ليذهب إلى منطقة المؤن وكانت تلك مرَّته الأولى فمنطقة المؤن كانت ساحة كبيرة شبه خالية ولكن كانت بها أبوابٌ تفضي إلى أقسام المصحة أو إلى معظمها فهو لا يعلم كل الأقسام، اختبأ خلف بعض الصناديق الكبيرة والتي تلونت بلونٍ أزرق، ومن ضخامتها قد اختفى تمامًا خلفها وظلَّ هكذا حتى حل الظلام.

جاء الليل وجاءت معه مركبات ال،(موجول) تلك النقطة كانت مناسبةً تمامًا لاستقلال المركبة فالحراسة هنا تكاد تكون منعدمة ولا يوجد سوى السائق وشخصٌ آخر معه يُنزلان ما لديهما ويأخذان صناديقًا من الفارغة، خطرت على باله فكرة أنه ربما يختبئ في أحد تلك الصناديق ولكنه كان يراهم وهم يحملون الصناديق بسهولة نسبية ومن المؤكد أن وزنه سيزيد وزن الصناديق مما قد يجعلهم يشكون في الأمر فيلقون نظرةً داخل الصندوق وإن فعلوا ذلك فسينتهي أمره تمامًا؛ لذلك آثر أن يصعد الى المركبة بعد أن ينتهوا من تحميلها تمامًا ويختبئ داخل الصناديق الموجودة بالمركبة وما إن تخرج الـ(موجول) من المدينة سيتركها هو ويقفز، والمركبة مفتوحةٌ تمامًا ولن تغلق عليه، وارتاح لتلك الفكرة ولكنه لم يكن يدري كيف ينفِّذها حتى الآن ثمَّ سمِع قائد الـ(موجول) وهو يُحدِّث زميله ويقول له:

- علينا أن ننهي عملنا هنا سريعًا فاليوم سينقلون الصناديق الكبيرة.

ليرد زميله قائلا بدهشة:

الصناديق الكبيرة؟ اليوم؟!

نعم، فلنَفرَغ سريعًا.

هل تعلم أننا سعداء الحظ أننا لن نكون مسئولين عن ذلك؟

نعم أعلم؛ لذلك أريد أن أخرج قبل أن نفقد هذا الحظ فإن رأونا قد يجعلوننا نخرجها معهم.

سمع حازم ما دار بين الرَّجلين مما جعله يفكر، ما الذي داخل تلك الصناديق الكبيرة؟

إذًا سيبقى، سيبقى حتى يعلم ما بداخلها وسيخرج معها.

دقائق مرت والرجلان يحاولان بأقصى جهدهما أن يملئا مركبتهما بالصناديق الفارغة حتى جاءهما أحد الحراس آمرًا إياهما بالمكوث قليلًا فهم سيحتاجونهما عما قريب.

بُهت الاثنان على مرأى من حازم المختبئ خلف أحد الصناديق المملوءة بالمؤن، وما هي إلا دقائق حتى جاءت مركبتين أخريين من مراكب الـ(موجول) ووقفتا في الساحة الكبيرة ونزل من كل مركبة فردان بجوار الحارس الواقف، مرَّت دقائق رأى بعدها حازم بابًا كبيرًا ينفتح بالسحب على الجانبين ليخرج منه خطَّاف كبير يسير في ممرٍ معلقٍ بالسقف، حاملًا أربع صناديق كبيرة في حجم الحجرات ووضع الصناديق الأربعةَ على مركبة (موجول) فارغة ثم استقلَّها سائقها ومساعده وخرجا ليأتي خطَّاف آخر يحمل أربع صناديق أخرى ويضعها على المركبة الفارغة الثانية، وكما حدث بالأولى استقلَّها سائقها ومساعده وخرجوا ثمَّ جاء الخطاف بحجرتين ووضعهما على المركبة الثالثة نصف الممتلئة، في تلك الأثناء استغلَّ حازم انشغال الجميع بما يحدث وزحف على بطنه مستترًا خلف الصناديق حتى وصل إلى مركبة الـ(موجول) نصف الممتلئة فصعد إليها بهدوء وفتح أحد الصناديق ودخل فيه وأغلق غطاءَه عليه ولكنه ليس إغلاقًا كاملًا حتى يستطيع التنفس وأيضًا حتى يستطيع الهروب فالصناديق تُفتح من الخارج فقط، وبينما هو في الصندوق وأمامه مساحةٌ فارغةٌ على متن المركبة وجد أنَّ الصناديق الكبيرة تهبط أمامه وتسدُّ كل مجالات الرؤية إلا من فرجةٍ بسيطة بينها تُظهِر له الطريق،

شعر أن السائق ومساعده قد صعدا من اهتزازات الـ(موجول) المتتالية وبدأت الـ(موجول) في التحرك وهو يشعر باهتزازاتها ودورانها داخل الفناء الواسع ذاك، واجهت الـ(موجول) بوابة منطقة المؤن وخرجت منها متجهةً إلى البوابة الكبيرة.

حازم ينظرُ إلى الطريق من الخلف ولا يريدُ أن يقوم بأي حركات مفاجئة كيلا يُفضح أمره، توقفت المركبة فجأة ثمَّ سمع همهماتٍ من الخارج، ما زال نظره مثبتًا على الفُرجة بين الصندوقين الكبيرين يحاول أن يستنتج أي شيءٍ مما يقال ولكن الصوت كان ضعيفًا ولا يصله، فجأة وجد اثنين من الحراس يصعدان إلى متن المركبة ينظران فيها ويفتشانِها.

هو يرى أقدامهما وخيوط النور المنبعِثة من مصباحيهما اليدويين، فتَّشا قليلًا ثم نزلا وسمع بعض الطرقات على جسم الـ(موجول) فتحرَّكت كأنما كان ذلك هو الأمر بالتحرك، خرجت المركبة وعبرت البوابة الكبيرة والآن يشعر برهبةٍ وخوفٍ شديدين فهي أول مرة يترك فيها المصحة، أول مرة في فعل كل شيء، أول مرة يغاير واقعه الرتيب ويطلقُ العنان لجموحٍ لا يدري إلى أين سيصل به، ينظر من خلال الفرجة بين الصندوقين الكبيرين ليجد أمامه البوابة الكبيرة تظهر بكامل بهائِها وتبتعدُ شيئًا فشيئًا لتكتمِل أمام عينيه ويرى المحفور فوقها تمامًا "القاهرة ١٠٣٠".

اطمأنَّ حازم أنَّ المركبة خرجت من البوابة الكبيرة ففتح باب الصندوقِ بهدوء وخرج منه وأغلق غطاءه وجلس فوقه، شعرَ بالهواءِ الباردِ يلتفُّ حوله بل إنَّ أنفاسه صارت مرئيةً له بسبب بخار الماء الناتج عنها، وبدأ يسأل نفسه:

- ما هذا؟! ما الذي يحدث؟

لم يألف أبدًا شكل البرودة فقد كان الجو داخل القاهرة ربيعيًا دائمًا ولم يعتد هذا الوخز البارد الذي يطرق كل أنحاء جسده، نفخ في يديه يبثُّ فيهما بعض الدفء ونظر يمينًا و يسارًا علَّه يجد شيئًا يزيد من حرارته، علم وقتها أن السائقين يعلمون طبيعة الجو فقد وجد معطفًا ثقيلًا في ركن من أركان الـ(موجول) فهرع إليه و ارتداه على الفور، الآن يدرك أن البرد يتخلى عنه والمعطف بدأ

في تزويده بالدفء، يشعر أنَّ المركبة تستدير ناحية اليمين، حسنًا هذا جيد تمامًا وسيُعطيه وقتًا ليكتشف ما بداخل الصناديق الكبيرة، كانوا يسيرون في عتمة الليل وضوء القمر فأخرج مصباحه اليدوي وبدأ بتشغيل ضوئِه الخافت وهذا بالتأكيد لن يظهر لأي شخص حتى وإن كان على بعد ثلاثةِ أمتارٍ من المركبة ثمَّ بدَأ في توجيهه إلى الصناديق وهو يدور حولها حتى وجد أنَّ بها جانبًا زجاجيًا يكشف ما بداخِلِها، ويا لهول ما رأى فالجوانب الزجاجية ملطخةٌ بالدماء!

حاول أن يسلط الضوء داخل الصندوق نفسه لتصطدم عينه بأجسادٍ عارية محفورة رؤوسهم من الخلف، اقشعرَّ بدنُه من المنظر وحاول أن يجد إشارةً لأي حياة فيهم ولكن لا أمل، ذهب الى الصندوق الثاني ناظرًا إلى جانبه الزجاجي ليجد الدمَّ مرة أخرى ويجدها بداخله، لقد كان يبحث عنها وها هي الآن أمامه.

تسمَّر مكانه وفغر فاه فقد وجد وجهها ملاصقًا للجانب الزجاجي وكأنها معروضة أمامه ليراها، بكى، بكى بلوعةٍ لا يعلم مصدرها وفي تلك اللحظة شعر أنها قريبة منه فهناك ألمٌ يعتصر قلبه ودموع عينيه تحرق وجنتيه ويحاول أن يصرخ بصمت، يشعر أنه المسؤولُ عن موتها، يدقق النظر فيها فيرى آثارًا لتعذيبٍ جسدي كبير تحمَّلته تلك المسكينة، المركبةُ تميل يمينًا ويسارًا فتسقط هي على أرض الصندوق ليظهر له ظهرها المشوَّه إثرَ ضرباتٍ بشيء حاد بل وطعناتٍ أيضًا، ورأسها الحليقة محفورة هي الأخرى، لا يدري ماذا يفعل، لا يدري كيف ينتقم حتى، لا يدري أي شيء ولا يستطيعُ سوى أن يتبع ما قالته هي له.

يتذكَّر صوتها، يتذكَّر بسمتها الأخيرة التي لازمتها حتى في وقت الموت، يُقبّل الزجاج عسى أن تصلها قبلته، يشعر بالمركبة تستدير مرة أخرى فيقوم وعيناه معلقتان بالصندوق بل بها هي، تلك التي لا يعرف اسمها حتى، يسيرُ إلى حافة المركبة ثم يُلقى نظرةً أخيرةً عليها ويقفز.

كان يعتقد أن الـ(موجول) بطيئةٌ نسبيًا لكنه لم يكن يُدرك تلك السرعة التي تسير بها إلا عندما سقط وتدحرَج ليصطدم بصخورٍ بارزة من

الأرض في جانب جسده فتؤلمه، يشعرُ أنَّ هناك ضلعًا قد تهشَّم، يتحسَّس مكان الكدمة فيدرك أنه ما زال سليمًا ولكن الألم لا يُحتمل، نهض على قدميه وهو ينظر الى السور الذي انتهى جانبه الأيمن كما أخبرته المرأة، الآن حان وقت السير ويجب عليه أن يعلم أين يذهب أو سيضيع دون رجعة؛ لذا حدَّد وجهته وبدأ السير، يغوصُ في قلب الظلام على ضوء مصبا

تلك الليلة- داخل القاهرة ١٠٣٠

«إنَّ المحافظة على النظام هو ما ميَّزنا إلى الآن بل وجعل جنسنا يستمر حتى هذِه اللحظة»

كانت تلك الكلمات وقد بُثَّت مكتوبةً على الشاشات التي لا تكفُّ عن بث مثل تلك الجمل من خلال مركز القيادة _غير العلوم مكانه_ ولذلك كان من دواعي الحفاظ على النظام هو حساب الزيادة السكَّانية وتقنينها بما يتوافق مع الموارد الموجودة.

وجد مسؤول الحرَّاس وليد وخزًا طفيفا في مؤخر رأسه ممَّا يُفيد أنَّ شريحته الإلكترونية تستقبل أوامر جديدة فارتدى نظارته التي خلعها للتو فور دخوله إلى المنزل ثمَّ أعطى الأمر لتفتح الرسالة ليجد مهمةً جديدة للبحث عن شخص مختفٍ، كم يكره تلك الأوامر التي لا يعرف مصدرها، يشعر أنه وُجِد من العدم ليطيع الأوامر ويشعر دائمًا أنَّ هُناك حلقةٌ ناقصةٌ في كل شيء ولا يدري ما هي، وها هو الآن عليه أن يعاود العمل للبحث عن هذا المختفي علَّه يجد شيئًا.

يرتدي وليد الذي تخطى عقده الثالث بعامين زيَّه ليذهب إلى عمله مرة أخرى، هو يشعر بالضيق جراء عمله هذا ولكنه يدرك أنَّه لولاه هو ومن هم مثله لضَاع النظام الذي وضعته الأخوية وأنقذوا البشرية كلها به؛ فبفضل الأخوية هم الآن يعيشون بسلام، زوجته وولديه يعيشون بسعادة ورغم أنَّه لا يراهم كثيرًا لكثرة عمله ولكنه ما إن يعود إلى البيت

ويراهم يشعر بالسعادة والفخر فقد كان سببًا للأمان وحفظ النظام.

يخرجُ وليد من مسكنه ليذهب إلى نقطة مراقبةٍ ثانوية وتلك النقطة يطلقون عليها اسم (كودا) ويلي هذا الاسم رقمٌ يوضح مكانه بالضبط فوليد مسؤول نقطة (كودا 21) وفي نقاط المراقبة تلك يتجمع الحراس مع المسؤولين، وبما أنَّه مسئول تلك المنطقة فقد أتاه الأمر بأن يبحث عن هذا المختفي.

يركب وسيلة مواصلاته التي تحتوي على أماكن لأربعة أفراد تكفيه هو وزوجته وولديه ويدخل إلى نقطة المراقبة ليجد حارسين جالسين أمام بعض الشاشات فيُخرج مفكرته ويكتب فيها بعض الكلام ثم يقطع تلك الورقة ليعطيها لأحد الحارسين والذي يقرأها ثم يمررها لزميله ويوافقان على ما كتب وليد ويومئان برأسيهما بالموافقة ثم يخرجان سريعًا من نقطة المراقبة، لم يفعل الكثير، لقد كتب فقط في تلك الورقة أنَّهم يبحثون عن شخص مختفٍ داخل حدود القطاع (٢١) وزوَّدهما باسمه وأوصافه.

يدرك تمامًا أنَّهم لن يجدوه كما حدث سابقًا مع كل من اختفوا، بل وأنَّه بعد التقرير الذي سيرفعه لمقر القيادة سيتم صرف النظر عن هذا الأمر كله لكن ما كان يشغل باله أمر آخر وهو: كيف علمت القيادة باختفاء شخص ما؟!

الأدهى من ذلك أنهم علموا اسمه أيضًا، ثمَّ كيف لهذا المختفي أن يترك كل هذا النعيم والسلام ويهرب؟!

كيف يهرب وهو مجرد طبيب لا يقوم بعملٍ شاق ولا يفعل شيئًا سوى متابعةِ بعض المرضى؟!

ماذا لو كان مسؤولًا عن الحراس والحراسة مثلًا هو الآخر هل كان سيهرب؟

هذا رجل غير مسؤول وسيُعاقب إن وجدوه بالتأكيد.

يجلس وليد على مكتبه في زاوية النقطة الصغيرة تلك وأمامه الشاشات

التي تراقب القطاع (21) وعن يمينه الباب، يحدقُ في الشاشات باحثًا عن أي دليل فلا يجدُ إلا عناصر الحراسة تتحرك جيئة وذهابًا، بدأ عقله في الاشتعال فكيف سيهرب هذا الرجل دون أن يراه أي أحد؟

لقد تفادوا كل النقاط العمياء للقطاع، لا أحد يستطيع الدخول أو الخروج دون أن نراه على شاشاتنا أو يراه أحد الحراس.

في تلك اللحظة شعر أنه يريد معلوماتٍ أكثر فاتَّصل من خلال شريحته برئيسه الأكبر يسأله:

- سيدي، هل هذا المختفي مشتبهٌ به في شيء؟

ليأتيه الرد على عدسات نظارته قائلًا: لا، أخبرني أين وصلت، هل وجدتموه؟

- ما زلنا نبحث، ولكن أريد أن أعلم كيف علمتم اسمه، أليس هو مجرد شخصٍ آخر مثل من اختفوا من قبل؟

- سأخبرك؛ لقد طورنا عدادًا إلكترونيًا على باب مدخل كل وحدة سكنية يطلقُ أشعة ليزرية غير مرئية للشخص وعِندما يمر من خلالها عابرٌ نحو المسكن يزيد هذا في العداد رقمًا والعكس فعندما يخرج يُنقص من العداد رقمًا، ونحن نعلم عدد القاطنين داخل الوحدات كلهم لذلك علمنا بعدم وجود فرد ما.

ذهل وليد ممَّا سمِع فهو لم يكن يعلم أنَّ القسم التكنولوجي بالأخوية ما زال يطور معداتٍ أو أي شيء، بل ظنَّ أن نشاطهم أصبح محدودًا في أشياء أخرى لتوفير مصادر أكبر وأفضل لكن الرئيس لم يجب عن سؤاله فأرسل له قائلًا:

- هذا عظيم يا سيدي، من الرَّائع معرفة أن الأخوية تسعي دائمًا للحفاظ على الجنس البشري، لكن كيف علمتم أن المختفي هو الدكتور حازم مراد بالذات؟!

تمر الثواني كالساعات وينتظر الردَّ على أحر من الجمر، يشعر أن رئيسه –الذي لا يعرف اسمه ولم يقابله ولو مرة_ لا يريد أن يخبره تلك المعلومات؛ لذا شعر بالأسف على نفسه لاندفاعه في سؤاله هذا لكن ما إن راوده هذا الشُّعور حتى وجد رسالة من رئيسه يقول له فيها:

- أيها الحارس وليد أنت تسأل أسئلةً كثيرة، هل هناك ما يقلِقك؟

ارتجف وليد رجفة تنبؤه أنه قد أخطأ، هو يعلم أن سلك الحراس هذا لا مجال فيه للأسئلة الكثيرة فرد قائلًا:

- لا يا سيدي، لكني أحب أن أنبهر بكل ما تفعله الأخوية من أجلنا عامة ومن أجلي خاصة.

شعر أن تلك كانت الطريقة المثالية في الرد حتى لا يشعر رئيسه أنه متشكك في شيء ما، وجاءته رسالة منه يردُّ فيها:

- أنت ماكر يا وليد، أعجبني ردُّك الحيادي، حسنًا سأخبرك؛ إنَّ الأخوية قد طورت نفس فكرة العداد الإلكترونية ولكن على باب كل مسكن وبذلك عندما يدخل الشخص يعطى العداد إشارةً بعدد الأفراد الذين مروا من خلاله، وبما أنَّ الدكتور كان وحيدًا فبمجرد عدم دخوله لمنزله من بعد ساعات العمل علمنا أنه اختفى، وأيضًا البلاغ الوارد من المطعم ومحل المشروبات أن الدكتور لم يأخذ غداءه أو قهوته بعد العمل فتأكَّدنا أنه اختفى منذ ذلك الحين.

سعد وليد بكشف كل تلك الحقائق أمامه وأيقن أكثر أنَّ الأخوية لن تسمح أن تصيب الأرض لعنات بشرية أخرى، يشعر أنَّ بينه وبين رئيسه هذا الذي لم يره ولا يعلم اسمه أصلا صلة وثيقة بل وأحيانًا يشعرُ أنَّه يسمع صوته داخل أذنيه، ولكن الصوت، ما هو هذا لشيء الذي أسموه بالصوت؟!

هو لا يعرفه من الأساس فإصابته في منطقة بروكا منعت عنه تلك الميزة وحلَّ بدلا منه الصمت، الصمت ولا شيء آخر.

استلم وليد رسالةً على رقاقته ليعرضها أمامه فيجدها تقريرًا من الحرَّاس المسؤولين عن القطاع (٢١) يخبرونه فيها أنَّهم لم يجدوا شيئًا إلى الآن وأنَّ الأوامر وصلت إلى باقي عناصر حراس القطاع (٢١) والبحث جارٍ، حينها أمر وليد اثنين منهما بالعودة إلى المقر فهو سيخرج لعملية البحث تلك بنفسه؛ فالأمر تلك المرة مختلف فالمختفي قد خرج وترك المصحَّة كلها عن عمدٍ وقصد أو أنَّه تم اختطافه لذلك سيفعلها كما لم يفعلها من قبل، وصل فرْدَا الحراسة فحيَّيا وليد ورد التحية بدوره، ثمَّ أعطاهما ورقة كتَب فيها أن يبقيا أمام الشاشات ولا يتحركا ويرسلا إليه أي مستجداتٍ يجدانها، ثمَّ تركهما وخرج مُغلقًا الباب الحديدي الخاص بالنقطة خلفه.

خرج وليد وصعد على متن مركبة الـ(باج) _وهي سياراتٌ عالية تعمل بالدفع الرباعي قادرة على السير بسرعة وفي المناطق الوعرة وخُصصَت فقط لعناصر الحراسة- وانطلق نحو منزل الدكتور حازم، ما إنْ وصل حتى وجد مركبة حازم الأحادية ساكنةً أمام البناية مما يعني وجوده وأنَّه قد عاد من عمله ويغط الآن في نوم عميق لكنَّ حقيقة اختفائِه تقول غير ذلك، مرَّ من بابِ البناية وهو ينظر إلى أركانه ويريدُ أن يرى أين العداد الإلكتروني، جال بنظره حتى وجده عندَ منتصف بوابة الدخول بالأعلى وهو مجرَّد علبة صغيرة بلون البناية نفسها لا تكشِفها إلا عدسةٌ دقيقة يحسبها الناظر إليها أنَّها بقعةٌ جراء أي شيء، ولكن وليد لعلمه المسبق بها أدرَك مكان وجودها تمامًا، دخل وصعد إلى البناية مستخدمًا المصعد ولاحظ أنَّ كل دورٍ مكتوب بجانبه أسماء قاطنيه أي أنَّه لن يحتاج أن يسأل أين يسكن الدكتور فاسمه موجود عند الطابق العشرين.

وصل وليد إلى الطابق العشرين وفُتح باب المصعد، خطا خطوتين ليجد نفسه أمام باب شقة دكتور حازم ووجد لافتةً صغيرة مكتوب عليها (دكتور / حازم مراد) فوضع يده أمام بابِ المسكن ليسمع صوت انزلاقِ المزلاج مما ينبئ بفتح الباب

فرؤساء قطاعات الحُرَّاس يملكون صلاحية دخول أي منزل داخل حدود القطاع، دلَف إلى المنزل وأغلَق الباب خلفه، تفحَّص المكان فوجد يمينًا حمَّامًا صغيرًا تسبقهُ مساحةٌ واسعة من المفترض أنَّها مطبخ ولكنَّها فارغةٌ تمامًا، أمامه صالةٌ واسعة بأثاثٍ أنيقٍ بسيط ينمُّ عن ذوقٍ بسيطٍ لساكن هذا المكان، وبِنهايةِ الصَّالة شرفةٌ تطل على المدينة كلها، خطا وليد إليها وفتح بابيها الزجاجيين ودلف إليها ليشعرَ بنسيمٍ عليل يضربُ وجهه بلطف، نظرَ جانبه فوجد الكثيرَ من البنايات التي تشبه تلك البناية، ثمَّ نظر أمامه ليجد البوابة الكبيرة تظهر له من هنا بل والأحرف الكبيرة واضحة من هنا أيضًا واستطاع قراءتها بكل وضوح (القاهرة ١٠٣٠).

عاد إلى الخلف بظهره وهو مستمرٌ في تأمُّل في روعة المشهد ورهبته في آنٍ واحد؛ ثمَّ استدار ليدخل إلى الصالة مرة أخرى فوجد عن يمينه غرفة نوم وحيدة وكأنَّ ذلك المسكن قد صمِّم لشخصٍ واحدٍ فقط أو شخصين على الأكثر، خطا خطواتٍ حذرة نحو غرفة النوم يتفحَّصها ليجد بها فراشًا متوسطًا وكومود موضع عليه بعد الأغراض وخزانة ملابس ولا شيء أكثر من ذلك، اقترب من خزانةِ الملابس وفتحها لكنَّه لم يجد شيئًا غير اعتيادي بل إنَّه وجدها فقيرةً في الملابس التي يجب أن تكزن فيها، لا صناديق ولا أدراج، مجرَّدُ بعضِ الملابس المعلَّقة فأكمل طريقه ليصل إلى الكومود ويجدَ عليه صورة للدكتور حازم وهو يضحك مِلءَ شِدقيه كأنَّ السعادة تغمرُه تمامًا، ثمَّ سأل وليد نفسه:

- لماذا يرحلُ رجلٌ بكل تلك السعادة عن القاهرة ١٠٣٠؟!

هناك شيءٌ ما ليس منطقيًا.

يفتح الأدراجَ فلا يجدُ إلَّا بعض الأقلام والمفكِّرات وأقراص أدوية، ثمَّ يجدُ علبةً طوليةً سوداء، سَكن تمامًا قبل أن يقترب منها ثمَّ مد يده يُخرِجُها ببطء وكأنَّما وجد كنزًا دفينًا، فتحها لينظر لما بها ثمَّ ابتسم فقد كانت تلك نظَّارة، نظَّارة عرضِ شرائح خاصة بالدكتور حازم، هوَ بذلك يستطيع أن يرى ما يراه ويقرأ ما يأتيه بل الأكثر من ذلك، إنَّهُ يستطيع معرفة مكانه بالتَّحديد.

يسير حازم داخل الظلام، لا يتذكرُ أنَّه رأى الظلام قبلًا، يحاول أن يبدِّد وجوده بشعاعِ مصباحه اليدوي الضعيف، يمرُ بين أغصانِ الأشجار المترامية على الجانبين ويخطو فوقَ وريقاتها الساقطة الجافة فتحدثُ صوتَ تحطُّم يفزِعُه كليًا، يسمعُ بعضَ الأصوات من حوله ولكنه لا يدرك ماهي فيوجهُ المصباح ناحية تلك الهمهمات ولكنه لا يرى شيئًا، يعيدُ توجيهَ المصباح أمامه وهو مستمرٌ على نفس الطريق، ثمَّ بدأ يسمعُ صوتَ حفيف الأشجارِ خلفه فاستدار سريعًا ليوجه المصباح إلى مصدر الصوت لكنَّهُ لم يجد شيئًا، تملَّكه الخوف وتساءل: هل من الممكن أنَّ أحدًا يتبعه؟

من عساه يكون في أثره؟ هل رآه أحدٌ ما؟

وإذ به يجل الحل الأمثل لمثل هذا الأمر وهو الجري بلا توقف، استدار مرة أخرى ليواجه طريقه وبدأ في الهرولة وهو يسمع حفيف الأشجار يزداد فيزيد من سرعته ويسمع من خلفه سرعته تزيد، يسمع الأفرع السَّاقِطة تتحطَّم تحت قدمي أحدٍ يتبعه بل الأدهى أنَّهما ليستا قدمان فقط بل أكثر من ذلك بكثير فيزيد في هلعه ويفرز جسده الأدرينالين بكثرة فتصبح سرعته جنونية لكنَّه يسمع وقع تلك الأقدام على جانبي الطريق أيضًا مختفيةً وراء الأشجار فيزيد في سرعته حدَّ الجنون، حاول أن يصرخ ولكن خوفه ألجمه من فرط سرعته وسقط المصباح من يده فأصبح يجري في الظلام ولا يرى شيئًا إلا ما جادَ القمر به عليه من نورٍ طفيف، تعثَّرت قدماه في صخرة ليسقط على وجهه سقطةً كاد أن يتهشم منها قفصه الصدري لكنَّهُ يقوم مسرعًا و يكمل جريه ثمَّ يشعرُ أنَّ الأقدام التي تطاردُه قد خفتَ وقعها، بدأ في التخفيف من سرعته والنَّظر إلى الخلف فلم يجد شيئًا ولا حتى على جانبي الطريق، عاد إلى طريقه وأكمل سيره وهو يلتقط أنفاسه اللاهثة واستند إلى شجرةٍ عن يمينه ثمَّ سمع صوتًا خلفها، حاول الجري مرةً أُخرى ولكن خرج من خلف تلك الشجرة رجلٌ عظيم الجثة ضربه بهراوة على مقدِّمة رأسه ليسقط على الأرض.

حاول النهوض فانقلب على بطنه واستند على يديه وركبتيه فعاجله الرجل بضربةٍ على مؤخر رأسه ليسقط بعدها على الأرض مرةً أخرى مغشيًا عليه.

القاهرة – داخل الأسوار.

يعود وليد إلى مكتبه وهو يشعر بالسعادة لِما وجده في شقة حازم، جلسَ على المكتب ثمَّ خلعَ نظارته وارتدى نظَّارة حازم وبدأ في الانتظار فمن المؤكَّد أنَّ حازم سيفعل أي شيء من خلال شريحته ممَّا سيعطي إشارةً للنظَّارة بالعمل، وقتها قد يستطيع وليد أن يعرفَ أيَّ معلومة تدلُّ على مكان وجوده، حتى و إن مات فإنَّ الشريحة تبدأُ في إرسالِ رسائلَ بتحديدِ الموقع أوتوماتيكيًا إن لم يقم مضيفها باستخدامها لمدة اثنين وسبعين ساعة؛ وذلك لأنَّ نظَّارات الأسرة تترابط معًا لتحديد المواقع لمعرفة أماكن بعضهم وسهولة الوصول إذًا وجب عليه أن يدرك أي معلومة قبل أنْ تمرَّ ثلاثة أيام، جلسَ وليد مُحدقًا في الفراغ خلف النظارة ينتظرُ أيَّ شيء حتَّى غلبَه النُّعاس.

في مكانٍ ما – خارج الأسوار.

الألم، هذا الشُّعور المُصاحب لكل حالات الحزن، لكل حالاتِ الإيذاء، مهما يكن ما بعده فأنتَ لن تنسى الألم، لن تنساه أبدًا.

يبدأُ حازم في استعادةِ وعيِه شيئًا فشيئًا، كلُّ شيءٍ مشوش؛ الرؤية والأحداث، حتى ذاكرته، كلُّ شيء وكأنه انقطع عنه الإرسال وتدريجيًا تبدأ التفاصيل بالظهور وتفرضُ نفسها عليه ليدرك حقيقتها، فتح عينيه ببطء وأثرُ الضَّربة ما زال يؤلمه وكأنه تذكَّره للتو، رفعَ رأسه قليلًا ووضَع يده على رأسِه من الخلف ليجدها مضمَّدة ببعض القماش فحاول أن يفهم وضعه الحالي، أدرك أنَّه ممددٌ على فراش ليس مريحًا تمامًا، قام ببطء ليجلس على الفراش وهو يشعر أنَّ رأسه تطنّ.

اعتدل ونظر حوله فوجد نفسه في حجرةٍ صغيرة؛ حوائِطُها تتشكَّل من أعمدةٍ خشبيةٍ طوليةٍ متراصَّةٍ بجوار بعضها البعض والسقف من سعف النخيل، مصدرُ الضَّوء

مصباحٌ صغير يعمل بالنار ولا يوجدُ أيُّ مصدرٍ للكهرباء هنا، يحاولُ أن يقوم ولكنَّ رأسه غير المتَّزنة ما زالت تفرض عليه الإرهاقَ والتعب فيقاومُ ويحاولُ الوقوف، ما إن انتصب جسده حتى شعر بدوارٍ يعصفُ به وسقط على الأرض مرتطمًا بها.

سمع أقدامًا تتسارع ناحيته فحاول النظر ولكنه لا يستطيع، الضَّباب الذي حلَّ برأسه مرة أخرى طمسَ كلَّ الوضوح أمام عينيه، وجد أنه محمولٌ بين الأيادي ووضعوه على السرير مرة أخرى، وفي نفس اللحظات بدأَ الاتزانُ يشقُّ طريقًا ناحيته فبدأ يستعيد رؤيته وقليلًا من كل شيء آخر، نظرَ عن يمينه فإذا به يرى أُناسًا يرتدون معاطف ثقيلة يبدو أنَّها صُنعت من جلود الذئاب وألوانها بنية ورمادية، ومن الواضح أنَّ من هم داخل الغرفة ليسوا بالقليل، قام مرةً أُخرى ليجلس على السرير وينظر إلى وجوه هؤلاء وما أن لاقى نظره أوَّل فرد فيهم حتَّى تملكه الفزع، حاول النهوض مسرعًا ولكنه لا يستطيع وعدمُ اتزانه كان له كاملُ الفضل في ذلك، إنَّه يتذكر هذا الشخص فهو نفس الرجل الذي ضربه على رأسه، حاولَ أن يقفَ على قدميه فسقط مرة أخرى ليمسك به الرجل الواقف بجواره، أزاحَ عنه يديه بسرعة الخائف فهو لا يدري ماذا سيفعل به ثانيًا حتَّى سمع صوتًا يقول:

- اِهدأ يا حازم، لن نؤذيك.

التفتَ إلى مصدر الصوت ليجد رجلًا عريض المنكبين، يتمتَّع بطولٍ واضح وقوةٍ جسدية ملحوظة، وخمريةُ لونه أضفت عليه بعض الرهبة، شعره المعقوف خلف رأسه ولحيته الكثيفة جعلا حازم يظنُّه في العقد الرابعِ من عمره، ولم يلبث أنْ قال له حازم:

- من أنت؟

ليجيبه الرجل قائلًا: من الواضح أنهم آذوك لدرجة أنك لم تتعرف على أحدٍ منا.

ردَّد حازم الكلام مرة أخرى : من أنت؟

ليردَّ عليه قائلًا:

- حسنًا يا صديقي لا تغضب، أنا سالم ولأوفِّر عليك مشقَّة الأسئلة فأنت هنا بين إخوتك، من الواضحِ أنَّ ذاكرتك قد مُحيت لذلك اهدأ قليلًا ريثما يعود كل شيءٍ كما كان.

تلك الكلمات لم تمنع حازم من طرحِ مزيدٍ من الأسئلة فقال:

- إخوتي، كيف؟! وكيف محيت ذاكرتي؟

ثم اقترب من سالم ناظرًا إلى عينيه وأكمل أسئلته:

- وكيف لي أن أصدقك فإن محيت ذاكرتي فقد تتلاعب بي لدسِّ أفكارٍ ليست ملكي من الأساس؟

ليجيبه سالم قائلًا:

- ما يدفعك لتصديقي هو شيء واحد؛ أنك هنا بيننا وأنَّنا نعرفك حق المعرفة.

أدار حازم ظهره إليه متجهًا إلى السرير في ركن الغرفة وهو يقول:

- ما زلت لا أصدقك ولا أيًا مما تقول.

ليجيبه سالم قائلًا:

- تلك عادتُك دائمًا يا صديقي فأنتَ لا تصدُّق حتى تلمس الحقيقة بيديك.

قالها ليرتجف حازم ويخفق قلبه فتلك نفس الكلمات التي قالتها المرأةُ في المصحة، استدارَ مواجهًا سالم ثم خطا خطوات ليمسك بتلابيبه وهولا يستطيع أن يوجِّه له أي كلام، لا يستطيع حتى أن يسأله كيف علم تلك الكلمات بالذات، لكنَّ سالم أمسك بيديه وأنزلهما ببطء

وقال له: أعلم أنَّ تلك كلماتها التي دائمًا كانت تقولها لك.

بدأ الحزن يتخلل قلب حازم، تذكَّر سريعًا مشاهده معها، بسمتها ونظرتها إليه، الدماء التي لطَّختها والجروح على جسدها الفجوة في مؤخر رأسها الحليق، تذكر كل ذلك دفعة واحدة لتسيل الدموع من عينيه ثم نظر إلى سالم قائلًا: أكنت تعرفها؟!

فيجيبه: بل السؤال هنا: هل عرفتها أنت؟

ليجيبه حازم والدموع على وجنيته ما زالت تترقرق: عرفتها في وقتٍ متأخر.

تغيرت ملامح سالم الجامدة للقلق وهو يقول لحازم:

- إذًا أنت تعرف مكانها، أرجوك أخبرنا أين هي.

جلس حازم على طرف السرير، ثمَّ نظر إلى سالم المتلهف للإجابة ليقول له:

- حتى وإن عرفتم مكانها فمن المستحيل إنقاذها، نحنُ لا نستطيعُ منح الحياة لمن فقدوها.

لاحظَ حازم رجفةً لحظية بجسد سالم الذي أنزل وجهه للأرض وبدأ بكاءً صامتًا، ليس وحده بل كلُّ من في الغرفة أيضًا قد بكوا عليها، ثمَّ رفع سالم رأسه مرةً أخرى موجهًا نظره لحازم وقال:

- لقد اختارت أن تواجهك بمحض إرادتها وضحَّت بالحياة من أجلك، لنأمل أنَّك ما زلت تستحق فعلَتها.

قالها سالم واستدار مغادرًا الغرفة وتبعه بعدها كل من كانوا فيها ليتركوا حازم وحيدًا، يبكي في مرارة فقد قتل تلك المرأة بيديه، قتل من شعر في نبراتها بشيءٍ غريب عليه، هو الآن يعترف لنفسه أنَّه قتل زوجته، لم يمرَّ وقتٌ طويل حتى خرج حازم من غرفته ليُدهش بما رآه؛ فكثرة الوثائقيات التي كان يشاهدها داخل القاهرة ١٠٣٠

أعطته تصورًا عمَّا يكمنُ خلف الأسوار، كان يتصوَّر الأرض صحراء قاحلة تترامى فيها الرمال الصفراء على مرمى البصر، لكن ما يراه الآن ويشاهده ويلمسه بيديه مختلفٌ تمامًا؛ فهو يرى أشجارًا عالية خضراء مورقة ومثمرة أيضًا، حتَّى أن رائحة المكان غريبة عليه ولكنَّ شيئًا ما بداخله يخبره أن تلك الروائح موجودةٌ في خلايا عقله وكأنَّها كانت هنا من قبل فتلك هي رائحة الطين المبتلّ وأخرى يتعرَّف عليها، صوتٌ بعقلِه يُخبِره أنها الياسمين، وثالثةٌ يدرك أنَّها البرتقال، والكثير الكثير من فيضِ العطور الذي دفعه ليستنشق الهواء بقوةِ من يريد أن يتجرَّع من كل شيء دفعةً واحدة، انتشَر الهواء بصدره ووصل الأكسجين إلى خلايا مخِّه ليقف ثوانٍ قليلة يشبعُ من هذا العبق الذي يملأ حواسه فعليًا حتَّى بدأ بالزفير مخرجًا معه كل تلوُّثِ فكره السابق.

تقدَّم خطواتٍ قليلة تجاه شجرةٍ راسخة يتلمَّسُها بأنامله ثمَّ قبض على جزءٍ بكفه كاملًا، ملمسُ الخشب أعطاه شعورًا غريبا بالقوة، قدمُه التي تـنغرس لا إراديًا في الأرض وبين أوراق الشجر المتساقطة تُشعِره أنَّه ينتمي لهنا، تـُخبره أن هناك الكثير ممَّا لا يعلمه.

داخل أسوار القاهرة ١٠٣٠.

يستيقظ وليد من نومه الذي لا يدرك كيف لحق به من الأساس، ينظر من خلال نظارة حازم التي لم تدبَّ فيها الحياة بعد، هو يدرك أنَّه لم تأته أي مراسلات أو خطابات من مركز القيادة إلى الآن فهو لم يشعر بأي وخزٍ صادرٍ عن شريحته، يحملقُ في النظَّارة أكثر، ثمَّ فجأة تظهر نقطةٌ ما على عدسة نظارته، نقطةٌ واحدة فقط تومضُ ثلاثَ مراتٍ متتالية وتختفي مرَّة أخرى.

نهض وليد مسرعًا ليعتدِل على مكتبه، ها قد أتت إشارة من حازم، ولكن ما هي؟!

لم تمر اثنان وسبعون ساعة لتُعطي الشريحة موقعه ومع ذلك فعلت،

هل هناك عطلٌ ما بها؟

هو لا يعلم أبدًا لذلك من الأفضل أن يتأكد؛ أمسك بجهازه اللوحي ثم بدأ يعتصر مخه قبل أن يضيِّع مكان النقطة تلك من رأسه فعندما تُعطي الشريحة تلك الإشارة تتكَّون صورةٌ باهتةٌ للخريطة خلف النقطة تمامًا بها إحداثيات النقطة والتي بدأت تتوارد إلى ذهنه ليسرع في كتابتها وليظهر بعضها موقع شريحة الدكتور حازم الذي كان مفاجئًا لوليد، فالموقع خارج الأسوار!

بالرغم من أنه قد توقَّع وجوده خارج الأسوار إلا أنَّه لم يكن هناك دليلٌ حتى تلك اللحظات فمجرد التفكير في الذَّهاب خارج المصحَّة يصيب بدنه بقشعريرةٍ تخيفه، وهو يدرك أنَّ الذَّهاب للخارج لا يكون إلا بأوامرَ مباشرة من القائد الأعلى للحراس وهذا يتخطَّى صلاحيات رئيسه الأكبر ولكنَّه بحاجة ماسَّةٍ لإذنٍ للخروج.

ارتدى نظارته وبدأ بإرسال رسالة إلى رئيسه المباشر قائلًا:

- سيدي، توصَّلتُ لمعلومةٍ حول مكان الدكتور المختفي.

ليأتيه الرد بعدها بقليل:

- هاتِ ما عندك.

- حسنًا، لقد بحثتُ بنفسي داخل مسكنه ووجدت نظارةً تخصه وبقيت معي حتى أعطت إحداثياتِ اليوم ولأول مرة، وعندمَا أدخلتها إلى جهازي اللوحي ليحدد موقعه اكتشفت أنه يقبع بعيدًا، خارج الأسوار.

صمت، صمتٌ لثوانٍ ثمَّ لدقائق، شعر وليد أنَّ قائده قد صمتَ لساعاتٍ في حين أنه لم يتخط الدقيقتين، ثمَّ جاءه الرد:

-أمرٌ مثير للاهتمام، كيف استطاع أن يخرج ولدينا كل تلك الحراسة على الأبواب؟!

حسنًا دع الأمر لي، لقد قمت بواجبك حتى الآن، أرسل الإحداثيات إليّ وعد لمراقبتك المعتادة فالأمر يأخذ منحنىً خارج حدود سلطتك من الآن فصاعدًا.

ذُهل وليد مما قرأ، فكيف له أن يأخذَ منه تلك القضية بتلك البساطة؟

إنَّ ما وصلوا إليه إلى الآن كان بفضله؛ لذا أرسَل إليهِ رسالةً يقولُ فيها:

- سيدي، أتمنى أن تظلَّ ثقتك بي كما هي فأنا أُريد أن أُكمل العمل على تلك القضية، بل وأطلب الإذن منك للذهاب للخارج بحثًا عن الدكتور حازم.

ثوانٍ مرت ليأتيه الرد من رئيسه قائلًا:

- وليد، أنت تعلم جيدًا أن السَّماح لك بالخروج ليس ضمن سلطتي، كما أنَّنا لا نناقش الأوامر هنا، أنا أعطيتك أمرًا مباشرًا أيها الحارس فـنفِّذ الأمر وأعطني الإحداثيات الآن وعُد إلى عملك، وتأكَّد أن كل شيء بقطاعِك يسير على ما يرام.

هنا بدأ الدم يغلي في عروقه، لماذا يتحدَّث إليه بتلك اللهجة؟!

لماذا يسرق منه نصره؟!

لم تمرَّ لحظات حتّى جاءته رسالةٌ أخرى من قائده يقول فيها: وليد، الإحداثيات.

عيناه كادتا تنفجران في محجريهما من الغضب فور رؤيته لتلك الرسالة، ولكنه يدرك أنَّ الأوامر لا تناقش لذا أرسل الإحداثيات وهو في قرارة نفسه يلعن كل شيء، أرسلها وانتهى الأمر، لتأتيه رسالةٌ أخرى من رئيسه يقول فيها:

- عملٌ جيد، الآن سلم الموقع لأحد الحراس وخذ قِسطًا من الراحة فقطعًا أن تحتاجها بعد كل هذا المجهود.

- حسنًا سيدي سأفعل، شكرًا لك.

يخلعُ نظَّارته بعصبية ويلقيها بعيدًا، يشعرُ بالغضبِ يشتعل في صدره فيصرخ، صراخه لم يهدئه ولكنَّ غضبه ازداد فإصابَته تمنعه حتَّى أن يسمع صرخة غضبه، كلُّ شيءٍ حوله ساكن حتَّى وإن تهشم وتحوَّل لقطعٍ ككأس الماء الذي كان على مكتبه الذي لم يسمع له صوتًا عندما ضربه بيده، لم يسمع أي شيء فعاد لسكونه مرة أخرى وهو يلهث مفكرًا فيما سيفعل.

أرسل أمرًا للحارس الذي يليه في السلطة لكي يتولى أمر الحراسة ريثما يعود من فترة راحته وخرج من مكتبه محتضنًا جهازه اللوحي، ركب وسيلة مواصلاته وعاد إلى منزله، صعد لمسكنه ودخل من الباب فوجد زوجته وابنه جالسين يشاهدان فيلمًا وثائقيًا عن الأرض من خلال شاشة بثٍ في صالته، دخل إلى المرحاض وخلع ثيابه ثمَّ فتح صنبور المياه لتسيلَ على وجهه بحرارتها فتهدئ من غضبه قليلًا، ينسابُ الماء عليه ويبدأُ فكره في العمل، كيف لرئيسه أن يقصيه بتلك السهولة؟!

كيف له أن يقلل من شأن مجهوده بتلك الطريقة؟!

ينتهي من استحمامه ثم يخرج متجهًا لفراشه وهو يحاول أن ينال قسطًا من الراحة، لكن الراحة لا تأتي لمن يبحث عن الحقيقة، عقله يعمل ويفكر، يريدُ أن يعرف الحقيقة مهما كلفه الأمر ولكن أكثر ما كان يشغله هو حازم، كيف خرجَ وسط كل تلك الحراسة؟!

كيف تفادى كلَّ النقاط العمياء دفعةً واحدة خصوصا أنه لا يملكُ مخططًا لها أو ما شابه؟!

هناك أمورٌ كثيرة يجب أن يعلمها، وعليه أن يبدأ الآن؛ لذا نهضَ من فراشه مرتديًا ملابسه ثمَّ نزل من مسكنه وهو يفكر قائلًا لنفسه:

إن كان حازم قد خرج فهو قد خطَّط لذلك جيدًا، هو جعلنا نعتقد أنه خرج بعد أن عاد من عمله ولكن فحص سجلات المطعم والمقهى لذلك اليوم يفيد أنَّ حازم لم يأخذ وجبته ولم يشرب مشروبه أيضًا، كيف حدث ذلك إذًا إنْ

كانت وسيلةُ نقله أمام مسكنه؟!

هناك حلَّان فقط؛ إمَّا أنه عاد بوسيلة نقله ثم نفَّذ خطته أو أنَّه لم يُحركها من الأساس والطريقُ ليس بقصير فوجوده ذلك اليوم داخل المصحة أمرٌ مفروغ منه فقد قام بكل واجبات عمله، فإمَّا أنْ تكون المصحَّة قريبةً من مكان هروبه أو تكون هي البوابةُ للخارج، في كلا الحالتين سأتَّخذ طريقي نحو المصحة مترجلًا، أريدُ أن أكتشف كيف فعلها وكيف استطاع أن يهرب من هنا.

اقترب وليد من المصحة وهو ما زال يفكر كيف تكون مخرجًا وهي في الواقِع لا علاقة لها بالدخول أو الخروج من البوابات، ولكن مهلًا إنَّ لها علاقة مباشرة بالدخول والخروج فالمصحة تأتيها المؤن مباشرة وتخرج منها أيضًا ثمَّ قال في قرارة نفسه:

من المؤكَّد أنَّه خرج بتلك الطريقة فلا توجد سواها.

اتَّجه وليد نحو ساحة المؤن ليجد آثار عجلات مركبات الـ(موجول) ويسمع صوت بعضها قادمًا نحو السأَحة فيتحرك مسرعا ليختبئ خلف بعض الصناديق، ترسو المركبات بعدها بقليل داخلةً لساحة ليهبط منها رجلان يتكلمان ولكن وليد لا يسمع ما يقولان ومرةً أخرى يلعن إعاقته تلك، خرجَ متسللًا من خلف الصناديق ليسيرَ بينها متجهًا إلى الـ(موجول)،هو يخشى أن يصعد على متنها فقد يكشفه أحدهم؛ لذا زحف أسفل المركبة ليتشبث بجسمها المعدني ويعلِّق قدمه على بعض الأجزاء الأخرى صانعًا لنفسه حاملًا معدنيًا يُبعده عن الأرض، لم يمرَّ وقتٌ طويل حتى شَعر باهتزازات المركبَة تنبؤه أنَّها على وشك التحرك، هو حتَّى تلك اللحظة لا يصدق ما يفعله ولكنَّ السعي وراء الحقيقة يحركه ويلتهم بقايا عقله الذي لا يكف عن العمل.

تسير المركبة متجهة إلى البوابة الكبيرة ووليد يدرك وجهتها فهو قد فعَّل نظام تحديد المواقع على نظارته ويراقبُ الآن مسيرها، وصلت المركبة إلى البوَّابة الكبيرة وتوقفت ليجد وليد أقدامَ الحرَّاس تحيطها من كل جانب يفتشونها ويراجعون هويَّة السائق ومساعده كما هي العادة، شعر باهتزازاتٍ أخرى

تؤكد له أن هناكَ من صعد على متن المركبة، قليلٌ من الوقت قد مر ثمَّ رأى أقدامهما تهبطان من الـ(موجول) مع وقعِ اهتزازاتٍ عنيفة لتسير المركبة بعدها تاركةً خلفها تلك المصحة الكبيرة والمدينة التي تحوي الكثير من الأسرار.

خرجت الـ(موجول) وهي تحمِل في باطنها وليد الذي كان كالوليد فعلًا، كطفلٍ صغيرٍ يتحسَّس معالم العالم بعيدًا عن أمه والأدهى من ذلك أنَّه يفتقرُ إلى أهم أساليب البقاء، فهو لا يسمع ولا يتكلم ولا يدرك ماذا سيفعل، فقط الحقيقة ستكون شافيةً له.

بدأت الإحداثيات على شاشته تتَّضِح شيئًا فشيئًا، هو يشكرُ عقله الذي هدَاه أنْ يخرج في ذلك التوقيت فليس هناك الكثير من الوقت قبل أن يعلم رئيسه أن الإحداثيات التي أعطاها له وليد مزيَّفة؛ فهي تشير إلى الخارج ولكنها أبعد بكثير عن التي ظهرت له على نظارة حازم، شيء ما بداخله جعله يفعل تلك الفعلة واتَّضح أنه كان على صواب.

هو في طريقه للاقتراب ثمَّ وبدون سابق إنذار وجد أن المركبة تنحرف عن الطريق، هنا وجد أنَّ ترك الـ(موجول) في تلك اللحظة أسلم حلٍ سيفعله وسيكملُ باقي الطريق على قدميه، نظر إلى مؤخر المركبة محاولًا ضبط المسافة بينه وبين عجلاتها حتى لا يموت دهسًا تحتها ثمَّ حرَّر قدميه وبعدها ترك يديه ليسقط على الأرض محاولًا عدم الانحراف، مرَّت الـ(موجول) من فوقه كوحشٍ عملاق ليقوم من بعدها واقفًا على قدميه ناظرًا حوله ولكن لأول مرة يشعر بوخز الجلد ذاك ويرى دخانًا يخرجُ من فمه، يشعر ببرودة لم يعتدها داخل أسوار القاهرة ٣٠١٠، يحيطُ ذراعيه بكتفيه محركًا إياهما ليستجدي منهما دفئًا ولو بسيطًا، يركِّز في عدسات نظارته ويبدأ السير نحو الإحداثيات التي يملِكُها، الأرض من تحت قدميه قاسية ومع ذلك لا يشعر فيها بغرابة، سارَ ليجد أن الطريق يتجه به أشجارٌ كثيفة، الظلامُ يحيط بكل شيء، هو يخاطر بدخوله لهذا المكان وحده ولكنَّه لا يستطيع أن يخبر أحدًا، أخرجَ مسدَّسه -الذي بحكم العادة مُلازِمٌ له بصفته رئيس الحراس- من جرابه وأنارَ ضوء المصباح الصغير وبدأ في سبر أغوارِ تلك الغابة المجهولة.

يسيرُ ببطءٍ محاولًا عدم إحداث أي صوت، ولكنَّه لا يدرك ما هو الصوت أصلًا، هو يحاولُ تجنُّب شيءٍ لا يعلمه ولكنه يتذكر تدريبه على الصمت والتحرُّك برفق فاستخدم مهارته تلك ليسير مُحدقًا في الظلام دون أن يرى هدفًا محددًا أمامه، يستديرُ يمينًا ويسارًا محاولًا كشف أي خطرٍ قبل حدوثه، أكمَل طريقه ليجد شيئا مريبًا فقد وجد من داخل الظلام وعلى بعد أربعة امتار شيئًا مخيفًا، لقد وجد عينين تنظران إليه، عينانِ فقط دون أي شيء آخر بل وتقتربان منه، تقتربان برويَّة ليظهرَ أمامه صاحب العينين بأنيابه وشعره الرمادي ومَخالِبه التي ظهرت استعدادًا لتلك المذبحة التي على وشك الحدوث.

وليد يتذكَّر هذا الكائن من الوثائقيات، لقد كانوا يسمونه الذئب وقد قالوا إن الذئاب كلها قد انقرضت، ولكنَّه يرى أحدهم أمامه، كامِل النمو تمامًا.

كامِل القوَّة، الارتعاد الذي أصابه لم يكن له أثرٌ جيدٌ عليه فزيادةُ الأدرينالين في جسده تدفعه للهرب، ولكن أين يهرب من هذا الضاري؟! اتَّخذ موقفه ووجَّه فوهةَ مسدسه ببطءٍ ناحية الذئب وقبل أن يضغط الزناد وجد أنَّ الأخير بدأ في الجري مباشرة نحوه، ليضغط وليد على الزناد وقد انطلقت الرصاصة من فوهة مسدسه لكنها لم تصب المفترس الذي تفاداها برشاقة، همَّ بإطلاقِ الرَّصاصة الثانية ولكنه شعر بوخزٍ في جانب عنقه ليسقط على الأرض التي تدور في رأسه ويقعَ على وجهه لتكونَ آخر ما يشاهده هي أقدامُ الذئب التي توقَّفت عند رأسه، لتُظلم الدنيا بعدها تمامًا.

نفس الليلة – في مكان ما.

يجلسُ حازم على طرف سريره بعد يومٍ حافلٍ بكل شيء، قد نقول بعد يومٍ حافلٍ بالحياة؛ حياة لم يعتدها ولم يدرك جمالها إلا اليوم، وبدأ يفكر: ما الذي يدفع الأخوية لخلق هذا العالم الذي يعيشون فيه وإقناعِ كل من بداخله أنَّهم يملكون الدنيا كلها داخل تلك الأسوار والأرض قد أصبحت مستعدةً لاستقبال البشر مرة أخرى؟!

لماذا لا يتركون لنا حرية الاختيار بين العيش معهم أو الخروجِ للحياة؟!

لم يجد إجابةً شافية، وبينما هو مستغرقٌ في أفكاره وجد شخصًا يطرق على قوائمِ الغرفة التي تشَكِّل بابها ويقف عندها، ينظر إليه فيجده سالم بقامته الممشوقة ونظراته الحادة وعمق عينيه الذي ينبئُ أنَّه يعرف الكثير، قام حازم متجهًا إليه ليقول له:

- أهلًا سالم، ما الذي جاء بك إلي؟

- اعتقدتُ أنَّه حان الوقت لتعرف ما يجب عليك معرفته.

ارتجف حازم فهو يعلمُ أنَّ هناك الكثير الذي يريد معرفته فعلًا ولكنه لا يدرك الكيفية، فسأله:

- وكيف سأحوذ تلك المعرفة إذًا؟

- اتبعني وعندما نصل ستعلم كل شيء.

سار سالم بضعَ خطوات أمامه، لكن حازم لم يحرك ساكنًا ليلتفت إليه سالم برأسه قائلًا له:

- لا تخف، فإن أردتُ قتلك لفعلت ذلك منذ أن وطأت أقدامك هنا، ولكن صدقني لا أحد هنا يريد إيذاءك.

لأولِ مرة يشعر حازم أنَّه يجب عليه الوثوق بهذا الرجل، حتَّى وإن خالف طريقته في التصديق وهي أن يُمسك الحقيقة بيديه، ولكن بعد كل ما رآه هو لا يدرك أين الحقيقة من الأساس فتبعه دون أن يتكلم بحرفٍ واحد.

خرج الاثنان من تلك الحجرة وانطلقا باتجاه بعض الأشجار، يسير سالم وبجواره حازم الذي رفضَ في قرارة نفسه أن يسير خلفه، سارا قليلًا حتى سمع حازم أغصانًا صغيرةً تُكسر ولكنَّها ليست بسببِ قدمه أو قدم صاحبه، إنها تأتي من خلفه ومن جانبه بل يكادُ يجزم أنها تأتي من أمامه أيضًا، كلُّ ذلك وسالم هادئٌ كما هو ويسير بتؤدة وثباتٍ يحسد عليهما، أمَّا حازم فقد بدأ الذُّعر يتملكه حتى سمع زمجرةً تأتي من خلفه ليلتفت إلى مصدرها

فيجد ذئبًا ضخمًا مكشرًا عن أنيابه ويهمُّ بالانقضاض عليه، تبادر إلى ذهنه شيءٌ غريب وهو: كيف عرف أن هذا المخلوق ذئب وهو لم يره قبل ذلك؟!

ركَّز نظره على الذئب الذي بدأ في الالتفاف حوله ثم استدار لينظر إلى سالم الذي وبكل غرابة رآه ينظر إليه وهو مازال ثابتا كما عهده منذ أن جاء إلى هنا ثابتًا، وقد لاحت على جانب فمه ابتسامة ما.

اتسعت عينا حازم من ردِّ فعل سالم، هل يُعقل أنَّه جاء به إلى هنا ليكون فريسة لتلك الوحوش؟!

ثم فجأة انقضَّ الذئب على حازم ليسقط أرضًا وقد وضع الذئب قدماه الأماميتان على ساعدي حازم ووجهه أمام وجهه، يكادُ قلبه ينخلعُ من مكانه وأنياب الذئب وعيناه الغاضبتان اللتان ثُبِّتَتا أمام ناظريه تخبرانِه أنَّ ذلك سيكون آخر ما يراه.

حازم ملقىً على الأرض وسالم مازال واقفًا يبتسِم، ثمَّ ودون سابق إنذار لعقَ الذئب وجه حازم وتراجعَ خطوتَين للخلف ليحرِّر يديه ويجعله يقف على قدميه مرة أخرى وسطَ ذهولٍ وهلعٍ من حازم الذي لا يستطيع فهم أي شيء مما يجري، فنظر إلى سالم مستفهمًا ليجيبه قبل أن يتفوه بكلمة:

- هؤلاء حرَّاسنا، وهذا هو ذئبك، لا تخف فقد عرفك.

اقتربَ الذئب من حازم الذي ما زال يتوجَّسُ منه خيفة ليشمَّ يديه ويلعقهما فيسحبهما حازم مسرعًا ويسيرُ خلف سالم الذي بدأ في إكمال الطريق، وهو ينظر إلى الذئب الذي بدأ في السَّيرِ خلفه، صعد الاثنان تلةً صغيرة وسارا بين الأشجار ليهبطا على الجانب الآخر من التلة، توقف سالم وهو يقول لحازم:

- ها قد وصلنا.

ثم يستدير مواجهًا إياه وهو يقول له: هل أنت متأكد أنَّك تريد الحقيقة، تريد المعرفة؟

فبعدَ الخروجِ من هنا لا مجال للتراجع، إن أردت أن تعود لمدينتك فأنت حر في ذلك إمَّا الآن أو ألا تختار بعد ذلك أبدًا.

بدأ حازم في التفكير وسأل نفسه: هل يريدُ ذلك فعلًا؟!

هل يريدُ المعرفة؟!

لقد كانت حياته هادئة، هادئة جدًا، حتَّى تغيَّر كلُّ شيءٍ في لحظات وقد كانت هي السبب، هي التي حرَّكت فيه أشياء ودفعته للقدوم والوصول إلى هنا.

يتذكَّر بسمتها وصوتها، يتذكر دماءها، يتذكرها تمامًا وفي تلك اللحظة لمسه الذئب برأسه وجعل أصابعه تتخلَّلها، لم يسحب يديه تلك المرة بل عزمَ على اكتشاف كل شيء، عزمَ على المعرفةِ مهما كان الثمن، أراد أن يعرف من تكون تلك المرأة التي ماتت من أجله، أو ليكون صادقًا المرأة التي قتلها هو، ليجيب على سالم قائلًا:

- أنا مستعد، مستعدٌ لأن أعرف كل شيء الآن.
- حسنًا اتبعني، واستعدَّ لمقابلة (حكيم).

يسيرُ سالم أمامه بخطىً مسرعة، ويسير حازم وهو يتساءل من حكيم هذا؟

ثمَّ يصبِّر نفسه بأنَّ كل شيء سينكشِفُ قريبًا، كل شيء.

سارا حتى وصلا إلى ساحةٍ كبيرة بها بعض الآلات، بدأ حازم في التعرف على تلك الآلات وقال لـسالم:

- ما هذا؟! أليست تلك مركبات الـ(موجول)؟! ما الذي أتى بها إلى هنا؟!
- لقد كانت كذلك، كانت مركبات قبل أن نفعل بها ما فعلنا.

وقبل أن ينطق حازم سمع صوتًا عميقًا تشعر به داخلك يقول:

- ما كنا لنفعل هذا لولاك.

نظر إلى مصدرِ الصَّوت ليرى رجلًا أشيب وعلاماتُ السن قد غزت وجهه، لكنَّ جسده وبنيته ينبئان أنَّه كان قويًا فيما مضى فظهرُه ما زال مستقيمًا إلى حدٍ ما ونظراتُه حادة كأنَّه ينظر إلى أعماقك، اقترب من حازم وهو يقول:

- أنت لك كامل الفضل في هذا يا حازم.

ليجيبه حازم قائلًا: أنا، أنا لا أتذكر أي شيء، أنا حتى لا أتذكركم.

- من المؤكَّد أنهم قد تلاعبوا بعقلك وذاكرتك يا بني، لا تخف أفكلُّ شيءٍ سيكونُ على ما يرام، تعال هيَّا إلى الدَّاخل.

أمسك الرَّجُل المسنُّ بيد حازم وبدأ يسير به داخل تلك الـ(موجول) التي تغيَّرت تمامًا عن التي يعرفها حازم فقد كانت تلك المركبات قد تراصَّت بصناديقها الخلفية متجاورةً ومشكلةً دائرة كبيرة في المنتصف، وتمَّت تغطية صناديقها من الأعلى لتصبح سقفًا لها، وتلك المساحةُ التي في المنتصف التي شكلتها صناديق الـ(موجول) الخلفية قد بدَت خاليةً إلا من كرسيٍ معدنيٍ موصولٍ بالكثير من الأسلاك وخوذةٍ معدنية موصولةٍ بالكرسي، نظر حازم إلى هذا الشيء الموضوع أمامه والذي جال بخاطره أنهم سيجُلسونه هنا عليه ويلبسونه تلك الخوذة على رأسه، مجرد أن فكَّر في ذلك اقشعرَّ جسدُه ونظر إلى الرجل الأشيب بجواره ثم نقل بصره إلى سالم الواقف لا يتكلم، لينطق بعدها الأشيب قائلًا:

- إنها السبيل الوحيد للمعرفة يا بني، ما عليك سوى الجلوس وسيُنير عقلك مرة أخرى.

يشعر حازم بالخوف ولكنَّه أيضًا يشعر بالطمأنينة تجاههما؛ لذا سار بخطواتٍ بطيئة نحو هذا الكرسي وما إن وصلَ حتَّى استدار وجلس عليه ليتحرك بعدها سالم والأشيب نحوه، بدأ سالم في ربط يديه وقدميه بأغلالٍ حديدية ليثبته بينما يضعُ الأشيب الخوذة على رأسه، ثمَّ ابتعدا تمامًا ليتجه الأخير نحو لوحةِ تحكُّم تبعدُ قليلًا عن حازم، وسمِع بعدها صوته وهو يقول:

- استعدَّ يا صديقي؛ فالرحلة لن تكون قصيرة ولن تكون سهلةً أيضًا.

1<2<3

الآن أنزل رافعةً ما لتتدفَّق التيارات إلى الخوذة التي لم تتوان في إرسالها إلى حازم والذي بدوره بدأ في الصراخ بكل ما أوتي من قوة.

الألم شديد وهو يشعرُ أنَّ عقله يغلي بل أنَّ هناك صورًا تضيء داخل رأسه، يبدأ في التذكر، كلُّ شيء مؤلم ويزدادُ صراخه أكثر، يرى نفسَه ممسكًا بيدَي رجلٍ ما يبتسم له ويقول: ستصبح مكاني يومًا ما.

يتذكر امرأة تحتضنه، يتذكر الشعور بالدفء، يتمنى ألا يفارق هذا الحضن في تلك اللحظات، تنظر إليه بعينيها الدافئتين وتقول:

- ستظل صغيري مهما كبرت.

الألم يزداد، يتذكر أرضًا خضراء، حقولًا فسيحةً يركضُ فيها وهو يمسكُ بيدين صغيرتين، ينظر إليهما فيجدُ صبيًا وفتاةً ضحكاتهما تملأ الدنيا، ثمَّ يراها وبرغم الألم يبكي، يراها بشعرها الكستنائي المنسدِل على كتفيها، يراها تضحكُ بعذوبة زادت من تدفقِ دموعه رغم صراخ الألم، تذكرها بالكامل؛ عينيها الحانيتين، صوتُها، حتى لحظات شبَقها وحميميتهما وسمع نفسه يهمسُ لها (فريدة، أنا أحبك) لتجيبه بقبلةٍ على شفتيه شعر بها حتى في تلك اللحظة، ثمَّ يرى نيرانًا، نيرانًا قد اشتعلت في مساكن كثيرة بين الحقولِ الخضراء الشاسعة، أناسًا محترقين يجرون يمينًا ويسارًا، يرى نفسه حاملًا الطفلين وممسكًا بيد فريدة ويَجرون بأقصى سرعة، قذيفةٌ سقطت أمامه لتقذفه بعيدًا ويُفلت من يديه هذين الطفلين، يرى كل شيءٍ مشوشًا وأذنه بها طنين يمنعه من السماع بوضوح، ينظرُ حوله فيجد الطفلين وقد لحقت بجسديهما الكثير من الشظايا، يبكي بلوعة ويزيد بكاؤه، يصرخُ وهو يحاولُ النهوضَ ليذهب إليهما ولكنَّ قدمه بها شظايا تمنعه من السير، يتحامل على جروحه فيزحف نحوهما، يمسك بهما، يتلمَّسُهما ويقلِّبُهمَا في يديه

محاولًا حث الحياة أن تدبَّ فيهما مرة أخرى ولكن لا حياة، يراها ملقاة هي الأخرى فيزحفُ متألمًا، باكيًا، صارخًا باسمها، يصلُ إليها ويهزُّها محاولًا إفاقتها لتأتيه قذيفة أخرى بجواره تُبعده أمتارًا عنها مرةً ثانية ليظلم بعدها كل شيء.

الألم يعتصره، يشعرُ بالنُّدوب في قدمه تحترق ويرى نفسه محمولًا على سريرٍ بواسطة حراس القاهرة ٠٣٠١ وهُم يُدخلونه من بوابة المصحة التي يعرفها جيدًا، إنَّهم يسيرون به عبر قطاعات لم يعلمها قبلًا، دلفوا به إلى غرفةٍ واسعة، أقعدوه وحملوه لينقلوه إلى ما يشبه الكرسي وبه كابلاتُ طاقة كبيرة وخوذة مثبتةٌ بالكرسي، أقعدوا أمامه شخصًا مَا ورأسُه مغطىً بالكامل ثمَّ قيدوه تمامًا وأزاحوا الغطاءَ عن الذي أمامه ليجدها فريدة مقيَّدة هي الأخرى على كرسيٍ عاديٍ أمامه وما زالت في مرحلة الإفاقة، حاول الصراخ ولكنهم كمَّموه وألبسوه الخوذةَ ليسمع بعدها صوتًا يعرفُه جيدًا، إنه صوت د. عمار، ذُهِل عندما سمِعه يقولُ لهم:

- شغلوا الآلة، فلتمحوا ذاكرته واتركوها أمامه كما هي فنتيجة عملكم ستظهر عندما ينظر إليها ولا يعرفها، قريبًا سنتخلَّص من كل من خرجَ على نظامنا، سنتخلص ممَّن أطلقُوا على أنفسهم القوم الأحرار إلى الأبد بل وبعد قتلِنا لزعيمهم وحصولنا على ابنه بين أيدينا الآن سنجعلُه يقتلهم بيديه، وسيكون هذا نصرُنا المنتظر، المجد للأخوية.

يتذكَّر الآلامَ التي ألهبت مخَّه ورأسه، يتذكَّرُ مرحلةَ الغليان التي عاشها بتلك اللحظات، يتذكر كل من حقنهم بيديه بمركب الـ(روكس) مُنهيًا حياتهم، يصرخ ولكنَّ الصراخ تلك المرة لم يكن من الألم بل كان من الغضب، الغضبِ الذي اشتعل داخله ليكون شعلةً تنيرُ طريقه للانتقام.

صورٌ كثيرة تتوارد إلى ذهنه، أشخاص، ضحكات، مؤازرة، حنان، قوة، معانٍ كثيرة قد ارتبطت بداخله بأشخاص كثيرين، الدُّموعُ ما زالت تنهمر وصراخه ما زال عاليًا حتَّى أعاد الأشيب الرافعةَ مكانها ليتوقَّف بعدها كل شيء، ويعمَّ السكونُ المكان.

يهرول سالم ناحية حازم ليفك الأغلَال عنه والقلق يغزو ملامحه؛ فحازم ما زالت رأسه للأسفل ولم يرفعها حتى الآن.

انتهى سالم من الأغلال ثمَّ أمسك بذقنِ حازم يرفعُها برويَّة ليجد دموعه تغرق عينيه وتنهمِر منهُما بغزارة، هنا نطق حازم قائلًا:

- فريدة، لقد قتلت فريدة، لقد قتلت الكثيرين.

نزل سالم على ركبتيه ناظرًا لعيني حازم، محاولًا تثبيته وشدَّ أزرِه إلَّا أنَّه قد اغرورقت عيناه هو الآخر فتكلم قائلًا:

- لا عليك، لا عليك يا أخي، سنثأر لهم كلهم، لا تقلق.

مال حازم برأسه لينظر بجواره فوجد ذئبه، أشارَ إليه فاقترب ووضع يده على رأسه وتخلَّلت أصابعه فراءه دون خوفٍ تلك المرة، أنهضه سالم عنِ الكرسي ليقف ثمَّ ينظر إلى الأشيب ويتجه إليه بخطوات متثاقلة يفتح ذراعيه ويضمه بينهما قائلًا:

- شكرًا لك يا حكيم، شكرًا على كل شيء.

ليرد حكيم هذا الشكر بحضنٍ آخر وفرحةٍ عارمة قد بدت على ملامحه، ثمَّ يقول له:

- أنت لا تدرك سعادتي الآن، اذهب لترتاح وغدًا سأنتظرك، سنذهب إلى المكتبة القديمة سويًا.

لم يعرف حازم ما هو المهم في تلك المكتبة القديمة الآن فالأفكار في رأسه ما زالت غير مرتبة تمامًا؛ لذلك رد قائلًا: حسنًا، موعدُنا غدًا.

خرج حازم وسالم من تلك المنطقة وعادا إلى المعسكر ليجدا أنَّ الناس واقفون ينظرون إليهما وكأنَّما كانوا يعرفون أين كانا، نطق حازم قائلًا:

- مرحبًا أيها الأحرار.

نظر الجميع لبعضهم نظراتٍ تملؤها الدهشة؛ فقد كانوا يعتقدون أنَّهم قد فقدوه للأبد أو أنَّ جهاز حكيم لن يستطيع إعادته، ولكن ها هو يقف أمامهم متذكرًا إياهم لتبدأ صيحات الفرحة تدبُّ فيهم جميعًا فمنهم من يحتضنه ومنهم من يتقافز ومنهم من يبكي، كلٌ يفرحُ بطريقته فالأمل قد أضاء مرة أخرى.

يقف حازم بعيدًا عن الحشود قليلًا ليهمس في أذن سالم قائلًا بعد أن سمع كلمات مثل (عاد الأمل، رجع أخونا، ستعود الحقوق، سنأخذ كل ما هو لنا) وأشياءَ من هذا القبيل:

- أخبرني، كيف لي أن أكون أملًا أو معيدًا للحقوق، أنا لا أفهم شيئًا؟

- لا تقلق يا أخي، ذهنُكَ مشوَّشٌ قليلًا، ستستعيدُ كل شيء في الصباح، كما أنَّ مقابلتك مع حكيم ستجيب عن كل أسئلتك.

اعتدل حازم في وقفته وهو يأملُ أن يتذكَّر كل شيء عمَّا قريب، ويتطلَّع لمقابلة حكيم، في تلك اللحظة وجد حازم أنَّ ذئبه قد زمجر ونظر لمكانٍ ما خلفَ الحشود، ليبدأ هو بالتركيز في تلك النقطة حيثُ يخرج منها بعضُ الأشخاص الذين يرتدون ملابس مشابهةً لهم، ثمَّ يتبيَّن أنَّهم من القوم الأحرار أيضًا ولكنَّهم لم يأتوا إليهم خالِي الوِفاض بل يحملُونَ جسدًا مغشيًا عليه.

يذهب القادمون بهذا الجسد لغرفةٍ صغيرة يدخلون إليها ويضعون المغشي عليه على سرير ثم يُحكمُون وِثَاقَه فيه، ليدلف بعدها حازم وسالم إلى الغرفة، وينطق حازم قائلًا:

- تُرى من يكون هذا الشخص؟ أين وجدتموه؟

قالها موجهًا سؤاله للقادمين به ليجيبه أحدهم قائلًا:

- لقد كان عند أول الغابة يا سيدي، لقد جاء من نفسِ الطَّريقِ الذي سلكته تمامًا، ومن الواضِحِ أنَّه من سكانِ المدينة فقد كانت تلك بحوزته.

ومدَّ يده ليعطيه نظارته وبها بعض الانبعاثات البسيطة لينظر إليها حازم، ثم يقول:

- إن كان ذلك صحيحًا فمن المؤكَّد أنَّ لديه شريحة في رأسه، قد يستطيع أن يبلغ عن مكانِنا أو حتى يرسل إشاراتِ استغاثة.

ثم دقَّق النظر فلم يجد أي أثرٍ لدماءٍ على هذا الجسد، لينظر إلى سالم مستفهمًا وهو يقول:

- إنه سليم تمامًا ولم يتم حقنُهُ إلا بإبرةٍ تفقده الوعي، ألم تكن تستطيعُ فعل ذلك بي بدلًا من هذا الألم الذي سببته لرأسي؟!

ليبتسم سالم وهو يقول:

- كان يجب أن نفعل ذلك، كان يجبُ أن يعمَل دماغك بكل قوته؛ لأنَّه في تلك الحالة تُحاوِلُ الشريحة أن ترسل إشارة بتحديد موقعك وأيضًا تكون في أضعف حالاتها، فضربةٌ واحدةٌ على رأسك كافيةً لتعطيلها تمامًا.

ثم ينظر إلى الضخم الذي ضرب حازم قبل ذلك قائلًا:

- ولكن من الواضح أن رون لم يضربك في الوقت المناسب وإلَّا لما تِبعك هذا الشخص إلى هنا.

نقلَ رون نظره بينهما وهو يشعر بالحرج ولكنه لم ينطق بكلمة، ليقول حازم بعدها:

- رون؟! ما هذا الاسم الغريب؟!

ليرد سالم باسمًا:

- ستجدُ هنا الكثيرَ من الأعراقِ والأسماء المختلفة، وستدرك السبب بعد مقابلتك لحكيم.

أعاد حازم نظره إلى المغشي عليه الذي لم يفق حتى الآن، ثم قال:

- معنى ما قيل أنَّ هذا الشخص قد تستطيع شريحته أن تُرسِل أي إشارات استغاثة؟

فيجيبه سالم في ثقة:

- لا تقلق، فلكي تعمل تلك الميزة يجب أن يقوم الدماغُ بنشاط غير معتاد عليه أو يحدُث فيه قصور غيرً معتاد وتلكَ الحقنة التي أعطيناها له ما هي إلا مخدرٌ قويٌ فقط، فهو الآن في حالةِ سبات ولا يوجدُ أيُّ نشاطٍ غير طبيعيٍ في دماغه، كما أنَّ الشرائح غير قابلة للتتبع، لا تقلق سنعلم منٍ هو عندما يستعيد وعيه.

خرج الجميع ووقف اثنان منهم على باب الغرفة تلقائيًا، ثمَّ اتَّجه حازم إلى غرفته الصغيرة وتبعه سالم إلى أن وقفا على باب الغرفة ثمَّ قال الأخير له:

- سأتركك لترتاح الآن فغدًا يومٌ حافل.

أومأ حازم برأسه ثم تركه سالم ومَضى في طريقه، دخل إلى الغرفة وهو يتفكَّر في كل ما حدث ففي تلك الأيام القليلة كلُّ ما عرفه قد تغير، بل إنَّه على وشك أن يتغيَّر فيه الكثير، ينتظر مقابلته مع حكيم بفارغِ الصبر ومع ذلك يشعر بالخوف، بالقلق، يشعر أن هناك أمورًا ستصدمه أكثر وأكثر؛ لذا ألقى جسده على الفراش وأغمض عينيه ليغفو ويبدأ في نوم عميق.

الشمس، جالبةُ الضياء ودليل انقشاعِ الظلام، دفءُ الأملِ وقوة الحق، هي الظهورُ بعد التَّخفي والحقيقة الظاهرة بعد كل الاستتار.

سالم يسرعُ الخطى، تقتربُ خطواته من الهرولة، يتَّجه مباشرةً نحو حازم الذي ما زال غافيًا، يصلُ إلى بابِه فيطرقه بشيءٍ من العنف ليستيقظ حازم من نومه شبه مفزوع،

ينظر إلى الباب ليجد سالم واقفًا وأنفاسُه تتسارع ويقول له: لقد أفاق.

فيقوم حازم من فراشه مسرعًا، يرتدي معطفًا جلديًا كان قد أعطاه له سالم ويذهبُ خلفَه إلى غرفة الدَّخيل الذي أمسكوه ليلًا، يدلف الاثنان إلى الغرفة وفي اللَّحظة التي وقع فيها نظر حازم عليه وجد أنَّ الآخر يبادلُه النظرات، ثمَّ تليها دهشة ليوقد هذا نار الفضول داخل حازم، لماذا دُهِش هذا الشخص عندما رآه ولم يفعل ذلك مع أي أحد من الموجودين؟!

سأله (حازم) قائلًا: من أنت؟ ولماذا جئت إلى هنا؟!

فيأتيه الرد بالصمت، لا إجابة.

هنا اغتاظ سالم من عدم مبالاة هذا الجالس أمامهم، هو حتَّى لم يبد أي رد فعل، فتقَّدم نحوه وهمَّ بضربِه لولا أن صاح به حازم: لا، سالم لا تفعل.

ليتوقَّف سالم ويخفض يده التي رفعها قبلا ويبدأ في التراجع، لكنَّ عيناه لا تنفكان تثقبان أعين هذا الجالس أمامهم، وأكثر ما كان يشعلُ غيظه هي اللامبالاة التي يتمتع بها هذا الشخص.

هنا قال حازم لرون الواقفِ بجوار المكبل أمامهم بصوت عالٍ صارم وواثق:

- اِضربه بكلِّ ما أوتيت من قوةٍ على رأسه.

ليُذهل بعدها رون وسالم، وعِندما رفع رون يده عاليًا وقبل أن يهوي بها على الرَّجُل صرخ فيه حازم قائلًا: توقف.

ليتوقف بعدها رون _ويده كادت أن تهشِّم رأس هذا الأسير_ وسطَ دهشةِ الجميع.

ثم تحدَّث حازم قائلًا بعدها:

- إنَّ الذي أمامكم هنا مريض، مريضٌ بضمورِ عقدة بروكا ولحياتِه التي عاشها بين جدران القاهرة ٠٣٠١ المليئة بالصَّمت، قد اختفَت لديه حاسَّة السمع أيضًا تأثرًا بضمورِ عقدة بروكا وبنمطِ الحياة البائِس الموجود هناك.

وسط دهشة الحاضرين سأله سالم: وكيف علمت؟

فأجابه قائلًا:

- هو لم يبد أي رد فعلٍ إلا عندما رآنا، حتَّى كلامنا لم يجلب انتباهه، ولكن ما جذبَ انتباهه هو تحرُّكاتنا هنا؛ لذلك أمرتُ رون بصوتٍ عالٍ أن يضربه فإن كان طبيعيًا لارتجف أو ظهرت على جسده إشارةٌ تنبؤنا أنه سمع ما نقول، ولكن لم يبد عليه أي شيء حتى باقترابِ يد رون منه فهو لم يبد أي ردة فعل، هذا الرجل أصمٌ أبكم.

الأعين مفتوحة من فرط الذهول فإنَّ ما قاله حازم يتطابقُ تمامًا مع المنطق وبدونه قد يكون اكتشافهم لتلك المشكلة شيئًا صعبًا بل وقد يأخذ الكثير من الوقت، أمَّا هو فقد استطاع أن يحلَّه في دقائق.

هنا أخرج حازم مفكِّرته وقلمه وكتب عليها قائلًا:

- سأحل وثاقك، ولكن عدني أنَّك لن تفعل شيئًا مجنونًا

جلس القُرفصاء ويضعها أمام عيني الأسير الذي يومئ برأسه إيجابًا فيقوم

بعدها حازم من جلسته ويبدأ في فك وثاقه وسط تحفُّظ الجميع، يُنهي ما يفعله ليصبح الأسير حرًا فيُجلِسه حازم على كرسيٍ بجوارِ الفراش الذي قام عنهُ توًا، ويقطع بعض الوريقات من مفكرته ويعطيها للأسير ففهم الآخر أنَّ تلك ستكون طريقة تواصلهم الآن، بدأَ حازم في الكتابة في مفكرته قائلًا:

- من أنت؟ وما الذي أتى بك إلى هنا؟ وكيف علمت بأمرِ هذا هذا المكان؟!

ثم وضعها أمامه، وناولهُ القلمَ ليبدأَ الأخير في الكتابة هو الآخر قائلًا:

- اسمي وليد، قائدُ حرَّاس القطاع ٢١، جئت بحثًا عنك وعلمتُ مكانك من الإحداثيات التي ظهرت على نظارتك التي كانت بحوزتي.

ثم ناول حازم القلم بعد أن أراه تلك الورقة وما كتبه عليها ليتفاجأ حازم أنَّ وليد يعرفه حتى قبل أن يعرفه بنفسه، بل وقد جاء باحثًا عنه أيضًا ليكتب له قائلًا:

- ولماذا تبحث عني؟!

ناوله القلم بعد أن أقرأه ما كتب ليكتب له وليد قائلًا:

- لست وحدي من أبحث عنك بل كل من في القاهرة ١٠٣٠ يبحثً عنك.

هنا شعر حازم ببعض التوتر، هذا معناهُ أنَّ المدينة كلها قد علمت باختفائِه، ووصول أحد أفراد الحراس معناه أنَّ هُناك المزيد منهم، ولكن كيف يأتي هذا الحارس هنا وحده؟!

سأله حازم مستفهمًا ليجيبه وليد قائلًا:

- جئتُ وحدِي لأحاوِل إيجادَ سببٍ لتركَك المدينة الآمنة والهروب، ولكن من الواضح أنَّ هناك أكثر من سبب، أنتَ زعيمُ تنظيمٍ ما، أنتَ تحاولُ التَّخريب.

- أنت تحاولُ تدمير كل الآمنين في مساكنهم وتحاولُ سلبَ الحياة منهم بعد أن استحقوها جراء كل العناء، كيف وقد كنت طبيبًا جيدًا فيما تعمل، أنت عار، خزيٌ كبير وخيبة أمل.

هنا بدأتِ الدُّموع تكثُر شيئًا فشيئًا في عينَي حازم عندما قرأ كلمة طبيب التي كتبها له وليد، تذكَّر كل من قتلهم بيديه _ورأسه محنية يقرأ الورقة_ من خلال العقاقير التي كان يعطيهم إياها، تذكَّرها لينطق اسمها تلقائيًا هامسًا به بينه وبين نفسه؛ ثم يرفعُ رأسَه ناظرًا لوليد الذي استغربَ ردَّة الفعل تلك، وكتب بعدها شيئًا وناوله

إياه ثم نهض قائمًا وتركه ومضى، لينظر وليد إلى المكتوبِ في الورقة ويجده يقول:

- اذهب إن شئت وابق إن أردت المعرفة، فلك مطلق الحرية.

وليد لم يكن يتوقع هذا بل ظنَّ أنَّه سيثورُ عليه أو سيستخدمُ القوة أو شيئًا من هذا القبيل، ولكن حازم خالفَ كلَّ توقعاته فقد عرضَ عليه الحريَّة في الذَّهاب والاكتفاء بما لديه، أو حريَّة البقاء والمعرفة، عليه فقط أن يحسن الاختيار.

خرج حازم من الغرفة وتبِعه سالم الذي أشار لرون بالبَقاء على الباب ثم سأل حازم:

- لماذا تركته ولم تكمل أسئلتك؟!

- لقد علمتُ ما يهمُّنا في الوقت الحالي.

- وهل تتوقَّع أن يبقى بعد أن عرضت عليه الحرية؟

- سيبقى، صدقني فنظرة الفضول لديه تُخبرني بذلك.

- آمل أن تكون محقًا يا صديقي.

- لا تقلق، هيا بنا لندرك ميعاد حكيم.

أسرعا الخطى باتجاه الأشجار الكثيفة ليصعدا إلى التلة ويهبطا منها إلى باحة سيارات الـ(موجول) التي أصبحت شبيهةً بمعملٍ كبير، وصلا ثمَّ توقَّف سالم قائلًا لحازم:

- هنا يا صديقي، هنا تبدأ رحلتك وهنا ينتهي دوري.

لينظر إليه حازم مُستغربًا ثمَّ يقول:

- ماذا تقول؟ هيا تقدَّم لنكمل الطريق معًا.

- القادم طريقك أنت أمَّا أنا فمجرد تابع لخطاك، فاختر الطريق جيدًا أيها القائد.

قالها سالم ثمَّ استدارَ باتجاه العودة تاركًا حازم في حيرته.

دقائق مرت على حازم وهو في هذا الصمت إلى أن سمع صوت زمجرةٍ قد اعتادَها، نظر خلفه فوجد ذئبه المهيب واقفًا على بعد أمتارٍ منه وكأنَّه ينتظر منه إذنا مًا، ابتسم حازم قائلًا: تقدم يا كيرن، أنا سعيدٌ أنِّي تذكَّرت اسمك وسعيدٌ أنَّك هنا.

ليتقدم بعدها الذئب بخطواتٍ متسارعةٍ نحو حازم الذي ما إن وصل إليه حتى فرك فروة رأس الذئب بكلتا يديه وربَّت عليه بسعادة، لحظاتٌ مرَّت ليظهر بعدها حكيم من بين بعض الأشجار قائلًا لحازم: اتبعني.

سار حازم خلفَ حكيم الذي قاد الطريق دون أن يتفوَّه بكلمة حتى قال له حازم: إلى أين نحن ذاهبان؟

ليجيبه حكيم دون أن ينظر إليه قائلًا:

- لقد أخبرتك البارحة، ذاهبان للمكتبة القديمة.
- أهي مهمةٌ لذلك الحد الذي يجعلها محطَّ اهتمامِك؟
- ستعرف كل شيء عندمَا نصل.

سار الاثنان ما يقارب النصف ساعة وحكيم يقود الطريق ولا يتحدث، لكنَّ حازم يأكُله القلق والفضول، وقبلَ أن ينطِق بحرف قال له حكيم:

- استعد فقد انتهت رحلتنا فوق الأرض.

لينظر حازم بعدها ويجد أنَّهما قد وصلا إلى مدخلٍ يشبه بوابةً لطريقٍ تحت الأرض تبدأُ ببعض الدرجات التي تتجه للأسفل، تعجَّب من هذا التصميم الذي يبدو عليه القدم وسأل حكيم: ما هذا المكان؟!

ليجيبه حكيم:

- تلك شبكة الأنفاق القديمة، كانت إحدى وسائل المواصلات قبل الانفجار العظيم، سأشرح كل شيء في الأسفل، هيا بنا.

نزل الاثنان على درجات السلالم المؤدية للأسفل ثمَّ أخرج حكيم من جيبه مصباحين صغيرين، ناول أحدهما لحازم الذي أشعلَه على الفور ليبدِّد عتمة الظلام تلك، السَّير تحت الأرض لم يكن اعتياديًا لحازم كما أنَّه لم يخطر على باله أن يكتشف البواطِن أو يبحث عن شيءٍ من العصر البائد، هبط الاثنان وهذا الأخير يحاول أن يبدِّد عتمةَ كل شيء، ليس الظلام فحسب بل عتمة جهله حتَّى بتفاصيلِ هذا المكان، يوجِّه مصباحه يمينًا ويسارًا ليكشِف عن حوائط لامعة بألوان ما زال بها بعض الزهو، يتبعُ حكيم الذي يظهر عليه أنَّه يدركُ تمامًا أين يذهب.

يقفان على حافةِ رصيف غير مستوٍ ويبتعدُ عن الأرض مسافةً تزيد عن المتر، يقفز حكيم من فوقه ليرسو على الأرض فيتبعه حازم الذي لا يدرك إلى أين يذهب حتى الآن، يهبطُ من فوق الرصيف ويتبعه كيرن ليكملا طريقَهما نحو نقطةٍ أظلم وأعماق أكثر على ضوءِ كشافٍ صغير.

يسيران ليبدأ حازم الحديث قائلًا:

- ما كل تلك الأنفاق؟! أكان الناسُ يهربون فيها من شيء؟

ليبتسم حكيم قائلًا:

- لا، لم يكن هناك هرب بل كانت هناك حياة فقد كانت الأنفاق أسرع وسيلة مواصلات وأكفأها أيضًا.

- أخبرني المزيد.

- حسنًا، كانت الأنفاق وسيلةَ نقلٍ عظيمة، وكانت تسمى (مترو الأنفاق) وآلة النَّقل نفسها عبارة عن جرارٍ عظيم يجرُّ خلفه مركباتٍ تتشابه

في الطول والحجم وغير مسموح لأي وسيلة نقل أخرى بالدخول إلى طريق المترو والذي كان مخصصًا فقط له؛ لذلك كانت أكثَر فعالية وبعيدةً عن الازدحام، محدَّدة التوقيت، كانت وسيلة رائعةً بحق.

اتسعت عينا حازم وارتفع حاجباه إعجابًا بهذا الاختراع، ليسأل حكيم:

- إن كان بتلك القوة، لماذا لم تستخدمه الأخوية فيما بعد؟

- الأخوية يا بني لم تُرِد معظم أشكال الماضي، الأخوية أرادت عالمًا جديدًا تمامًا وخاليًا من كل ما هو قديم.

- وهل هذا صواب في رأيك؟

ليتوقَّف حكيم عن السير ويستدير مواجهًا حازم ويقول له:

- ما هو مقياس الخطأ والصواب لديك؟!

أهي معاييرك الخاصة أم الحقيقة ذاتها؟

اسأل نفسك يا بني هل تسيرُ على نهجِ الحقيقة؟

اسأل نفسك ولكن اعلم أنَّك مهما وصلت ستكون نهايةُ وصولك هي لقناعاتك الشخصية المتأصِّلة بداخلك، وعندها لن تكون تلك هي الحقيقة بل سيكون اختيارك هو ما تريده انت.

استدار مكملًا الطريق ليسأله حازم: وكيف لي أن أُدرِك الحقيقة؟

كيف لي أن أعلم الصواب والخطأ؟

- لتفعل ذلك فهو أمر ليس بهين بل إنّهُ شاق، شاق جدًا فالحقيقة دائمًا مؤلمة، ولكن طريقة تطبيقها أسهل مما تتخيل.

- كيف؟!

- دعني أسألك أولًا، هل تعلمُ لماذا يخشى الناس مواجهة حقائقهم؟

- لا، لا أعلم.

- سأخبرك قصة قديمة توضِّح لك الكثير من الأمور؛ كانت الحقيقة والكذب يعيشان بين الناس متجسِّدين في أجسادٍ على مرأى ومسمع من الجميع ولكن الحقيقة كانت دائمًا تكشف الكذب في كل مواقفه، تُظهره للعيان فيزداد بغضًا وكرهًا لها، خطَرت على باله فكرة ستجعله أفضل وستجعلُه مقبولًا بين الناس فذهب إلى الحقيقة وقال لها أنَّ هناك بحيرةً قريبة ولا يعرفها أحد سواه وحاول إقناعها أن يذهبا ليستحمَّا سويًا في تلك البحيرة وسيكونُ هذا قربان محبة للحقيقة وسيتبعها و يتخلَّى عن صفاته السيئة فصدَّقته وذهبت معه، وما إن وصلا إلى البحيرة حتى خلعَت الحقيقة رداءها ونزلت إلى المياه ولكن يبقى الكذب كما هو، سرقَ رداءَ الحقيقة و ارتداه هو وسار بين النَّاس فخورا مزهوًا، خرجَت الحقيقةُ بعدَها من المياه عارية، الكلُّ يتحاشى النظر إليها، الكل لا يريدُ أن يواجِه الحقيقة بأنها عارية مجردة من كل التصنُّع، وفضَّلوا تصديق الكذب لتلبُّسه بثوب الحقيقة رغم أنَّهم يعرفون جميعًا أنَّه الكذب، الكذِب ولا شيء آخر.

توقف حكيم أمام عملاقٍ حديدي يرقد على جنبه مائلًا دون حراك، ليشير إليه موجهًا كلامه لحازم:

- هذا هُو مترو الأنفاق، كان يحمل بداخله الكثيرين وقت الانفجار العظيم، هل تعتقدُ أنَّه مات بموتِ أرواح من كانوا فيه أم مات لأنَّه اكتشف كذبةً أخرى ترتدي ثوب الحقيقة؟

ثمَّ فتح عن يمينه بابًا معدنيًا موجودًا في الحائط الذي يجاورهم ودلف منه ليتبعه حازم وكيرن ويُذهل حازِم مما رآه.

قاعةٌ واسعة مستديرة، تمتلئ بالأرفف ما بين الخشبية والمعدنية مليئةٌ جميعها بالكتب، كتبٌ كثيرة أكثَر من أن يحصيها حازم، بل ومن اتِّساع المكان وجد أن هناك أيضًا كرسيين مشابهين لذلك الذي أعاد الذاكرة لحازم، قلبُه يخفقُ من عظمة هذا المكان وكأنَّه حطَّ على شاطئ المعرفة، ليسأل حكيم قائلًا:

- كيف؟! كيف استطعتم أن تجمعوا كلَّ تلك الكتب وتنقذوها من الدمار؟

- لسنا نحن من فعلنا ذلك بل الأحرار الأوائل، ولم تكن تلك الوسيلة الوحيدة للحفاظ على المعرفة بل استطاعوا أيضًا أن يُنقِذوا كمًّا عظيمًا من المعرفة المسجَّلة بتكنولوجيا رقمية.

- أتلك هي المكتبة الوحيدة الموجودة؟!

- ماذا تظن أنت؟

- أنا أعتقد أنها ليست الوحيدة.

- حسنًا، كلامك يحملُ الصَّواب والخطأ في آنٍ واحد فهي بالفعل ليست الوحيدة ولكنها الوحيدة هنا، لقد استطعنا نشر وبناءَ الكثير من المكتبات في مختلف الأماكن وبمعظم اللغات الموجودة، نحنُ نحاولُ إنقاذَ أكثر مما يمكن إنقاذه.

ثم ابتسم حازم ساخرًا يقول: وما الفائدة؟! ما الفائدة من كل هذا؟

- فائدة المكتبة أم فائدة إنقاذنا لها؟

- كلاهما.

- لقد أردت أن تُدرك الصواب من الخطأ، لقد أردتَ أن تفهم ما هي المعايير، حسنًا إليك كامل المعرفة واصنع أنت معاييرك الخاصة.

هنا شعر حازم انأَه أخطأ وأنَّه سأل سؤالًا لم يكن يفترض عليه أن يسأله، لكن المعرفة تأتي بالتعلم والتعلم لا يكون إلا من الخطأ، فسار خلف حكيم الذي أولاه ظهره متوجهًا إلى ركنٍ ما قائلًا له: آسف حكيم، أنا ما زلت مشوشًا.

ليستدير له باسمًا وهو يقول:

- لا عليك يا بني، دعني أخبرك الآن لماذا جئت بك إلى هنا.

بدأَ الاهتمامُ يظهرُ على ملامح حازم الذي سحب كرسيًا لنفسه وجلس، وبدأ حكيم في الكلام قائلًا:

- إن نشأة الأخوية كانت لها هدف رئيسي وهو إنهاءُ القمع والظلم وتحقيق العدل والمساواة بين الناس، وهذا ما حدث في بادئ الأمر حتى أنَّهم قد أرسلوا مواثيق للناس تخيِّرهم بين أن يتبعوا الأخوية أو يبقوا على النِّظام القديم كما هو، اتبعهم الكثير ولكن ليس كما كان متوقعًا ثمَّ حدثَ بعدها الانفجارِ العظيم الذي غيَّرت به الأخوية وجهَ العالم تمامًا، ليظهرَ بعدها عصرٌ جديدٌ في تاريخ البشر يعيشون فيه بنظامٍ محدد وأساليب محددة ضمِنَت للكثيرين المساواة ولكنَّها حرمتهم من أهم حق لهم، الحرية!

بعد فترة من الزمن وجدَت الأخوية أن السبب الرئيسي لمعاناة البشر هم البشر أنفسهم؛ فهم من يقتلون بعضهم ويتناحرون فيما بينهم من أجل معتقداتٍ يظنُّ كل فردٍ فيها أنَّه هو الصواب والباقون على خطأ ويجب التخلص منهم، حتَّى أن فكرة تقبُّل الرأي الآخر لم تكن موجودة بين الكثيرين فدائمًا هناك أحقادٌ تدفعُهم لفعلِ كل ما هو مقيت ولذلك ستبقى الخسة والدناءة والعرقية والطائفية والعنصرية موجودة ما دام البشر بتلك العقليات، فآثروا عدم السماح بالحرية في هذا الوقت إلى أن يستطيعوا رفع ثقافة البشر أنفسهم.

هنا كان دور المقنَّع الأول والذي كان من نسل مؤسس الأخوية المهندس علام، وبدأ في محاولة إرجاع الأخوية لطريقها الأول وإعطاءِ النَّاس ما تم سلبه منهم قبل ذلك، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن فأعضاء الأخوية الآخرين لم ترق لهم فكرة أن يكونوا كالناس العاديين بعدما وجدوا لذة السلطة وقوتها بين أيديهم، فتآمروا عليه وقتلوه.

هنا تعاظمت الدهشة على ملامح حازم الذي لا يصدق ما يسمع حتى الآن، فالأخوية كانت له بمثابة النقاءِ الأوحد في هذا العالم الكئيب، ولكن الأكاذيب تُكشف الآن.

ثمَّ استطردَ حكيم قائلًا:

- ومن بعدها انحرفت الأخوية عن مسارها، بل نصَّبوا أنفسهم حكامًا على العالم لضمان ألا تكن هناك حروب أو أي شكل من أشكال العنف، ولضمان ألا يجور أحدٌ على حق أحد استعبدوا البشر كلهم بل واستطاعوا الحصول على معظم ثروات العالم، والأدهى أنهم تقلَّدوا الحكم بعد موافقة معظم الناس الذين وجدوا السلام قد تحققَّ على أيديهم ورأوا أنَّ الأخوية قادرةٌ على القيادة والنجاة تحت أي ظرف ووثقوا فيهم تلك الثقة العمياء، ليبدؤوا بعدها في التعاظم والتجبر أكثر فأكثر.

أعضاء الأخوية ضمنوا لأنفسهم ولنسلهم الرخاء الدائم والنعيم الذي لا ينضب بل إنهم قد طوروا الطب من أجلهم هم فقط فأصبحوا يستخدمون البشر كقطع غيار لهم ويستبدلون أعضاءَهم التالفة بأعضاء أكثر حيوية وصحة، هل تصدق فعلًا أن من كانوا في المصحة كانوا كلهم مصابين بضمور عقدة بروكا، لا يا بني فهؤلاء ليسوا إلا قطعَ غيار لأعضاء الأخوية وأبنائهم فلا يرضي أحد منهم أن يكون أحد أبنائِه غير قادرٍ على الكلام مثلا أو أنَّ يداه أو قدماه بهما عيبٌ ما، هُم لا يرضون بذلك والمصحَّة بالنسبة لهم مركزٌ تجارة كبير.

الدهشة والحزن والغضب والشفقة، كل تلك المشاعر التي شعر بها حازم في آنٍ واحد جعلته لا يصدِّق أنْ يكون هناك بشرٌ بكلِّ هذا الحقد والبغض والخسة مما دفعه ليقوم مندفعًا من على كرسيه قائلًا لحكيم: أنا، لا أصدقك.

فيبتسم حكيم قائلًا: كنتُ أعلمُ أنَّك ستقول ذلك.

ليستدير ويغوص في قلب الظلام ثم يعود بجهازٍ لوحيٍ كبيرٍ نوعًا ما ويبدأ في عرض مشاهد عليه ويعطيه لحازم قائلًا:

- انظر وتمعن، هذا ما التقطه كاميرات المصحة نفسها ومن داخل الغرف التي لم تجرأ على الدخول إليها قبلًا.

نظر حازم ليجد شخصًا على سرير غرفة العمليات وحوله بعض الأطباء، صدره مشقوق ويُخرجون منه القلب ويضعونه في صندوق ويغلقونه، ثمَّ يتركونه يلفظ أنفاسه الأخيرة.

مشهدٌ آخر لشخصٍ ملقىً على بطنه في غرفة أخرى أو قد تكون هي نفس الغرفة وبمثقابٍ بدأوا في ثقب رأسه من الخلف، تشنُّجاته التي ظهرت عليه رغم القيود تُظهر أنَّ هذا الشخص لم يُخدَّر حتى بل فعلوا فيه كل ذلك وهو يشعر بكل ذرة ألم ثمَّ استخرجوا من رأسه قطعةً ما ووضعوها في صندوق شبيه بصندوق القلب وتركوه وذهبوا، ليتفاجأ هو بالمشهد الذي يليه حيثُ وجد بعدها بدقائق شخصًا يدخلُ إلى الغرفة مسرعًا ثم يقف مذهولًا مما يرى ويقترب ببطءٍ ناحية هذا المسجى أمامه ويبدأُ في فكِّ وثاقه ووضع الأقطانِ على رأسِه ولكنَّه يدرك في تلك اللحظة أنه لن يفلح في إنقاذه، تُصيب قلبه غصَّة بينما يشاهد هذا المشهد فقد تذكر كل التفاصيل، ما يراه الآن هو ما حدث قبل أيام قليلة وقد كانَ هوَ من يحاول إنقاذ ذلك المسكين.

مشهدٌ آخر من غرفة مهيبة، مليئةٍ بالشاشات والأزرار الكثيرة والضخمة، يقفُ الكثير من رفيعي المقام فيها ويبدو عليهم أنَّهم يتحادثون ولكن بشكل عنيف

ويوجِّهون كلامهم لشخصٍ واحد، ويبدو عليه أنه هو المسؤول، وما إن أخبرهم شيئًا حتى صمتوا جميعًا ثمَّ استدارَ ليولِجه نافذةً خلفه فتقدَّم اثنان منهم وأمسكا به وجاء ثالث من الخلف و أخرج سكينًا ثم مرَّرَها على عنقه ناحرًا إياه لينهمر الدمُ صابغًا ثيابه بالأحمر القاني، ويتركه الاثنان بعدها ليسقط أرضًا ويسقط من بين ملابسه قناعٌ يعرفهُ جيدًا، قناعٌ أبيض به انفجارٌ نوويٌ عظيم وزهرةٌ كاملة النمو.

دفع حازم بالجهاز إلى حكيم مستنفرًا مشمئزًا وقال:

- كيف استطعت الحصول على كل ذلك؟!

ومن الواضح أنه أمر بالغ السرية.

- أنا لم آت بشيء يا بني، أنت من أتيتنا بكل هذا.

ليدهش حازم ويستطرِد: أنا؟!

- نعم أنت.

جلس على الكرسي مرة أخرى وهو يقول لحكيم:

- أنا لا أتذكر أي شيء، أخبرني من كنت وماذا كنت أفعل، أرجوك.

ليجيبه حكيم قائلًا:

- أنت حازم مراد، ابن المناضل وقائد الأحرار ومرجع الحقوق، استطعت أن تكتشف أنت ووالدك أماكن كثيرة تصيب الأخوية في مقتل وتفضح سرهم للعالم أجمع حتَّى أنكم قد علمتما مكانَ أعظم سرين من أسرارهم (السلاح الأكبر) و(حاوية الكائنات) وبعدها استطاعوا بشكلٍ ما معرفة مكاننا وشنُّوا حربًا علينا استخدموا فيها قوتهم، قتلوا منَّا الكثير وأنت ممَّن فقدوا معظم أحبتهم، والدك ووالدتك وطفليك، حتى أنهم لم يقتلوك لإذلالنا جميعًا؛ لأنهم يعلمون أنَّك ووالدك كنتما أملًا كبيرًا فقتلوا الأول واستعبدوا الثاني، واستطاعوا نقلك في أماكن كثيرة ولم

نكن نعلم مكانك إلى أن وجدتك هي واستطاعت معرفة الكثير عنك.

هنا أدرك حازم أنَّ حكيم يتكلَّم عن فريدة، ليتذكَّرها ويخفق قلبه مجددًا، ويكمل بعدها حكيم قائلًا:

- كانت تدرك أنَّهم لن يدعوها تؤثر عليك من الخارج فوضعت خطَّةً للدخول ومقابلتك هناك، أدركَت تمامًا أنَّهم لن يدعوها تخرج حية وقد تموت دون أن تقابلك ولكنها اعتمدت على غرورهم الذي سيكونُ نقطة الضعف لهم فسلَّمت نفسها إليهم، وضعوها أمامك في معظم المرَّات التي كنت تسير فيها في المصحة ولم يجعلوا سبيلًا لك لتراها مرات أكثر بل كانت مرةً واحدةً فقط، مرة واحدة وأخيرة ستراها ولا تعرفها ولكنها ستعرفك حق المعرفة، وستقتلها بيديك لتحمِل الألم في قلبك للأبد.

هنا انهمرت الدموع من عيني حازم فكلُّ ما قاله حكيم قد حدث بالفعل، ولكن ما حدث لا يمكن تغييره فالموتى لا يعودون للحياة، كم يود أن يضُمَّها مرة، مرةً واحدةً فقط يعتذرُ لها فيها عن كل شيء وعن كونه بتلك الحماقة ولكن لا سبيل لذلك أبدًا.

هنا قال حكيم له:

- هوِّن على نفسك وانظر إلى الجانب المضيء، فبسببها قد عدْت إلينا، كلُّنا ندين لها يا بني.

- ولكنني قتلتها، قتلتُها يا حكيم، ما زلتُ أرى نظراتها وبسمتها في كل أرجاء عقلي.

قالها حازم باكيًا وهو ينظرُ إلى عينَي حكيم الذي رد قائلًا:

- أنت لم تكن تعلم أنك تقتل، الذنب على من أقنَعوك أنَّك تُعطي الدواء وفي الحقيقة هو سمٌ قاتل، حاوِل أن تتخلَّص من هذا الذنبِ يا بني، حاول ان تجعلها فخورة ولا تهدِر حياتها التي قدَّمتها من أجلك.

لم يرد حازم بل حاول استيعاب كامل الكلمات، ليقول بعدها: سأفعل، أعدك.

ثم استطرد قائلًا وهو يمسح بيده دموعه التي سالت على وجنتيه:

- لقد قلت إني أعرف مكان (السلاح الأكبر) و(حاوية الكائنات) رغم أنِّي لا أدرك ماهيتهما تمامًا إلا أنِّي ما زلتُ لا أتذكَّر مكانهما ولم أعلم اسميهِما إلا بعدمَا أخبَرتني أنتَ بذلك، فهلا شرحت لي فضلًا ما هما؟

فأردف حكيم قائلًا:

- السلاح الأكبر هو متسلسلة إطلاق عظيمة في أماكن متفرقة، لا يعلمُ مكانها إلا بعضُ أعضاء الأخوية الكبار، وهي صواريخ قادرةٌ على التسُّببِ في دمارٍ آخر ولكن تلك المرة أكبر وأكثر فتكًا بالأرض.

قال حازم مندهشًا: ولماذا؟!

لماذا تملِكُ الأخويةُ هذا السِّلاح بينما هم يحكمون العالم كما قلت؟

- إنَّهم يفعلون ذلك تحسبًا لخروج الأمور عن سيطرتهم، إن جنون العظمة يتملَّكهم بشكلٍ مبالغ فيه.

- حسنًا، أخبرني عن (حاوية الكائنات) تلك؟

- إنها حاويات عظيمة، لم يرها أحدٌ منا ولكنَّها تحوي الكثير من الكائنات على هيئة بويضات مخصَّبة، وأيضًا تسرع مرحلة النمو ثلاثة مائة وخمسة وستين مرة فور إعطائِها الأمر، أي أنَّ ما يستغرقُ عامًا ليكون تفعلُه تلك الحاوية في يومٍ واحد.

- يا ويلي! لا أصدق كمَّ المعرفة الذِي وصَلت له الأخوية بل وقوة العلم الذي بحوزتهم، ولكن لا فائدةَ تُرجى من علمٍ يودي بصاحبه للهاوية.

- بالضبط.

- إذًا ماذا يفترض عليَّ أن أفعل؟

- هذا يعتمد على ما لديك، ما تظنُّ أنَّه صحيح ويجب فعله.

قامَ حازِم عن كرسيِّه يمشي قليلًا في أرجاء المكتبة مفكرًا فيما سيفعله، ومحاولًا تذكر أين كان هذان السلاحين ثم قال لحكيم: الأمر صعب، لا أتذكر أين مكانهما.

- اهدأ قليلًا، لا تضغط على نفسك، تلك المعلومات موجودةٌ في ذاكرتك، الأمر مسألة وقت فقط.

لم يجد حازم بُدًّا من أن يهدأ ويطيع ما قاله حكيم فاتجه إلى أرفف الكتب يتفحَّصُها وينظر فيها، أخذَ يلتقطُ منها شيئًا فشيئًا ويفتحُ الكتابَ يقرأُ شيئًا منه ثمَّ يُغلقه ويُعيده مكانه، الأمرُ أثارَ إعجابه ممَّا دَفعه للبحثِ في عناوين أكثر، ظلَّ يجولُ بناظريه بين الأرفف حتى وقع بصره على كتابين مزخرَفين بشكلٍ مبهر فالتقطهما يتفحصُهما عن قُرب فأذهلته العناوين؛ فالكتابُ في يمينه يحملُ عنوانَ (القُرآنَ الكَرِيم) والكتابُ في يَسارِه مكتوب عليه (الكتابُ المقَدَّس) يصيبه الذهول والدهشة بل والفضول لمعرفة ماهيةِ تلكَ الكُتب، استدار إلى حكيم الذي يتابع الموقف في صمت ثم قال له:

- ما هذان يا حكيم أو ما معناهما؟!

ليشير له حكيم بإحدى يديه أن افتح الكتاب وانظر لما فيه فيضعُ الكتاب الثاني على طاولة أمامه، ثمَّ يفتحُ المُعنون بـ(القرآن الكريم)، ينظرُ إلى الكلماتِ المزخرفةِ بعناية ويقول له باستغراب: أهذا مكتوب يدويًا؟

فيومئ حكيم برأسه إيجابًا ليُكمِل حازم تصفُّح الكتاب، إلى أن استوقفته فقرةٌ في الكتاب ليقرأها بصوتٍ عال

ويقول:

- "ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِ والبَحْرِ بِمَا كَسَبتْ أَيْدِي النَّاس لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الذِي عَمِلُوا لَعلَّهُم يَرْجِعُون"

ثمَّ نظرَ إلى حكيم الذي لم يحرك ساكنًا، وهو مذهولٌ مما قرأ ليسأله قائلًا:

- من كتب هذا يا حكيم؟! أهو أحد كتاب التاريخ؟

هنا قام حكيم من مكانِه وتقدَّم بتؤدةٍ نحو حازم وهو يقول له:

- لا، ليس مؤرخًا ثمَّ إنَّك تسألُ السُّؤال بشكل خاطئ، أنت تستفهم عن القائل أم الكاتب؟

- هل هناك فرق؟!

- نعم، فرقٌ شاسع، هذا الكتاب بين يديك يعودُ لِمَن يدينُون بالإسلام وهو آخرُ دينٍ سماوي، وحسبَ مُعتقدَاتِهم فإنَّ قائِلَ تلك الكلمات هو الله، الخالِق لكلِّ الكون من أصغرِ ذرَّة لأكبرِ مجرَّة.

هنا ذُهِل حازم ثمَّ قال:

- وكيف يُصدِّقُون أنَّ القائِل هو الخالِق كما يقولون، هل رأوه أو سمِعوه؟

- كلا، لم يروه ولم يسمعوه.

- إذًا، فكيف وصل إليهم هذا الكتاب؟

- الأمرُ لم يكن بسيطًا، فقد أرسل الخالق لهم نبيًا يُبلِغهم الرسالة ويوصل لهم تلك الآيات.

- حتى وإن كان، أنا أعتقد أن الأمر سطحي جدًا.

- هذا لأنك تنظر إليه بسطحية يا بني، بل هو أعمق مما تظن، دعك من المُبلغ والقائِل والكاتِب ولكن انظر للكتاب نفسه، انظر لما فيه وتمعَّن تلك الآيات وستجدُ أنَّ فيها من الحكمة ما يفوق قدرة بشر أو حتَّى مجموعةً منَ الحُكماء، ستَرى فيه قصص الماضي والحاضر وإن كنتَ نقيًا كفاية ستجدُ فِيه علامات للمستقبل.

نظر حازم إلى الكتاب المُعنون بـ(الكتاب المقدس) ليأخُذه ويبدأَ في التصفُّح ليتفاجأ بعنوانه (سِفر التَّكوين)، هذا العنوان وحده كان كفيلًا أنْ يُشعِل داخله رغبةَ المعرفة فبدأ في القراءة ليتوقَّفَ عند سطرين، وبدأ يقولُ ما بِهما بصوتٍ مسموع:

- "ورأى الربُّ أنَّ شر الإنْسانِ قد كثُر في الأرْض، وأَن كلَّ تصوُّر أفكارِ قلبِه إنَّما هُو شرِيرٌ كلَّ يوم فحزِن الربُّ أنَّه عملَ الإنْسَان في الأرض"

لينظُر إلى حكيم الذي لم يحرك ساكنًا ثم يقول:

- أنا أشعر بتشابهٍ غريب، الكتابان بهمَا ما يقول إن الانسان سببٌ للشرور، أهذه مصادفة؟

- هل تَراها مصادفة؟ ثم إنَّك قد قرأت وحدك وباختيارك، أنا لم أعطِك شيئًا تقرأه، فهل تراها مصادفة؟

الأديانُ يا حازم جاءَتنا لتساعِدنا على تحقيق الإنسانية أولًا، نحنُ نحاولُ أنْ نعرِّف الناس على العلاقةِ بينَ الخالقِ والمخلوق، فالأحرارُ يستحقون أن يختاروا معبودهم.

حازم المتشكك دائمًا وغير الواثق في كل شيء حوله بدأَ في الشك ُّفي عقله وفي قُدرته على الثقة أصلًا، في قدرته على الفصلِ بين ما هو واقعٌ أو خيال ولكن مهلًا، كيفَ يقول هذان الكتابان تلك الكلمات التي قد تكون مكتوبةً ممَّا يزيدُ عن ألف سنةٍ بكثير، أي أنَّ الأحداث التي حدثَت وتحدُثُ الآن لم تكن قد حدثتْ وقتها، ثم إنَّ الكُتب تتحدث بصيغة الماضي،

فكيف لها أن تتنبأ بمستقبل وهو بالنسبة لها شيءٌ قد حدث في الماضي؟!

لا يفهم شيئًا ولكنَّه يشعر أنَّ هُناك دخانًا يتصاعد من رأسِه من كثرة التفكير، يستديرُ إلى حكيم فيسأله قائلًا:

- إنْ كان الخالقُ كما تقول هو الذي قال تلك الكلمات التي أرى من ظاهرها مساواةً وعدلًا بل وأخلاق أيضًا، فكيف لم يستطع الملتزِمون بتعاليمِ هذه الأديان أن تكون حياتهم مثالية؟!

- نحن جميعًا يا بني مخطئون، كلنا بلا استثناء وهذا الخطأ يزيدُ من سواد القلب والروح فننحرفُ دائمًا عن كل ما هو قويم، عمومًا إجابة سؤالك في الآية التي قرأتها أولًا.

- أي أننا السبب، نحن؟!

ولكن يا حكيم نحن أردنا أن نُحقق العدالة حقًا، وليست مجرد كلمات.

- وهذا ما أراده صاحب تلك الكلمات أيضًا، أن نحقق العدالة بيننا وأن نعيش في سلام.

- هل تصَدِّق؟ هل تصدقُ هذا الكتاب وتلك الأديان ووجود الخالق حتى يا حكيم؟

- المشكلةُ ليست في تصديقي من عدمه فهو لن يفيدك في شيء، ولكن السؤال هنا: هل تصدق أنت؟

تلعثم حازم ونحَّى بصره بعيدًا عن حكيم، ثمَّ استدارَ موليًا ظهره إياه ومتحركًا بعصبية منْ يبحث عن شيءٍ في ثنايا عقله، حتَّى توقف ونظر لحكيم قائلًا:

- حكيم، لقد تذكَّرت، تذكرتُ أين مكانهما.

ابتسم الأخير وتهللت أساريره وقد بدا ذلك ظاهرًا وواضحا عليه تمامًا، ثمَّ سأله حازم: أخبرني، هل لهذين الكرسيين استعمالٌ آخر غير إعادةِ الذاكرة أو أيًا يكن ما فعلته بي المرة السابقة؟!

ليجيبه حكيم الذي لم تختف ابتسامته قائلًا:

- نعم، يساعدانِك على التواصُل مع من لديهم ضمورٌ في منطقة بروكا.

هنا خطرت على بال حازم فكرة، فقال له:

- أحتاجهما في المعسكر، الآن.
- حسنًا، انطلق وأنا سأتدبَّر أمري وأوصلهما إلى هناك، ولكن فيم تحتاجهما؟
- ستعلمُ عندما تصل بهِما.
- حسنًا، اذهب الآن وسآتي في أقل من ساعة.
- ولكن، أنا لا أعرِفُ الطريق.
- لا تقلق، فقد سمحتُ لكَ باصطحاب (كرين) من أجل هذا الأمر بالذات، اتبعهُ فهو يعرف الطريق جيدًا.

صافحه حازم وشعرَ أنَّ هذا الرجل قد أعطاهُ مفاهيمًا جديدة بل ورؤيةً أوضح للكثيرِ من الأشياء، ثمَّ تركَ يده وانطلق خارجًا من البوابة الحديدية للمكتبة مُتَّبعًا (كرين) الذي يقود الطريق.

معسكر القوم الأحرار - داخل حجرة وليد.

يجلس وليد في تلك الحُجرة يعتصر رأسه، ماذا يجب عليه أن يفعل؟

هل يترُكُ المعسكر ويذهب ويستخدمُ تلك الحرية التي أعطاها إياه حازم أم يبقى ليعرف؟!

هو شغوفٌ بالمعرفة، يريدها بل وكانت هي الدافع الرئيسي ليخرج بحثًا عن حازم، يدركُ في قرارة نفسه أن النظام خادعٌ وبِه الكثير من الأخطاء ولكنَّه لا يعلم من أين يبدأ وكيف سينتهي به الأمر، غيرَ أنَّه لن يستطيع العودة هكذا والدخولَ من البوابة بشكل طبيعي وأقلُّ ما في الأمر سيتمُ عزله من عمله لمخالفته الأوامر بل هو بهذا يخرقُ بنودَ صك الحرية التي يحفظها عن ظهر قلب

(ليسَ من الحرية أن تصبح غير مسؤول، يجبُ أن يكون لك دورٌ في بناء العالم الجديد)

وكل ما يفعله الآن هو دوره في بناء العالم والحفاظ على ما وصلوا إليه.

(العدلُ سيتمُ تنفيذُه مهما كانت الظُّروف)

وخروجه من القاهرة لم يكن إلا محاولةً لتطبيقه هذا العدل، فهو يريد المعرفة، يريد الحقيقة.

(سنعطيك كل شيء مقابلَ ولائِك الكامل لنا)

وهو يحظى بالكثير الآن، لديه العمل، المسكن، الطعام، الزوجة، وابنه الصغير، الأخوية وفت بوعودها حتى الآن وهو لن يخونَ الأخوية إطلاقًا، ولكنه لديه الحق في المعرفة، معرفة كل ما يخفى عليه؛ لذلك قرر البقاء ريثَما يقابل حازم مرةً ثانية وقد تكون الأخيرة.

لم يلحظ وليد وجودها، تلك الواقفةُ بجواره ما يزيد عن عشرة دقائق بل إنه انتابه الفزع عندما استدار ورآها وليته ما رآها، تقف أمامه بشعرها الفاحم وعينيها الزرقاوين وفمِها الدقيق، بقامتِها المتوسِّطة ويدِها الخجلة، تحملُ

وعاءً مغطىً ومعه ورقة، ناولَته الورقة أولًا ولكنه لم يستجب فللحظة شعر أن هناك شيئًا يخز قلبه، للحظةٍ نسِى كل شيء حتَّى استعادَ تركيزه علَى مهل ليلتقط منها الورقة فينظر فيها ليجد مكتوبًا داخلها كلمة واحدة.

(الطعام)

ما إن قرأها حتى ناولته الوعاء وهمَّت بالانصراف إلَّا أنه أمسك بيدها لتلتفت له، شعر أنَّ العالم قد توقَّف في تلك اللحظة، شعرَ أنَّ كلَّ شيء يتحرَّك ببطء حتى شعرها المنسدِل الذي تحرَّك بعفوية عندما استدارت ليكون كستارٍ فاصلٍ بينه وبين وجهها، ثم يُفتَح هذا الستار ببطء ممَّا سلب عقله بالكامل، نظرتها، احمرار وجنتيها، كل شيء فيها، همَّ بالتحدُّث ولكن كأنما ارتطمت رأسُه بعامود فولاذي عندما تذكر إعاقته فترك يدَها رويدًا رويدًا، ليجدها تشير له بإشاراتٍ غريبة بيديها فقط، لم يكن يفهم ولكنَّه شعرَ أنَّها تتحدث، تتحدث وبطلاقة.

مرَّ الوقت وهو قد اتخذ مجلسًا، بينما يتناول طعامه ظلَّ يفكرُ فيها كثيرًا ويفكرُ في شكل الحياة التي قد يحظى بها إن كانت تلك هي زوجته، وهل كان سينجب منها أولادًا؟

ثم يخطرُ على باله شيءٌ ما، لقد كان يتساءل دائمًا: لماذا يحمل ابنه ملامحَ آسيوية وهو لا يملك تلك الملامح ولا زوجته؟!

تلكَ الفِكرة وحدها كانت كافيةً لتجعل غضبه جمًا، هل الأخوية قد أعطته ولدًا دون أن يكون ابنه الحقيقي؟

هل كانت ممارساته -الميكانيكية- غير الممتعة مع زوجته ممارساتٍ لأجل كونها ممارسات وليست بدافع الحب؟

كل شيء حوله يتداعى حتى ولهِ نفسه، شعوره بالأمن وأَنه استطاع أن يقدِّم لأسرته كل شيء، ثمَّ تذكَّر ثانيةً تلك البسيطة التي قابلها منذ قليل، شعرَ فيها بطيبةٍ

لم يجدها في زوجته حتى، شعر بشيءٍ مختلف ولكن ما زالت إعاقته أكبر عائقٍ أمامه.

في تلك اللحظة دخل حازم مسرعًا تجاه وليد، ليجده وليد مقتربًا منه ويمد له يده بورقة فتحها وليد ليقرأ ما كتب فيها:

- لقد بقيت واخترت أن تعلم، إن أردت المعرفة اتبعني.

خرج حازم ليتبعه وليد ويرى إحدى مركبات الـ(موجول) الكبيرة تحملُ كرسيين على ظهرها موصَّلين بأسلاك وكابلات في المركبة نفسها ليصعد حازم ويشير إلى وليد بالصعود، ولكنَّه توقف مكانه فمن الواضح أنَّ الخوف يعتريه من هذا الشيء الذي لا يفهمه؛ لذا نزلَ حازِم مرة أخرى وذهب إليه و أمسك يده برفق ومشي به خطوتين ليصعد بعدها إلى المركبة دون أن يمانع وليد، في تلك اللحظة لم يشعر وليد أنَّ حازم شخصٌ شرير أو طامعٌ في أي شيء بل شعرَ بمعني كلمتي رفيق وصديق، فقط من هاتين الخطوتين ومن إمساكه بيده ونظرته التي لا تضمر شرًا، وفي استسلامٍ كامل جلس وليد على الكرسي وبدأَ حازِم في إلباسِه الخوذة، بدأ يشعرُ بالانزعاج ولكنَّ حازم همسَ له قائلًا:

- لا تخف.

لم يسمعها وليد، ولكنَّه قرأها على شفتيه وشعر بها فاستسلم تمامًا.

أنهى حازم تجهيز وليد ثمَّ اتجه هو إلى كرسيه وجلس عليه وساعده حكيم في تجهيزه، ثمَّ أعطاه إشارة البدء بإيماءةٍ من رأسه لتضيء الأسلاك وتتوهج بالطاقة، ويبدأ الاثنان في الحديث دون قيود.

ثلاثون دقيقة مرت ليقومَ بعدَها الاثنان وتعلو وجهيهما ابتسامة، يقترب حازم من سالم الواقف يشاهد الموقف ثم يقول له:

- هل تستطيع أن تحصي ما لدينا من أسلحة ورجال؟!

ليجيبه سالم في دهشة: نعم، نعم أستطيع.

- إذًا فأعطني تقريرًا سريعًا، ريثَما تتحصَّل على ما طلبت سأنتظرك في غرفتي.

قالها ثم نادى على حكيم ليتبعه ويتجها سويًا إلى غرفته.

دلف ثلاثتهما من الباب ليبدأ حازم في مخاطبة حكيم ويقول:

- أنا مضطرب، أشعرُ أنَّه يجبُ عليَّ أن أتخذ قرارًا ولكنِّي لا أدركُ هل هو صواب أم خطأ فهل تساعدني؟
- أنا هنا من أجل ذلك يا بني، ولكن قبل أن تتخذ القرار حدِّد قناعاتك التي ستبني عليها هذا القرار.
- أنا، أنا أريد أن، أن أحرِّر الناس فعليًا، أن أجعلَ أمورهم بأيديهم، أن يمتلكوا ما سُلِب منهم قبل ذلك على مدى سنين طوال، لا أريد مكاسبَ لنفسي بل أريدُ فقط أن يوضع كل شيء في مكانه الصحيح، أنا سأشنُّ الحربَ على القاهرة ٠٣٠١ وسأدمِّر الأخوية.
- كلامُك مغلَّف بالكثير من الدماء يا بني، الحرب مكلفةٌ جدًا وتُزهِق أرواحًا وتُريقُ نفوسًا من أجل قضيةٍ ما، فهل ترى أنَّ الحرب قرار سليم؟

أن تزيحَ الأخوية عن المشهد؟ أن تعطي مقاليد العالم للعالم؟

- ....
- أنا لا أتنصَّل منك، ولكني أدرك مسؤولية الأمر.
- أنا فقط أريد أن أحقِّقَ العدالة، أريد أن أمنح الناس حريتهم.
- وما العدالة في سلب ما يؤمنون به؟

- هم يؤمنون بالأخوية، يُدركون أنَّها أفضل ما حدث في تاريخ البشر، أنت تتذكَّر قصة آدم التي حكيتها لك، أليس كذلك؟

- نعم أتذكرها.

- الأخوية بالنسبة إليهم هي آدم، أمَّا أنت فسيرون أنَّك الشيطان المسؤول عن كل الشرور.

صدمه هذا التعبير، لم يكُن يدركُ أن الأمرَ كبيرٌ لهذا الحد فقد اعتقدَ أنَّ الناسَ سيفرحُونَ بعد أن يُزيل الأخوية من المشهد، بعد أن يصبحون أحرارًا أحرارًا بحق.

فيكمل حكيم كلامه قائلًا:

- لكي يتبعك الناس ويدركوا أنَّك خير فعليهم أن يُدرِكوا الحقيقة، أنْ يعلَمُوا كل شيء، أظْهر لهُم الحقيقة فسيسعون للحرية بأنفسهم.

هنا رأى حازم أنَّ خطَّته لن تؤتي ثمارها إلا بعدَ أنْ يعلم كلُّ سكَّان القاهرة ١٠٣٠ أنَّ الأخويةَ ظالمة مستبدة، بل وتستعبدُهم لأطماعِها الشخصيَّة لينطِق قائلًا:

- وكيفَ سأجعلُهم يعرفونَ الحقيقة؟! هذا أمرٌ شاق وصعب.

- حطِّم الرموز، أزل الآثار القديمة.

- ما تعني؟!

حينها أخرج حكيم من بين طيَّاتِ ملابسه قناعًا ما، أبيض بالكامل، مرسومٌ عليه انفجارٌ نووي ونبتةٌ مكتملة، ذُهِل حازم مما يراه فتِلكَ هي المرةُ الأولى التي يرى فيها القِناع ويصبحُ قريبًا منه لتلك الدرجة، القناعُ الذِي كان أملًا ومُلهمًا للناجين الأوائل، القناعُ الذي سبَّب رعبًا لكلِّ الطُّغاة وقتها، وهو أيضًا الذي نفَّذ ما وعد به، رفعَ حازم يده ليُمسِك بالقناع ولكنَّ حكيم أفلته ليسقُط على الأرض ويتهشَّم تمامًا.

ذُهِل حازم من فعل حكيم وتعجَّب وليد من هذا حتَّى أنَّه جثَا على ركبتيه

يتحسَّسُ تلك القطع المتناثرة وكأنَّه يودع عزيزًا ما، أماراتُ التعجُّب التي بدت واضحةً على حازم تحوَّلت للغضب قبل أن يوجِّه سؤاله لحكيم بعصبية:

- ماذا فعلت؟! لم أوقعته؟!

لقد كانَ فرصةً عظيمة لنا، لقد ....

اهدأ ولا تنظر إليه على أنه الأمل؛ فالأمل والعدالة أكبرُ وأعظمُ من أن يتمثَّلا في قناعٍ يا بني فالحرية تأتي جليةً واضحة، ولا تحتاجُ إلى الاختباءِ خلف قناع.

هنا شعر حازم أنَّ حكيم يوجهه، يجعله ينشئ طريقَه الخاص في صنع الأمل، فنظر له وقبل أن يتفوَّه بكلمة دخل سالم إلى الغرفة وهو يقول لـحازم ويبتسم بنشوةِ الفرحة:

- لدينا ما يكفي يا صديقي، الكثير من كل شيء.

- هذا جيد، ولكني لا أريد لفظ الكثير، أريد أرقامًا، أعطني أرقامًا.

ليُخرِجَ بعدَها ورقةً تحتوي على أرقامٍ وأعدادٍ للمشاة والأسلحة الخفيفة والثقيلة وكل شيء، ثمَّ بدأ يقولها لحازم بصوتٍ مسموع:

- لدينا ثلاثون ألف قادرٍ على حملِ السلاح ما بين رجالٍ ونساء وشباب، وثلاثة آلاف مركبةٍ (موجول) مجهزَّة بقاذِفات مدافِع كبيرة الضرر، وألفي مركبة (باج) سريعة الحركة، وأربعمائة مروحية، واثنان وخمسون ألف بندقية طراز NASH 430 سريعةَ التَّلقِيم للقُوَّات الخفيفة، وسبعةُ آلافِ مُطلِق صواريخ ZODIAC 8000 للقوات الثقيلة، وأسلحة أخرى خفيفة متنوِّعة.

ليقول حازم بعدها مُنبهرًا بتلك الأرقام: عظيم، عظيم جدًا.

ولكن حكيم تقدَّم ثلاثَ خطوات ناحيةَ حازم، ثمَّ وضعَ يديه على كتفيه قائلًا:

- إنْ كُنتَ تظنُّ أنَّك قادرٌ على غزو القاهرة ٠٣٠١ بمثلِ تلك الخردة فأنت لا تدرك أي شيء.

اتسعت عينا حازم وسالم في آنٍ واحد، يتبادلان النظرات ثمَّ قالَ حازم موجهًا كلامه لـحكيم: خردة؟! أنت تنعت ما لدينا بالخردة؟

- مقارنةً بتسليح السور فقط فنحن لا نملك شيئًا، لديهِم فوقَ سورِ البوَّابةِ وحده اثنا عشر ألف مدفعٍ بعيد المدى، ناهيكَ عن عددِ الحُرَّاسِ الذينَ يفُوقُونَنا عددًا بكثيرٍ بل وأماكِن تمركُزِهم داخل وخارج الأسوار التي لا نعرفُ عنْها الكثير، ويستطيعونَ جلبهم في دقائق وتحت الأرض أيضًا، سيسحقُونَنا قبلَ أن نُطلِق رصاصةً واحدة.

بُهِت حازم، فكيف سيتصدَّى لكُل هذا الجيش الجرار وهوَ من اعتقدَ أنَّه يستطيعُ بسهولةٍ اختراق وتدمير الأخوية؟!

ولكن لم يكن يُدرِك حجم القوَّة التي تسيطرُ علَى علَّام فعليًا، فنظر إلى حكيم قائلًا: وما الحل؟ كيف سنفعلها؟!

هنا اقتربَ منهُ حكيم وهو يهمسُ في أذنه: حطِّم الرمزَ يا بُني وأشعل فتيل أملٍ جديد.

بدأَ عقلُه يعملُ من جديد، كيف له أن يحطِّم الرِّمز؟!

كيف له أن يدمِّر كيانًا بحجم الأخوية؟!

هنا واتته فكرةٌ فنظر إلى سالم قائلًا:

- سالم، أُريدُكَ أن تأتيني بعشرة أشخاص أقوياء سريعي الحركة، قادرينَ على تنفيذِ ما يطلبُ منهم بالحرف.

ليومئ سالم برأسِه إيجابًا، ثمَّ ينطلق خارجًا، نظر بعدها حازم إلى حكيم الذي ابتسم قائلًا:

- وماذا ستفعل بمن طلبتهم؟!

- سأحطم الرَّمز، ويجبُ أن يتمَّ من داخل القاهرة نفسها.

- أحسنت يا بني، أحسَنت ولكن ألا تخافُ أن تدفع بهم إلى هاويةٍ هم لا يُدركون عنها شيئًا؟! من المؤكَّدِ أنَّهم لا يعرفُونَ كلَّ شبرٍ في القاهرة، هم يحتاجون إلى مساعدة.

ثم أشار برأسه إلى وليد الذي لا يفهم شيئًا مما يقال ففقدانُه لقدرته على السمع يقتله، اقتربَ حازم منه ومدَّ يدَه بورقةٍ بعد أنْ كتَب فيها شيئًا وطالعها وليد ليجده قائلًا: أريد أن أتحدَّث معَك على الكرسي مرة أخرى.

ليومئ وليد بالموافقة ويخرُج الاثنان من الغرفة ويتبعهما حكيم.

بعد التَّجهيزات التي مرَّ بِها وليد وحازم جلسا يتحاوران ليبدأ حازم قائلًا:

- نحنُ هُنا مرة أخرى يا صديقي، في أقلِّ من ساعة.
- نعم، برغم أنَّ تلك الوسيلة تختصر الكثير من ال... كما تعرف، الأوراق، ولكني لا أشعر أنَّ هُناكَ خيرًا من هذه المقابلة
- في الواقع، الخيرُ نسبي مثل الجمال والعدالة وكل شيء آخر.
- ولكن هُناك خيرٌ حتمي ومقبول، بل ومتعارفٌ عليه بين الجميع ولا يخطئه أحد.
- المشكلة يا صديقي أنَّنا نملكُ جانبًا من الخير، ولكن يخطئه الكثيرون.
- ماذا تقصد؟!
- أقصد أننا نريد العدالة والحرية، نريدُ أن يمتلكَ الناس إرادتهم.
- الأخوية تحقق العدالة والمساواة، هذا ما أراه.
- هل تثقُ في الأخوية؟

هنا تأخَّر وليد في الإجابة، هو نفسه لا يدرك أيثق فيها أم لا؟!

إن كان يثق بها فلم خرجَ إذًا باحثًا عن حازم وإن كان لا يثقُ فلم يدافعُ عنها الآن، فردَّ على (حازم) قائلًا:

- نعم، أثقُ بها ثقة عمياء.

- لا أظن ذلك، فقد واتتك أكثر من فرصة للهروب ولم تفعل، عندما قررت البقاء قررتَ أن تعلم كل شيء، أنت لا تكرهُنا ولا تعتبرُنا خارجين عن القانون، ولكنَّك تشعرُ أنَّ هناك شيئًا ما خاطئًا في الأخوية وتريد أن تعلمه.

- أنا، أنا ما زلتُ أثِق بها حتَّى وإن كانت بها بعض المساوئ فلكلِّ نظامٍ مساوئه.

- أتفق معك، ولكن هل تتعاظم مساوئ النظام لتستعبِد البشر الذين قام من أجلهم هذا النظام ليحميهم؟!

- أنت تهولُ الأمور، فالأخوية ليست بهذا السوء.

- حسنًا، فلنأمل ألَّا تغيرَ رأيك.

بالرغم من أنَّ هذين الكرسيين يستعملان للتواصل مع من لديه ضمورٌ في منطقة بروكا إلا أنهما أيضًا يملكان كمًّا كبيرًا من البيانات يستطيع المتحكم الأول أن يستدعي منه ما يشاء من خلال شبكته العصبية؛ لذلكَ بدأ حازم في استعراضِ المشاهدِ التي أراها له حكيم في المكتبة وبدأ عرضها على وليد الذي فغر فاه، وبدأت الدُّموع تنحسرُ في عينيه ثم تترقْرق على وجنتيه، هو لم يكن يُدرك أنَّ الأخوية تملك كلَّ هذا القدر من انعدامِ الإنسانية، لم يكُن يعلمُ أنَّ الفسادَ وصلَ إلى القيادة نفسها بقتلهم للمقنَّع الأول، شعرَ دائمًا أنَّ الأمور لا تسيرُ بشكلٍ جيد ولكنَّه لمْ يكن يتوقَّع أن تصل لهذا الحد، حتَّى توقف العرض من قِبل حازم ثم سأله قائلًا:

- ما رأيك؟! هذه هي الأخوية التي كنت تدافع عنها منذ قليل.

- .....

- هل هذا هو العدل من وجهة نظرك ومن وجهة نظر الأخوية؟!

- أنا، أنا لا أصدق أنَّ كلَّ هذا قد حدث أو ما زال يحدث، أنا أحتاج للكثيرِ من التفسيرات، لا أصدق، ما زلت لا أصدق!

- أقدر موقفكَ تمامًا فأنتَ لا تستطيعُ في لحظةٍ أن تُخالِف ما اعتقدت أنَّه صواب طيلة حياتك، ولكنِّي أطلب منك الفرصة، أنْ تُعطينا جميعًا تلك الفرصة فكلُّ هؤلاء تتعلق آمالهم عليك، كلنا نعلق آمالنا عليك.

- ك، كيف؟

- أنت مسؤول نقطةِ الحراسة بالقطاع ٢١؛ لذلكَ فأنتَ أكثرُ من يعلم عن النقاط العمياء داخل القاهرة وشوارعها، نريدُ منكَ أن تكون دليلنا، سأرسلُ معكَ أشخاصًا وسنتدبَّر طريقةً لتدخلوا بها إلى هناك.

- ولكن..

- أرجوك فكِّر في الأمر.

- ولكن لا توجد هناك نقاط عمياء.

- ماذا؟

- لقد تفاديناها جميعها.

أُحبِط حازم مرة أخرى فقد كان يعتمد على تلك النقاط ليبدأ الأمر كله من الداخل، ولكنه أملٌ زال مرة أخرى كسابقه.

- هناك طريقة.

قالها وليد لـحازم الذي رفع رأسه في لحظتها ناظرًا إليه يحثُّه على الإكمال:

- هناك طريقة قد تفيد، فلم يذهب أحدٌ منا إلى البوابة الثانية.

هنا تهلَّلت أسارير حازم الذي كاد أن ينتفض من على كرسيه قائلًا لوليد:

- أهناك بوابةٌ ثانية؟!

- نعم، ولحسن الحظ أنَّني من القلائل الذين يعلمون مكانها.

- ولماذا لا يعلم أحدٌ عنها شيئًا؟

- أعتقد أن الأمرَ عسكريًا أفضل، أنْ يُدركَ الجميع أنَّ القاهرةَ لها بوابةٌ واحدة لهو أفضل حتمًا.

- صدقت، ولكن أين هي؟! وما تسليحها وحراستها؟! أخبرني عنها المزيد.

- هي تقعُ بالجدار الشمالي للسور، على مقربةٍ من المَجرى القديم للنهر.

- النهر؟ أتقصد؟

- نعم، نهر النيل.

هنا شعر حازم أنَّ النيل الذي كان يهبُ الحياة قديمًا بسريانه وجريانه مُنبتًا الزُّروع ويروي الأنفس، هو نفسه الذي يهب طريق الأمل وما زال يمنحُ الحياة حتَّى وإن لم يكن موجودًا.

- كيف سندخل إليها إذًا؟

- أولًا لن تستطيع أن تستبين ملامحها، فقد أصبَحت بفعلِ الزَّمن وشبيهة تمامًا بالسور.

- ولكن أخبرني، لِمَ لم تستعملها للخروج فقد جئت من نفس طريقي أي أنك خرجت من البوابة الكبيرة؟!

- نعم استخدمتُ البوَّابة الرئيسية هذا لأني لست قويًا كفايةً لفتحها.

- سأرسل معك ما تريد من الرجال، ولكن وضِّح لي أكثر عن تسليحها.

- أخبرني أنت أولًا، ما تريد أن تفعل؟

- وهل أستطيع الوثوق بك؟!

- .....

- أنا لا أقْصدُ التقليل منك، ولكني لا أدرك موقفك إلى الآن، أنا لا أعلم شيئًا عن البوابة التي تقول عنها، ماذا يُدريني أنَّك صادق؟

- لا شيء غير أني أريد تحقيق العدالة كما تريدها أنت، فهل يجعلنا هذا على نفس الطريق؟

- نعم، يجعلُنا على نفس الطريق وأكثر.

قالها حازم بابتسامة ليراها وليد الذي بادله إياها، ثم قال حازم:

- سأخبرك كل شيء؛ في بادئ الأمر أردتُ أن نهاجم القاهرة ٠٣٠١ مباشرة، ولكن اتضح أنَّ قوتنا وعتادنا لن يستطيعا فعل ذلك، فأردتُ أن أجعلَ الهجوم من الداخل بأن نرسِل بعضًا منَّا يبدؤون في عرضِ تلكَ المشاهد المصورة التي رأيتها بعد أن يوصلونا بالتحكم في الشاشات الموجودة في الأماكن الكبيرة.

- أشعر أنَّك تسيرُ على نهجِ المقنَّع الأول، تتحكم في الإعلام ثمَّ بعد ذلك القوة.

- أنا أحاول.

- ولكن ماذا بعد أن تريهم تلك المشاهد، هل تعتقدُ أنَّ الناس جاهزون للتصديق؟!

هذا إن افترضنا أنَّك نجحت في تلك المحاولة؟

- بعدها سنبدأ في الدخول والتكتُّل داخل القاهرة نفسها على أملِ أن أستطيع الوصول إلى المصحة ومنها سيتغير كل شيء.

- هذا مستحيل، لن تصمدوا هناك يومين، أنت لا تدرك حجم قوة الأخوية.

- ولكني لا أجد حلًا آخر.

- بل هناك حل وهو سلاح ذو حدين، ولكنه قد يكون كافيًا.

هنا بدا التلهف على ملامح حازم وهو يقول له:

- أخبرني ما هو إذًا؟

- القنبلةُ الكهرومغناطيسية.

- ماذا؟! قنبلة كهرومغناطيسية؟!

- نعم، هي الحل الأمثل.

- وماذا سنفعل بها، تلك القنبلة ستدمر الكثيرين دون داعي.

- لا لن تفعل، ولكنها ستعطينا وقتًا كافيًا للدخول ومن البوابة الكبيرة.

- كيف؟!

- تلك القنبلة تطلقُ نبضاتٍ كهرومغناطيسية قادرة على شلِّ حركة أي جهاز كهربي أو إلكتروني على مسافةٍ محدَّدة، ولكنها لن تستثني أحدًا فهي ستقوم بتعطيل مركباتنا أيضًا.

- يا للهول!!

ولكن ذلك يعني أننا بهذا نُفقدهم أفضلية المدافع التي على السور، أليس كذلك؟

- نعم، ولكنَّنا سنفقدُ مركباتنا نحن أيضًا.

- سُحقًا، ألا يوجد حلٌّ يجنِّب مركباتنا هذا الدمار؟

- يوجد حلٌّ ما، لكنَّه ما زال تحت التجربة ولا يمكن أن أضمنه.

- قل ما هو سريعًا.

- طلاء، طلاءٌ يعملُ كعاكسٍ لتلك النبضة، ولم تأتِني معلومةٌ أنَّه أصبح جاهزًا بعد؛ لذلك لا يمكننا الجزم إن كان خيارًا صحيحًا أم لا.

هنا فكَّر حازم في الأمر، فالأمر به مخاطرة ولكنَّه يستحقُ لذا قال لـوليد:

- كيف يمكننا الحصول عليه؟!

وما الذي جعلك تعتقدُ أنهَّم لم يستخدموه على أسلحتهم؟

- لديهم الكثير من الأسلحة وبأعدادٍ مهولة وأنت تقول إنه ما زال تحت التجربة، حتى وإن انتهوا من تصنيعه فهم لن يستطيعوا نشره بتلك السرعة على جميع أسلحتهم في الوقت المناسب، وإلا على الأقل لكنت علمت أنت أيضًا بحكمِ أنَّك أحدُ المسؤولين عن الحراسة وهذا يعدُّ من مهامك.

- أتفق معك، أعطني رجالًا أدخلُ بهم إلى القاهرة، واجعل منهم فريقًا ينِّفذ استحواذك على الشاشات والباقي سيأتي معي لنأتي بالطلاء إلى هنا.

- أتمنى أن تنجح الخطة، أنا أعتمد عليك يا صديقي.

- مادام هناك أهداف نبيلة فسنفعل كل ما يجب علينا فعله.

هنا ابتسم حازم وبدأَ فِي نزعِ الخوذة عن رأسِه ليتبعه وليد ويهبط الاثنان من الـ(موجول)، ليجد حازم أنَّ سالم قد جاء ومعه الرجال، فقال له حازم:

- زِد عليهم الكثير يا صديقي فالأمر عظيم.

- هل توصلت لشيءٍ جديد؟

- نعم، اتبعني فسأشرح لك كل شيء في الغرفة.

ثمَّ توجَّه حازم ومعه وليد بعد أن أشارَ لحكيم بأن يلحق بهما، وتبعهما سالم ليخبرهما عن الخطة التي سينفذونها.

الأمور استتبت وكلٌّ يعلم دوره، كلٌّ مؤمن بما سيفعله ولن يتوانوا ولو لحظة في التضحية بأنفسهم في سبيل ما يصدقون به.

في الليل تحرَّك وليد ومعه مجموعة مكونة من أربعين فردًا، ولكن قبل أن يغادِر نظر إلى هؤلاء الأحرار، نظر إلى حياتهم التي تُخالِف أنماط القاهرة، يضحكون رغم كل ما بهم ويساعدون بعضهم، يملكون حبًا حقيقيًا رغمَ اختلافهم في كل شيء تقريبًا، ثمَّ رآها مرة أخرى تنظرُ إلى عينيه مباشرة ثم ابتسمت ليبادلها هو الآخر نفس الابتسامة، يراها تُحرك يدها في أشكال لا يفهمها ولكن إشاراتها أوصلت له المعنى، شعر أنها تقول له:

(عد سالما)

ليومئ برأسه بإيماءةِ الموافق ثمَّ ينظر لمن معه وبدأوا في التحرُّك باستخدام مركبة (موجول) لتسير بهم في مجرى النهر القديم الذي أصبح جافًا، ما إن لاحت لهم أسوار المدينة حتى ترجَّلوا من الـ(موجول) يقودهم وليد الذي قد قسَّمهم وأعطى كلًا منهم ورقةً تحوي مهمته.

بدأوا في الهرولة وقد تسلَّحوا بأسلحةٍ خفيفة من مسدسات طراز Bang 680 مجهزة بكاتمٍ للصوت و خناجر قصيرة، قادهم وليد عبر مجرى النَّهر إلى أن وصل إلى نقطةٍ ما ف‌توقَّف ليقف الجميع خلفه، وبدأ الخروج من مجرى النهر ليكون السور مقابلًا له، يسيرون ولا يرون إلا السور الشاهق الأسود، بعضُهم يراه لأول مرة فمنهم من ولِد وعاش خارجه، ومنهُم من يعرفُه حقَّ المعرفة ولكن لا أحد يرى تلك البوابة التي من المفترض أنَّها أمامهم، حتَّى وصلوا إلى السور وبدأ وليد يتحسَّسه إلى أن توقَّف لينظر إليهم نظرةَ من وجد كنزًا فقد أمسك بحافةٍ من حواف البوابة، بدأ يشير لهم في سرعة أن ادفعوا هنا ليفهموا هُم ما أراد ويبدأوا في دفع البوابة بكامل قوتهم، ولكن ما زاد من حماسهم أنَّها بالفعلِ بدأت في التحرك فدفعوها أكثر لتتكون لهم فرجةً كافية ليمروا منها واحدًا تلو الآخر.

مروا بسلام وبدأ وليد في السير بهم في أماكن أقل إضاءة على طول السور.

وما إن يصل إلى نقطة الحراسة الأولى سيبدأ في تعطيل الكاميرات مما سيُسبب نقاطًا عمياء، وهذا سيؤخر عمليةَ كشفهم من قِبَل القادة وسيجعلهم قادرين على الحركة بحريةٍ نسبية ليستطيعوا إتمام ما أتوا من أجله.

في تلك الأثناء كان حازم وحكيم يتابعان تجهيز القوات واستعدادها للمعركة، قال حازم مُحدثًا حكيم:

- النيل!! كيف نسينا وجوده بتلك الطريقة؟
- هو فقط آثر الاختفاء، وكما ترى لقد ظهر في أكثر لحظةٍ مناسبة.
- أخبرني يا حكيم، كيف جف النيل بل وكيف تغيرت معالم العالم بتلك الطريقة؟
- عندما حدث الانفجار العظيم تغيَّر شكلُ العالم والمناخ كليًا، وردَتنا إخبارية أن منبعي النيل نفسيهما قد غطَّتهما صخورُ الجبال من أثر الانفجار وبحيرة تانا رُدِمت تمامًا، بحيرة فيكتوريا لا نعلم عنها شيئًا

غيرَ أنَّ النيل لم يعد موجودًا جاريًا كما كان ممَّا يوضح أنها تأثَّرت هي الأخرى.

صمتٌ يعقبه حزن، ثمَّ سأله حازم:

- إذًا كيف نجونا؟! وكيف نبتت تلك الأشجار هنا رغم أن كل ما كان يحيطنا كانت الصحراء على ما أتذكر أو حسب ما علمونا؟!

- الانفجار قضى على الكثير من الكائنات، ولكن هناك أنواعًا أخرى استطاعت أن تنجوا بطريقةٍ ما، وهذا الهياج الجوي سبب انتقالًا كبيرًا لمعظم بذور وحبوب لقاح ناجية هي الأخرى، كما أن أرضنا يا بني تسبحُ على خزانات مياهٍ جوفية شقَّ الانفجار لها طريقًا للأعلى لتصبح كما تراها الآن.

- ألن يعود النيل يومًا؟!

- سيعود، أنا واثق من ذلك فهذا الشريان لم يُقطع بعد.

ابتسم حازم، هو يشعر براحةٍ كبيرة عندما يتحدث مع حكيم، يعطيه أملًا في كل شيء ويشعر أنه يضيف على العالم لمسةً من السعادة، أكملا طريقهما بين مركبات الـ(باج) ليكملا الاستعداد لكل ما سيأتي.

وليد بدأ بتنفيذ الخطة؛ أول نقطة حراسة لم تكن بالقوة الكافية ولكن وليد يحاول الحذر دائمًا فاستطلع المكان ناظرًا من نافذة تطلُّ على النقطة من الدَّاخل ووجد ان هناك حارسين، هو يعلم أنهما إن وجداه فلن يتركا فرصةَ إطلاق النار عليه لأنّه متسللٌ بملابس غريبة لذلك بدأ في البحث عن صندوق التحكم بالكاميرات والذي كان خارج النقطة، ما إن وجده حتَّى بدأ في تغيير بعض الأسلاك ليجعل كاميرات النقطة العمياء ثانويةً وليست أساسية وبذلك لن تظهر على الشاشات داخل النقطة، فعَّلها وهو يقول في نفسه:

- فلنأمل ألا تتغيَّر شاشات عرض الكاميرات بواسطة أحدهم.

هو يدرك أنَّه لا أحد يغيِّر تلك الكاميرات، ويدرك أنَّ ما فعله فيه مخاطرة كبيرة ولكن إنْ غيَّرها أحدٌ ووجد أسلاك الكاميرات مقطوعة فلن يمرَّ الكثيرُ من الوقت قبل أن تَهبَّ القاهرةُ على قدمٍ وساق باحثةً عن هؤلاء الدخلاء، أمَّا بتِلك الطريقة فالخسائر دائمًا أقل، كما أنَّ لديهم أفضلية الباب الثاني التي لا يعرف عنها أحد.

بدأ (وليد) في تغيير بعض نقاط المراقبة ثمَّ انفصل هو ومجموعته، لتبدأ مهمته بالوصولِ إلى الطلاءِ العاكس، بينما المجموعةُ الأُخرى تحاولُ اعتراضَ البثّ من خلال غرفِ تحكمٍ عليها بعض الحراسة القليلة ممَّا يسهل عملهم.

أخذت مجموعة وليد في التَّحرُّك مستترين بالمباني ومعطِّلين لنقاط الحراسة التي تقابلهم على طول الطريق، قائدُهم يُحاولُ الوصولَ للجانبِ الآخر.

هو يقطعُ القاهرة ١٠٣٠ عرضيًا ويأملُ ألَّا يراه أحد، ولكِن إن سارَ على نفسِ النَّمَط فستكونُ فرصُ كشفِهم قليلة.

أخيرًا وجد وليد ضالَّته وهي مركز البحث العلمي والتطوير الخاص بالأخوية، التفتَ إلى مجموعته يحاولُ أن يقول لهم شيئًا، ولكنَّ إعاقته تعيقُ ذلك فأشارَ إليهم أن لا يستخدموا العنف إلا إن لزم الأمر.

رويدًا بدأوا في الحركة، يقتربُونَ من المدخلِ الذي يحميه حارسان، تسللًا خلفه حتى لا يعترضاهُما من الأساس، ثمَّ صعدوا عبرَ نافذةٍ إلى واحدًا تلو الآخر حتَّى صعدوا جميعًا ودخلُوا إلى المبنى، أَمرَهُم وليد بالمكوثِ في تلك الغرفة التي دخلوا إليها ريثَما يبحثُ هو عن الطِّلاء، ثم انطلق.

لا يدري أين يذهب كما أنَّه خائف، نعم يشعر بالخوف فإنْ داهمه خطرٌ ما لن يستطيع تفاديه أو بالأحرى لن يستطيع سماعه؛ لذلك كان يلتفتُ في كل لحظةٍ يمينًا ويسارًا إلَى أن وصَل إلى حجرة مكتوب عليها لافتةٌ تقول (أبحاث شبه تامة) فأمسك المقبض الذي بدا عاديًا ودون أي نوع من

أقفال الحماية، أدَاره يسارًا ليفتح ثمَّ دخل إلى الغرفة وأغلق الباب خلفه.

مصباحُه اليدوي الصَّغير كان له كاملُ الفضلِ في التَّعرفِ على الأشياءِ بالداخل، ظلَّ يبحث ويبحث حتى وجد صندوقًا مربعًا أخضرَ اللون، مكتوبٌ عليه (طلاءٌ مضَاد الكَهْرومغْناطِيسية) ثمَّ وجدَ بعضَ الأوراق بجوار الصندوق، أمسكَ بها يتصفحها في عجالة فوجد بعض المعلومات المهمة كنسبة التقدُّم في المشروع والتي تخطت خمسًا وثمانين بالمائة، ووجد أهمَّ معلومة وهي أنَّ تلك العينة خرجت من المخازن التي تقع في الجهة الجنوبية من المبنى.

انطلق وليد نحو الباب، فتَحه وبدأ في طريق العودة، هو يعلم تمامًا أين الجهة الجنوبية، سيذهب هو ومن معه ليأخذوا ما استطاعوا من الطِّلاء وينتهوا من هذا الأمر، ظلَّ يتحرَّكُ في حرصٍ وحذر حتَّى وصلَ إلى الغُرفة التي تركهم بها.

فتح البابَ ليجد أسلحةَ مسدساتهم كلها في وجهه وما إن أدركوا أنَّه هو حتى أخفَضوا مسدساتهم، أشار لهم أن يتبعوه وخرجوا واحدًا تلو الآخر.

انطلقوا في صفٍ واحد ملاصقين للحائط وقد أفادهم أنَّ المبنى معظمه مظلم، ولكن الكاميرات ترصدُ كلَّ شيء، هذا الأمر لم يمر على وليد مرورَ الكِرام ففصَل كل الكاميرات الموضوعة على الطريق المؤدية للجهة الجنوبية، وما إن وصلوا حتى أوقفهم وليد بإشارةٍ منه، وبدأ هوَ في التَّسلُّل داخل المخازن، لحظات وظهر لهم مشيرًا إليهم بالدخول.

لم تكن الصناديق ثقيلة الوزن مع أنَّها كبيرة الحجم، وجدوا ما يزيد عن ألف صندوق، ولكن كيف سينقلون كلَّ تلك الكمية؟!

وجدوا وليد يكتبُ لهم آمرًا أنْ يحمل كل فردٍ منهم عشرة صناديق ويبدأوا في نقلها للغرفة على الجانب الآخر كمرحلة أولى، ثمَّ تأتي المرحلة الثانية بنقلِها خارج المبنى ومنه إلى خارج القاهرة ١٠٣٠ كلها.

بدأوا في التنفيذ، الأمر لم يأخذ وقتًا كبيرًا فقد كانوا حذرين، نقلوا حوالي ثلاثة أرباع الكمية وساروا بها إلى الحجرة الأولى التي قفزوا إليها في بادئ الأمر ومنها إلى الطرقات، ولكن المشكلة الأكبر لم تكُن في إخراجها من المخازن بل في طريقة إخراجها من المدينة كلها، هُنا كَتب وليد لهم أنَّه يستطيعُ أنْ يأتِي بوسيلَةٍ تنقلهم، فتحرَّكَ نحوَ أقربِ نقطةِ حراسة واقترب من مركبةِ الـ(باج) التي يمتلكونها وخلع معطفه ليظهرَ زيه الخاص بالمدينة حتى إن رآه أحدٌ وهو يقودها فلن يشك في أمره، صعد إليها بروية وبدأ في التحرك ببطء مستترًا بالظَّلام ودون أن يضيء كشافاتها حتى لا تسبِّب الجلبة ولا تلفت الأنظار، وصل إلى رجاله الذين انبهروا بقدرته على إيجاد تلك الحلول، وجدَهُم بدأوا في تحميل الصناديق.

نزلَ وليد ليبدأَ في إحضارِ الصَّناديق هو الآخر وقد أمرهم أن يُحمِّلوا الصناديق ولكن كل فرد على حدة، وبينما هم كذلك وجدَ وليد أنَّهم قد توقفوا عن التحميل فجأة لينظر من خلف المبنى فيجد حارسًا قد استوقف أحدهم وهو يحمِّل الصناديق، هذا الحارس سيُبلِغ نقطة الحراسة ويضيع كل شيء هباءً، نظروا جميعًا إليه، الوقتُ محدود فالحارس يوجِّهُ فوهة سلاحه إلى زميلهم ويبدو أنه سيخبرُ رئيسه الآن فهذا واضحٌ من تركيز عينيه في نظارته، ثمَّ في لحظة وجدوا أنَّ الحارس وقع على الأرض وهناك رصاصةٌ تستقرُّ في جبينه وفوهة سلاحٍ مرفوعٍ تجاهه، إنَّه سلاح وليد!

الذُّهولُ سيدُ الموقف، لم يكن ذهولًا منهم فقط بل مِن وليد نفسه الذي دمعت عيناه في صمت، ويده ما زالت على نفس وضع إطلاق النار، يدركُ أنَّ ما فعله قد يكون مبالغًا فيه، ولكن لم يكن هناك حلٌ آخر، يدرك أنَّ هذا الحارس كان فقط يقوم بعمله، ثم يتساءل: هل كان لديه أسرة وأولاد أو أي شخص؟ هل سيفتقده أحد؟!

ثم يسأل نفسه: ما ردة فعله إن كان هو مكان ذلك الحارس؟!

تتساقط دموعه ومازالت يده متجمِّدةً على وضعية الإطلاق، يُمسكُ أحدَ أعوانِه بيده، ثمَّ ينطِق بكلمات لا يسمعها ولا يفهمها، هل يواسيه أم يخبرُه أنَّ ما فعله كان صائبًا؟

هو لا يعلم، لا يدرك، هو فقط يتبيَّنُ أنَّه قد قتل رجلًا يقومُ بواجبه، فهل يجعله هذا مذنبا؟

حمَّلوا مركبة الـ(باج) بالصناديق وركبوا فيها وتوجهوا بها إلى البوابة الثانية، وليد يقودُ ولكنه مسلوب الإرادة، مازالت عيناه تتساقط منهما الدُّموع دون أي تعبير على وجهه، لا شيء سوى الصمت، دائمًا كانَ الصمت رفيقه، لا يعرِفُ غيره ولا يدرك شيئًا سواه، يتساءل: كيف ستنتهي حياته؟ هل ستنتهي بذلك الصمت القتَّال؟

لا يدرك، ولا يريدُ حتَّى أن يُدرِك، بل يريدُ أن ينتهي كل شيء وحسب.

وصلوا إلى البوابة وهبطوا من المركبة ليُكمِلوا فتح البوابة بما يتناسب مع حجم الـ(باج)، خرجوا من البوابة وأغلقوها خلفهم مرةً أُخرى محاولين محو أي أثر، وهبطوا إلى مجرى النيل ليسيروا بالمركبة في طريقهم نحو المعسكر بغنيمةٍ كبيرة، ودموعٍ ما زالت تنساب على وجنَتَي وليد.

وصلت الـ(باج) المحمَّلة بالطلاء إلى المعسكر لتُقابَل بترحيبٍ كبيرٍ من الجميع، وظهور حازم يليه سالم ويتبعهما حكيم ليُرحبَا بالأبطال، الفرحةُ تعمُّ الأرجَاء ولكن حازم يرى وليد شاردًا وحزينًا؛ فسألهم:

- ما الذي حدث؟ لمَ هذا الحزن؟

ليجيبه أحدهم: لقد اضطر وليد لقتلِ أحد الحراس.

- ماذا؟!

نظر حازم لوليد الشَّارد والذي ما زال ممسكًا بمقود الـ(باج)، اقترب منها وفتح بابها ووضع يده على كتفه ثمَّ أمسك بيديه وأنزلهما من على المقود، وبرفقٍ بدأ يُنزل وليد من الـ(باج) والذي استجاب تمامًا كطفلٍ صغير حتَّى وقَفَ على الأرض مواجِهًا لحازم الذي يدرك أنَّه مهْما قالَ فلن يستطيع تخفيفَ الألم الذي يشعر به، هَذا إن استطاع سماعه من الأساس، احتضنه حازم ليبدأ وليد في البكاء أكثر، هو قد لا يسمع ولكنه يشعر، يشعرُ و يتألَم رغمَ كل شيء، ظلَّ يبكي بصوتٍ مسموع، يصرخُ إلى أنْ هدأ تمامًا، هُنا وجدَ حازم يهمس له قائلًا:

- لا عليك، كلُّ شيءٍ سيكونُ على ما يرام.

قرأها على شفتيه، لم يسمعها ولكن إدراكها كان كافيًا له في تلك اللحظة.

تحرَّك حازِم نحوَ الطلاء في السيارة وفتح منه صندوقًا ينظر إليه لتعتريه الفرحة، ثمَّ يقولُ لمن حوله:

- الآن لدينا درعٌ يحمينا، ابدأوا العمل على كل مركبات الـ(موجول) أولًا تليها المروحيات والـ(باج)، سنهجمُ في الصَّباح فحتمًا قتلُ الحارس سيثير الكثير من الأسئلة.

دقائق مرت ليجد أن المجموعة الثانية قد عادت، يخبرونه أنَّ المشاهد التي أعطاهم إياها في أقراصٍ مدمجة تُعرض الآن في كل أنحاء القاهرة ١٠٣٠، هُنا نظر إلى حكيم وقال:

- الناس الآن يعرفون الحقيقة، بدأ الأمل يا صديقي.

العمل على قدمٍ وساق والطلاء يزيِّن مركبات الـ(موجول) والكثير من المروحيات ومركباتِ الـ(باج)، هنا تقدَّم وليد مِنْ حازم وأعطاه ورقة كُتِبَ فيها:

- القنبلة، سآتيكم بها وحدي.

تعجب حازم؛ فالخطة أن يذهب وليد مع بعض الرجال لإحضارها وإذ به يدسُّ في يديه ورقةً ثانية قد كَتَبَ فيها:

- لن نصِل في الوقت المناسب، القنبلة يجبُ أن يتمَّ تفعِيلُها من الداخل، ولكن عليكُم أن تجعلوهم يبدؤون الضرب بكامل قوتهم؛ فوجودُ المدافع داخل خرسانةِ الأسوار قد يحميها لذا يجب أن تخرج على سطح السور وأنا سأتحرك بعد قليل.

حازم يرى في عينيه إصرارًا على الذَّهاب وحيدًا، يعلمُ أنَّهُ لن يستطيعَ أن يمنعه؛ لذا هزَّ رأسه موافقًا فتركه وليد ومضى خارجًا ممتطيًا ظهر الـ(باج) ومختفيًا عن الأنظار.

في تلك اللحظة وصل حكيم سائلًا حازم: أين يذهب وحيدًا؟!

- يقول إنَّهُ سيحضرُ القُنبلة.
- وحيدًا؟
- نعم.
- هل تدركُ أنَّ حربنا كاملةً تعتمدُ على تلك القنبلة، أي أنها تعتمد عليه اعتمادًا كليا؟!
- نعم أعي ذلك، ولا أنسى أنَّنا في مأمنٍ نسبيًا من القنبلة بفضله أيضًا.
- إذًا، كيف تركته يذهب وحده؟! إن حدث ومات فســ...
- لن يموت، ولكن الحزن يأكله، يشعر بالذنب لقتله هذا الحارس، ولم يُرِد أن يضطر للقتل مرة أخرى دفاعًا عن أحد، أخبرني يا حكيم هل تدرك كيف تعمل تلك القنبلة؟
- أعرِفُ بعضَ المعلوماتِ فقط، أوَّلها أنَّ الآليات يجبُ أنْ تكونَ في نطاقِ التَّأثير الكهرومغناطيسي حتَّى يتأثَّر بالقُنبلة، وتأثيرها على مطلق القنبلة يكاد يكون معدومًا، إن كان قريبًا منها قد يصاب بالسرطان فقط.
- هل تعلم مداها؟!
- قد تتجاوز ثلاث كيلومترات بقليل.

هنا انتبه حازم لتلك الكلمة مذعورًا، وسأل حكيم قائلًا:

- ماذا؟! ثلاث كيلومتراتٍ فقط؟

معنى هذا أنَّ وليد يجب أن يكون في منطقة القتال.

- نعم، هو يعلمُ ذلك جيدًا.
- وليد، لماذا تقتل نفسك بتلك الطريقة؟!
- .....
- هل هناك طريقة ننقذُه بها؟
- قد، قد يكونُ هناك طريقة، ولكني للأسف لا أعلمها، فلنأمل أن يكونَ مُدرِكًا لما يفعل.

الوقت يمر، الصباحُ يشرق وكل المركبات جاهزة وتم طلي معظمها، الأفراد مسلَّحون، الكل مستعد وينتظرونَ إشارة التحرك فقط، هنا صعد حازم على ظهرِ إحدى مركبات الـ(موجول) قائلًا:

- أيها الناس، رجالًا ونساء، لقد سُلِبت منكم حريتكم وسُلبت منكم الإرادة، اليوم ستستعيدُون كل ما هو لكم وستأخذون كل ما حرمتم منه، ليس لأجلكم فقط فحاربوا وأطلقوا الغضب على كل طاغيةٍ ظالم، حاربُوا من أجلِ جيلٍ قادم بل من أجلِ كل الأجيالِ التي تَليكم، حاربوا من أجلِ الحياة، حارِبوا من أجلكم ومن أجل الوطن.

هنا تعالت الصيحات فكلماته ألهبت الحشود، صعد الكثيرون على متنِ المركبات واستقلَّ البعضُ المروحيات والباقُون يسيرونَ خلف هذا الجيش الكبير، الكلُّ يشعرُ بالحماس، لأول مرةٍ يشعُرون أنَّ هُناك شيئًا يستحقُّ الموت من أجله، بل وجدوا أنَّ هناك أشياءً تستحقُّ ذلك كالحرية والكرامة بل الوطن ذاته.

لاحت في الأفق أسوار القاهرة ١٠٣٠ ليعطي حازم إشارة التوقُّف من فوق مركبة الـ(موجول) التي يركبها فيقف الحشد كله، هو ما زال ينتظر الإشارة من وليد ولكَّنه تذكر ما قاله له:

(عليكم أن تجعلوهم يبدؤون الضرب بكامل قوتهم؛ فوجودُ المدافع داخل خرسانة الأسوار قد يحميها ويجبُ أن تخرج على سطح السور)

هنا علِم حازم أنَّه لابدَّ من أن يرسل بعض المركبات ذات التأثير القوي لتستفز الأسوار فتردَّ بهجومٍ أقوى وبكامل القوة؛ فأمر عشرين مركبةَ (موجول) ذوات المدافع الثقيلة بالتقدم وبدأت المركبات في التقدُّم وزيادةِ سرعتها، على الجانبِ الآخر كان حراسُ الأسوار يرون مركباتٍ غير معروفة تقترب منهم فبدأوا بأخذ الاحتياطات وجهَّزوا بعض المدافع في وضع الاستعداد، هنا انطلقت قذائف الـ(موجول) لتطيحَ بجزءٍ من السور ويبدأ بعدها الرد عنيف فكلُّ المدافع بدأت في إطلاق نيرانها مرة واحدة بل وبدأت تظهر على السطح مدافعُ أخرى في مشهدٍ مهيب يراه حازم وكل من معه، فجأة أصبح للمدينة أذرع مدمرة، لقد فعلوا ما لم يُفعل من قبل، لقد أغضبوا القاهرة!

حازم يرسل خمسين مركبة (موجول) أخرى بعد أن تمَّ سحقُ المجموعةِ الأولى تمامًا، ولكن تلك المرة كانت المناورات أكثر فالمراكب لم تقف في وضع ثابت بل ظلَّت تُطلق النيران بأشكالٍ ليست مستقيمة ليأتي الردُّ عنيفًا من خلال مدافع القاهرة فقد انطلقت كلها في آنٍ واحد فكانت كموجةِ نيرانٍ غاضبة أزاحت في طريقِها كل شيء، حازم ومن معه في منطقةٍ بعيدة عن مدى إطلاق النار ولكنهم يشاهدون المنظر المهيب وسط ذهولٍ ورعبٍ وخوفٍ من الجميع، خوفٍ من أن تنتهي تلك الحرب قبل أن تبدأ فهُم لم يعتقدوا أنَّ القاهرة تملكُ كل تلك القوة، هي مذهلةٌ ومخيفة وعنيفةٌ بشكلٍ لا يصدق.

بدأت تُفتح البوابةُ الكبيرة على مصراعيها لتنطلق منها حشودٌ كثيرة من الحُرَّاس ومراكبِ الـ(موجول) والـ(باج) مُنطلقة نحو حازم الذي قرَّر أن يتركهم حتى يدخلوا منطقته إلا أنَّ مراكب القاهرة بدأت في إطلاق النار من مسافةٍ بعيدة، والمفاجأة أنَّها قد بدأت في التسبب بالخسائر فتلك المدافع ذات مدى أطول وإن لمْ يقتربُوا الآن سيموتون في أماكنهم، ظلَّ حازم يفكِّر ثم لم يجِد إلا حلًا واحدًا وهو الاشتباك، وأمَل أنَّ وليد ما زال على قيد الحياة.

هنا صرخ حازم في الجميع قائلًا:

- لقد انتظرتم جميعًا ثأركم، وأنا انتظرتُ ثأري لكل من ماتوا أيضًا، حان وقت رد الدين، هجوم!

لتتعالى الصيحات وينطلق الجيش في مشهدٍ مهيب، ينطلق بالأحرار من البشر وذئابهم العتية، كلا الطرفين يطلقان النيران، يتقاذفان بما لديهما إلى أن دَخلوا مجال المدافِع التي على الأسوار وبدَأت حينها الحربُ الحقيقية؛ فقذيفة واحدة من تلك المدافع كان تبيدُ على الأقل سبعةَ مراكب وعشراتِ الأشخاص، الغبارُ ينتشرُ في الجو ورائحةُ الموت بدأت في الانتشار، طعم الدماء الصدئ يُجبِرك على تذوقه، كل شيءٍ مرعب، أشلاء وصارخون على قيد الحياة قد فقدوا أطرافهم، امرأةٌ ملقاةٌ فقدَت نصف جسدها السفلي، كلُّ شيءٍ مؤلمٌ ومهيب، المشهدُ فظيعٌ إلى أبعد الحدود.

وليد شعر باهتزازاتٍ عنيفة فأدرك أن حازم قد بدأ الهجوم، هو الوحيد الذي كان يعلم أين تقع القنبلة الكهرومغناطيسية فهي في مخزن الأسلحة الكبرى، وفي ظل تلك الفوضى سيفي زيه بالغرض ولن ينتبه أحد إليه، وجد أن الحشودَ تجري ناحية البوابة والحراس بدأوا حالة استنفار عامة فولج هو إلى مخزن الأسلحة، استوقفه حارسٌ على باب المخزن الكبير فدفعه وليد للخلف محيطًا ذراعه برقبته ليمنع الدمَّ من الوصول إلى رأسه سقط َالحارسُ مغشيًا عليه.

دلف مسرعًا إلى المخزن بعد أن أخذَ بطاقة الحارس ومرَّرها على الباب ليفتح، ثمَّ أغلقه خلفه سريعًا، استدار ليجدها أمامه كملكةٍ متوَّجة، كأنَّها منضدةٌ متوسطة الحجم، اقتربَ منها محاولًا تفعيلها وها قد نجح، أمامه ثمانية دقائق فقط ليصل فيها إلى البوابة، حملها على ظهره وخرج بها مسرعًا ناحيةَ باب المخزن الرئيسي وهو يقول في نفسه:

- اصمدوا قليلًا فقط يا رفاق، اصمد يا حازم، ثمانية دقائق فقط.

وضعها في مركبة (باج) وصعد على متنها واتجه إلى السور، كان يصارعُ الوقت، الازدحام شديد والقوات تُحشد بشكل رهيب وهو يحاول الوصول، اقترب من البوابة الأمامية ليفزِعه ما رآه؛ المدافع التي خرجت من السور وعلى سطحه كأنَّه كان أرضًا ونبتَت فيها كل تلك الأسلحة، أدرك في تلك اللحظة أنَّ رفاقه يعانون، بل والمؤكَّد أنَّ هُناكَ الكثيرُ من القتلى، الازدحام ما زال شديدًا، نزل من على الـ(باج) وحمل القنبلةَ على ظهرِه وغاص بها بين الناس متوجهًا للبوابة.

يلعنُ قصور جسده في تلك اللحظة، الكثيرُ لا يعرفون تلك القنبلة فيظنونها سلاحًا سيساعد في كسب الحرب لذا كانوا يفسحون له الطريق، يشعر أنَّه وحيد رغم كل هذا الزحام، لا يسمع شيئًا، أي شيء، برغم كل هذا الدمار.

ينظرُ حوله فيجد أناسًا يضعون أصابِعهم في آذانِهم، هم حتى يدركون مكان الخطر فيتجنبونه أمَّا هو فلا يستطيع، يدرك أنَّه لن يسمعَ الموت، فهل سيكون الموت سهلًا بالنسبة إليه؟

يهرولُ والقنبلة على ظهره، يحاولُ الوصولَ للمسافةِ التي تجعلُها مؤثرة فيقترب من السور، تبقى القليل فقط، هو يدركُ المسافات جيدًا ويعلم أن أمامه بضعةَ أمتارٍ قليلة، يهرولُ أكثر فيشعر بالتعب وينسابُ العرق من جسده غزيرًا، يجري أكثر، يهرول أكثر حتى...

خارج الأسوار

حازم يصوب سلاحه تجاه الحُراس فيصيب منهم من يصيب، الطلقات تتناثر حوله والمدافع الجبارة تدمر كل شيء، يطلق نيران مدفع الـ(موجول) خاصته لتفتك بمركبة (باج) تحملُ بعض الحراس عليها، وجد حازم أنَّ مدافع الأسوار الجبَّارة تطلق النار على المجموعات التي على الأطراف فعلمَ أنَّ القادة لن يقصفوا جنودهم بأيديهم، فصاح قائلًا:

- اشتبكوا معهم، تلاحموا فالمدافعُ لن تقتلنا إن وجدوهم بيننا، اشتبكوا أكثر.

ليبدأ الجميع في الاشتباك والتلاحم أكثر وبالفعل هدأت طلقات المدافع، في تلك اللحظة بدأت الأسلحة البيضاء أيضًا بأخذِ مكانها في الموقف فكلُّ من كان يحمل سيفًا أو خنجرًا أخرجه في تلك اللحظة وبدأ التَّقطيع وتناثَرت الدماء، حازم لا يحمل أحده هذه الأسلحة وفجأة وجد أحدَ حرَّاس القاهرة ينطلق نحوه بسلاحٍ أبيض ليقفز في الهواء قاصدًا الهبوط على حازم الذي رفع سلاحه الناري أمامه وقبل أن يطلق وجد (كيرن) يلتقم الرَّجل في الهواء ممزقًا إياه، لينظر بعدها إلى حازم الذي أومأ له شاكرًا وعاد لاستِكمال القتال و بجواره ذئبه، ولكن المفاجأة دوَّت بينهم بطلقةٍ قذفت حازم نفسه للخلف، هنا علمَ أنَّ الأسوارَ لن ترحم أحدًا حتَّى وإن كانوا حراسها أنفسهم.

داخل الأسوار

ينساب العرق من جسده غزيرًا، يجري أكثر، يهرول أكثر حتَّى اخترقت فخذه رصاصة، الألمُ الذي اعتصره لم يكن هينًا وكأنَّ قضيبًا معدنيًا ساخنًا قد اخترقَ في فخذه، لينظر إلى من أطلق عليه تلك الرصاصة فيجده حارسًا صغيرًا لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عُمرِه، يرتجف، يرى الخوف في عينيه فيتحامل ليحاول الوقوف مرة أخرى، فيقف حاملًا القنبلة لتأتيه رصاصةٌ أخرى من حارسٍ آخر، لم يَلتفت تلك المرة، أمامه بضعة أمتار، اثنين على ما يعتقد، تحرَّك وهو يجرُّ القنبلة

فهو لم يعد قادرًا على حملها لتأتيه رصاصةٌ أخرى في ظهره وتسقطه أرضًا، يراها تضيء في رأسه، تلكَ التي لم يعلم اسمها حتى، الدِّماءُ تنسابُ من فمه ولأول مرة يتذوق طعمها، يتحامل ويقوم مرةً أخرى مسترجعًا مشاعره التي خالجته عندما رآها أول مرة، يجر القنبلة، مترٌ واحدٌ فقط ويصل، واحدٌ فقط ولكنَّ رصاصةً رابعةً تصيب كتفه الأيسر فيتذكر إشارتها له (عُد سالمًا) ليصرخ من الألم، وأشدُّ ما كان يؤلمه أنَّه لا يسمع حتى صراخه، لا يسمعُ صيحاتِ المدافع ولا طلقات المسدسات، أكثرُ ما كان يقتلُه هو الصمت، الصمت ولا شيء أكثر!

يزحف على بطنه وهو ما زال ممسكًا بطرف القنبلة، ها قد اقترب، اقترب جدًا، وها هي رصاصةٌ أخرى في قدمه لكنَّها لم تثنِه عن زحفه، يبكي من شدة الألم ويصرخُ مستجديًا روحه أن تبقى فيه قليلًا، يطلبُ منها ألا تغادره الآن، يزحفُ بإصرار حتَّى يصلَ إلى النقطة التي حددها قبلًا، يتحاملُ على القنبلة بعد أن أوصلها ويحاولُ الوقوف ولكن قدماه قد فارقتاه فلا حياة فيهما، ينظرُ إلى وجوه قاتليه ثم يتذكَّر بسمتها، يتمنَّى لو كان يستطيع التحدث فقط ليقول لهم أنَّه لا يحمل لهم أي ضغينة، فقط ليخبرهم أنَّه يحبهم، يحزن عليهم، بل ويشفقُ عليهم أن يحملوا عبءَ القتل وهم ما زالوا صغارًا، يشعرُ بنفسه يضيق، يضيق أكثر فأكثر فيتشبث بالقنبلة أكثر ويحثُّها على إطلاقِ موجتها وكأنَّما بإطلاقها ستتحرَّر روحه، ولكنَّ فوهات البنادق لم تمهله لتلك اللحظة فأكثرُ من عشرين فردًا قد جعلوه هدفًا و أطلقوا عليه النيران لتبدأ الرصاصات باختراق جسده ممزقةً إياه دون أي شفقة، ولكنَّه لم يشعر بهذا الألم فما شعر به قبلًا كان كافيًا، لقد قتله الصمت قبل أن تقتله فوهات البنادق!

المدافع تطلق نيرانها، تقتل، تمزِّق، تُفرق وتدمِّر كل شيءٍ أتت عليه، حتى خطة حازم بالالتحام لم تكن كافية فقد استهدفَت المدافعُ كلَّ شيء ولم تستثن أحدًا، ينظرُ جواره فلا يرى إلا خرابًا؛ مركباتٍ مقلوبة، مروحيات ساقطة، أشلاء لأناس قد رآهم قبل دقائق أحياء، مقبرةٌ جماعية تساوى فيها الإنسان والآلة، قتلهم الحقد والظلم وانعدام الإنسانية، هل ما فعله كان صوابًا؟

هو يحملُ دماء كل من مات من الفريقين على عاتقيه، يحاول النهوضَ بعد أن قذفته ضربة المدفع التي أخطأته بعيدًا، يشعرُ بآلامٍ مبرحة وينظر إلى مصدر الألم فيجد شظية قد استقرَّت في بطنه، ينزف، يتألم، الأمرُ سيءٌ إلى أقصى حد، ثمَّ وجد أن المدافع كلها قد نكِّست وكأنَّ الروح التي كانت تسكنها فارقتها فأضاء الأمل داخله مرة أخرى، ليقول في قرارة نفسه:

- لقد فعلتها يا وليد، لقد فعلتها يا صديقي.

ابتسامةُ الأمل أضاءت وجهه رغم الألم فقام واقفًا، أمسك ببُندقية من على الأرض وهو يضع يده على جرحه، صعد إلى (موجول) واقفة بدون قائد، ليقف خلف مدفعها قائلًا:

- أيها الأحرار، حان وقت استعادة ما سلبوه منَّا، لم تعُد مدافعهم تخيفنا فقد أضحت بلا فائدة، اهجموا بكل قوتكم واخترقوا الأسوار.

الأمل، تلك الكلمة التي تحركُ شعوبًا بأكملها، ما إن بعث حازم الأملَ فيهِم مرةً أخرى حتى انتَفضوا وكأنَّ المعركة بدأت الآن، صيحاتهم تعالتْ أكثر فأكثر، يُقاتِلون بشراسةٍ أكبر، حكيم استطاع رؤية حازم وهو على الـ(موجول) فأسرع وصعد إليه ليتفاجأ بإصابته، فقال:

- جرحك خطير، سأحاول أن أعيدك إلى المعسكر.

فأمسك حازم بذراعِه قائلًا:

- لا، لا أستطيعُ العودة الآن، ساعدني على وقف النزيف ودعنا نكمل ما بدأناه.

- بني، لقد نزفت كثيرًا ويجب أن تعود.

- صدقني يا حكيم لن أعود، فقط ساعدني على الوصول إلى الداخل فيجب أن أصل.

لم يستطع حكيم رفض طلبه فبدأ بنزع الشظية التي بدت ظاهرةً له من بطن حازم وسط ألمٍ وصراخٍ عظيمين، ثمَّ أخرجها أخيرًا واقتطع جزءًا من ملابسه ليلفَّ به جرح حازم الذي بدأ بالضغط عليه ليوقف ما استطاع من النزيف، ثمَّ التفت له حكيم قائلًا:

- ماذا تريد أن نفعل الآن؟

- سِر بنا إلى الداخل يا صديقي فـوليد ينتظر.

قاد حكيم الـ(موجول) مخترقًا بها صفوف الجيش وسطَ إطلاق نارٍ عنيف ولكنه كان يطلق نيران مدفع الـ(موجول) ليُفسح لنفسه طريقًا يمر منه، رأته بعض المركبات وبدأت في فعلِ ما فعل ليتحرك الجميع ناحيةَ البوابة بشكل أكبر مخترقين الحراس ومركباتَ العدو التي أصابتها النبضة الكهرومغناطيسية فتركتها بلا حياة، حتَّى وصلوا إلى البوابة المفتوحة على مصراعيها ولم تغلق فقد أصابتها النبضة هي الأخرى، وما إن وصلت حتَّى قوبلت بوابلٍ عنيفٍ من الرصاص ولكن بضع طلقات من مدفع الـ(موجول) أطاحت بالكثير، كانت السيَّارة تنطلق حتى مرت بجوار القنبلة الموضوعة على بعد أمتارٍ قليلة من البوابة لتمر بها ويأمر حازمُ حكيم أن يتوقف ويجول ببصره يمينًا ويسارًا باحثًا عن وليد، ثمَّ ينظر إلى القنبلة فيقع قلبه عِندَ قدميه فقد وجد وليد ولكن في وقتٍ متأخر.

نزل حازم من الـ(موجول) وسط إطلاق النار وهو غير آبهٍ بما يدور حوله،

الرصاصات تعبرُ من فوق رأسه وهو لا يكترث، يقترب من هذا الملقى على الأرض، الغارق في دمائِه، يقترب منه فيتلمَّسه ويحتضنه ليصرخ بعدها ألمًا، يسيرُ بأنامِله على أماكن اختراق الرصاصات لجسده ويناديه في كل أرجائِه يرتجِي منه بقايا روح، يضمُّه لصدره أكثر وينظرُ لوجهه الذي ارتسمت عليه ابتسامة الراضي بما فعل، ليهمس في أذنه قائلًا:

- لقد وفيت بوعدك يا صديقي، وفيت بوعدك.

ثم يجد أن سالم قد ظهر من العدم وبدأ يسحبه من كتفه ليضعه في إحدى مركبات الـ(باج) ويطلِقُ النار على الكثيرين في نفس اللحظة، ثمَّ ينطلقُ بِهِ ليذهب به لوجهته التالية فينظر إلى الـ(موجول) التي كان يستقلها مع حكيم فيجدها تأتي خلفه، يطمئن ويحاول التركيز على ما سيفعل تاليًا، ما زال يفقد الدماء، هو لا يريد مفارقة الحياة الآن فما زال لم يحقق ثأره.

تقف الـ(باج) أمام المصحَّة ليهبط منها سالم ويلحقَهم حكيم ويدلف الثلاثة للداخل يقودهم حازم فهو أكثرهم دِراية بالمصحة ويعلم أين وجهته، ينطلقُ إلى مكتب د. عمار وقبلَ أن يصلَ إلى المكتب قوبِل بوابلٍ من الرَّصاصات فاحتمى منه بحائط جانبي.

لينظر بعدها إلى سالم فيبدأَ في إطلاق النار بشكل عشوائي، وفي لحظة قفز حكيم داخل الممر وهو يحمل مسدَّسه مطلقًا منه رصاصاتِه ليصمُت بعدها كل شيء إلا صوتُ حكيم على الأرض قائلًا: اذهبا الآن.

فيخرج الاثنان من خلفِ الحائِط ليكمِلا طريقهما إلى مكتب د. عمار الذي اقتحمه سالم لتستقرَّ في كتفه رصاصة توقعه على الأرض يطلقُ حازم على إثرها النار عشوائيًا ويتسلل إلى المكتب بعد أن سحب سالم وأخرجه منه، يتحركُ ببطء فتنطلق الرصاصات بعشوائيةٍ مرة أخرى ولكنَّه يسمعُ بعدها صوت نفادِ الطلقات ليخرج حازم من مخبئِه خلف كرسيٍ معدني داخل المكتب مسددًا فوهة مسدسه إلى عمار الذي رفعَ يديه في استسلام قائلًا:

- حازم، لا ترتكب حماقة، أنت لا تريد أن تكون قاتلًا يا بني.

- حماقة؟! وبني؟! أنت تتحدث كثيرًا يا دكتور، الحماقة كانت في تصديقي لك.

هنا ابتسم عمَّار قائلًا:

- هل تعتقد أنَّك قويٌ كفاية لتواجهنا، أنت لا تفهم فنحن أقوى مما تتصور، إن كنت لا تصدق فاسأل من ماتت على يديك أيها الأحمق.

هنا انفجر حازم غضبًا ليطلق النار على عمار فيصيبه في بطنه ليسقط أرضًا وسطَ بدمائِه قائلًا:

- أرأيت، ما زلت أحمقًا ولن تستطيع أن تتخلص منَّا يا حازم، القاهرة ١٠٣٠ مجردُ مدينة واحدة ونحنُ نملك ١٠٢٩ مدينة غيرها، نحنُ نملك العالم أيها الأحمق.

ذُهِل حازم من تلك الكلمات فمجرَّدُ تخيُّل أن هناك هذا الرقم من المدن تمتلك أسلحةً شبيهة بالتي واجهوها هنا لهو أمر مهيب، ولكنه قال لعمَّار:

- مع الأسف لن تكون موجودًا لتشهد نهايتهم جميعًا.

وأطلق أربع رصاصات في صدره، تحديدًا في قلبه، هو فقط يريد أن يتأكد ألا يواجِهه مرة أخرى.

دخل بعدها كلٌ من حكيم وسالم ليجداه واقفًا ومصوبًا مسدَّسه نحو عمار الغارق في دمائِه، ربَّت حكيم على كتفه قائلًا:

- فلتنه ما جئت من أجله.

نظر له حازم وقد فهِم ما يرمي إليه، ثمَّ اتَّجه إلى مكتب عمَّار ليضغط بضعة أزرار مخفيةً تحت المكتب بترتيب معين فتنفرجَ المكتبة التي خلفه كاشفةً عن درجات سلالم تنزلُ للأسفل بشكلٍ دائري، ثمَّ قال حازم مخاطبًا إياهما:

- مرحبًا بكما في قمرة ومركز قيادة الأخوية الخاص بالقاهرة ٠٣٠١.

دلفوا جميعا إليها يتقدَّمهم حازم ثمَّ سأله سالم:

- ماذا كانت طبيعة عمل عمَّار بالضبط ليكون مكتبه هو المدخل لقمرة القيادة؟!

ليجيبه حازم قائلًا:

- عمَّار كان يعتبرُ الحاكم الفعلي للقاهرة؛ فقد كان رئيسًا لكل منصب فيها، الحراسة، المصحة، المراقبة، المؤن، وكلُّ شيءٍ كان تحت يده وسلطته.

تكلم حكيم مخاطبًا حازم:

- وهل تعتقد أنَّ ما تبحثُ عنه موجودٌ هنا؟

- نعم بالطبع، القاهرة كانت اللبنة الأولى والأكبر في كل شيء فمن المؤكد أنَّه هنا.

ليسأل سالم باستفهام:

- عن ماذا تتحدثان؟! وما هو الموجود هنا ونبحث عنه؟

فيجيبه حازم:

- ستعلم كل شيء بعد قليل.

أكملا الدرج حتى نزلا إلى الأسفل ليجدَا بوابةً كبيرة وبجانبها لوحة أزرار، بدأ حازم في ضغطِ بعضها لتفتح البوابة أمامهم وتظهر لهم غرفةٌ

مربَّعة تغزوها الشاشات وبها الكثير من أزرار التحكم في كل شيء؛ كمية الطعام، كمية الماء وحتى نظام التدفئة، نظام الحراسة، المدافع، الأسلحة، حركة المركبات، أماكن سكن الأفراد، التحكم الكامل في كل شيء، ولكنَّ حازم كان يبحث عن شيءٍ أهم بكثير، كانَ يبحثُ عن (السلاح العظيم) و(حاوية الكائنات) أو كما كانوا يطلقون عليها قديمًا (سفينة نوح).

سأله حكيم قائلًا:

- ماذا ستفعل بعد أن تجد ما تبحث عنه؟!

- لا أعلم بالضبط، ولكنَّ كل زر من الاثنين سيكون قرارًا مصيريا إمَّا أن أُوقف متتالية السلاح للأبد فيدمِّر نفسه ويبدأ هو في تدمير منشآت ومستعمرات الأخوية وإعطاء الأمرِ لسفينة نوح بإعمار الأرض، أو أطلقه ويتدمَّر كلُّ شيء ولينج وقتها من يستحق النجاة فقط.

- وهل ترى أن هذا قرارٌ صائب؟

- قال لي أحدهم ذات مرة ما مقياس الصواب والخطأ لديك؟

البشر ما داموا موجودين فستبقى الأحقاد والشرور موجودة دائمًا، لن تنتهي الصراعات على هذا الكوكب إلا بنهايتهم، إلى الآن لا أدرك يا صديقي، لا أدركُ هل سيكون قراري صوابًا أم خطأً.

- أنت تدركُ كل شيء، ولكنَّك لا تريد أن تمنح ما لا تعلمه أي فرصة، سنخرج أنا وسالم ونتركك لقرارك، واعلم جيدًا أني أثق بك، كلنا نثق بك مهما كان اختيارك، ولكن اختر بحكمة.

تركه الاثنان وخرجا وبقي هو في الغرفة وحيدًا يتحسَّسُ جرحه الذي ما زال ينزف، يجلس على الكرسي الأوحد بالغرفة ويقتربُ من لوحةِ التحكم الكبيرة ثمَّ يضغط بعض الأزرار فتتباعد الكثير من أزرار اللوحة في المنتصف طرديًا

ويظهر زران كبيران، على أحدهما رمزٌ لسفينة والآخر رمزٌ لانفجارٍ نووي تزيِّنه نبتةٌ لم تزهر بعد، جسده بدأ بالشحوب وفقدانه للدم الكثير يخبرهُ أن حياته على وشك الانتهاء، يدركُ أنَّه لن يكون موجودًا ليُشاهد نتيجة اختياره ولكنَّه على الأقل أظهرَ للنَّاسِ الحقيقة، جعلهم يُدرِكون حقيقة حكامهم وحقيقة أنفسهم وأعطاهم ما سُلِب منهم قبل ذلك دون أي شروط.

البرودة تغزو جسده وعليه أن يختار سريعًا، عليه أن يضع حدًا لكل شيء لذا يرفع يده ويمدُّها إلى اللوحة ثم يضغط على زرٍ ما، الخدرُ يسرِي في جسِده ثمَّ يراها من بعيد بكامِل بهائِها وحُسنِها، تبتسمُ له وتضحك تجاهه فيبتسمُ هو الآخر ويغلقُ عينيه في سلام.

تمت بحمد الله.

جميع حقوق النشر محفوظة .

ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب أو جزء منه أو نقله بأى شكل من الأشكال أو تدواله إلكترونياً نسخاً أو تخزيناً دون إذن خطي من الدار .